الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر كلية أصول الدين
للعلوم الإسلامية قسم الكتاب والسنة
قسنطينة تخصص: التفسير وعلوم القرآن

موضوع البحث:

التفكر من خلال القرآن الكريم
-دراسةفي المصطلح القرآني-

مذكرة مكملة لنيل درجةالماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة: إشراف الدكتور:
إيمان فرطاس الجمعي شبايكي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
أ.د.صالح نعمان	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة
د.الجمعيشبايكي	مشرفا	أستاذ محاضر ــ أ ــ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة
أ.د.كمال جحيش	مناقشا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة
د.رمضان يخلف	مناقشا	استاذ محاضر ــ أ ــ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة

الموسم الجامعي:1433-1434هـ الموافق لـ2012 /2013م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

سورة آل عمران، الآية 191

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى من ربيا في نفسي حب القرآن، وزيّنا دربي بقيمه السمحة

وغرسا في قلبي همة طلب العلم فتنورت أيامي

نور الله دنياهما وأخراهما **أمي وأبي** الغاليين

إلى من كان معينا لي وناصحا أمينا **زوجي بشير**

إلى فِلذتَيْ كبدي وروح رسالتي في الحياة

ابني **أنس** وابنتي **نور اليقين**

إلى أصحاب الفكر وأرباب العقول وطلاب الحق

أهدي ثمرة جهدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي وفقني لخدمة كتابه العظيم، والاستئناسبصحبة آياته الكريمةطوال أيام إنجاز هذه المذكرة وكفاني بذلك شرفا وفضلا.

ثم أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إتمام هذا البحث، وعلى رأسهم الأستاذ المشرفالذي كانالموجه لي في طريق بحثي، وجميع الأساتذة الذين لم يبخلوا عليّ بتوجيهاتهم القيمة، ومن ثم إلى الجامعة الإسلامية التي فتحت لنا باب العلم والتدرج فيه.

إضافة إلى أفراد أسرتي الكبيرة والصغيرة الذين أخذوا بيدي في كل محطة من محطات هذا البحث، وإلى كل الزملاء والزميلات، وإلى كل من مد يد العون لي في إخراج هذا البحث، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أقول لهم جزاكم الله عني كل خير وجعل ما قدمتموه لي في ميزان حسناتكم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء و الرسل أجمعين وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب دقيق الألفاظ عميق المعاني، لا ينهل من معينه إلا من أخلص النية وأعمل العقل فيه تدبرا وتفكرا، وجعل هدفه فهم مراد الله تعالى والعمل بأحكامه والقيام بأوامره. وإن من أفضل ما أنعم الله به على الإنسان نعمة العقل، التي فضله بها على كثير ممن خلق تفضيلا، وجعله مؤهلا لاستخدامه للأخذ عنه والتلقي من خزائن علمه، وحثه على ذلك من خلال آيات كثيرة في القرآن الكريم، فبإلقاء نظرة عامة على آيات القرآن الكريم يلحظ المتأمل كثرة الآيات التي تبرز دور العقل وتحتفي بملكاته على اختلافها وتنوعها، فقرابة ثلاثة أرباع آيات القرآن تبين العمليات العقلية المتصلة بتفكير الانسان، وذلك ليردّ الإنسان إلى ذاته ويعرفه ماهيته ودوره في الحياة كخليفة لله على الأرض، عن طريق ربطه بالوجود الذي خلق فيه، وتسخير ما فيه لأداء رسالته العظيمة، فأمره بإعمال عقله وفكره في السموات والأرض واستجلاء أسرارهما الكامنة، الدالة على عظمة الخالق ودقة إحكامه ،وفهم سنن الحياة وقوانينها ، ليقيم بذلك حضارة ركيزتها الأساسية الإيمان العميق بخالق الوجود المحصن بالتفكر الدقيق في آفاق الكون، ذلك ان الله بث آياته في كتاب الكون وكتاب الوحي، وجعلها علامات هداية في الأنفس والأفاق ، ومنارات إيمان وهدى لمن أراد أن يصل إلى حقائق هذا الوجود.

فكان تفعيل هذه الهبة الربانية من أجل اكتشاف مقاصد الوحي الإلهي و تسخير مكنونات النظام الكوني، بعد استجلاء حقائقها الايمانية من القرآن الكريم في البناء والتشييد الحضاري، وجعْلها مرتكزات قويمة تقوم على أساسها الدعوة الى الله وتعبيد الناس لرب العالمين .

الإشكالية :

إن من أعظم ما ابتلي به الناس اليوم شتات القلوب والعقول والأفكار، وكثرة الصوارف عن التفكر في آلاء الرحمان، وتعطيل هذه العبادة الجليلة، فما عدنا نتدبر كتاب الله المسطور وهو القرآن ، ولا بتنا نتفكر في كتاب الله المنظور وهو الكون، وانتشر بين جملة من الناس أن الدين الإسلامي لا يبعث على التفكر والتفكير، ناهيك عن بعض التصورات الإيديولوجية المنافية للعقل والتفكر، فأصبح ينظر إلى الاسلام نظرة سلبية، فيها حجر على العقل وتعتيم لوظيفته الأساسية،

وإبعاد له عن كل مجالات التفكير والابداع، وغابت أبعاده على الصعيد الاجتماعي والحضاري بصورة عامة، وعلى الصعيد الانساني الفردي بصورة خاصة. ونظرا لهذا الاحجام عن هذه العملية صار المسلمون –الذين أصبحوا في الركب الأخير للإنسانية– مثالا للجمود والتقليد، في عصر أصبح العلم وتفعيل العقل هو السلاح الأقوى لمن أراد الريادة والقيادة. كما أن هذه الحالة المزرية التي وصل إليها المسلمون أعطت انطباعا سيئا وصورة خاطئة عن الاسلام في الغرب، بأنه لا يختلف كثيرا عن مبادئ الكنيسة القديمة في إهمال العقل وتقديس الولاء للأحكام الدينية وكبت روح الاكتشاف والابداع.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتبين مكانة التفكر من خلال القرآن الكريم عبر طرح الإشكال التالي:

ماهي المكانة التي أولاها القرآن الكريم لموضوع للتفكر؟ وتندرج تحت هذا الإشكال جملة من التساؤلات هي:

1. ماهو مفهوم التفكر؟ وما الفرق بينه وبين نظائره اللغوية ؟
2. من خلال السياقات القرآنية ماهي أساليب القرآن في الدعوة إلى التفكر؟ وما هي الضوابط التي جعلها معايير للتفكر السليم؟
3. ماهي المجالات التي دعا القرآن الكريم إلى التفكر فيها ؟ وماهي المقاصد الأساسية من عملية التفكر من خلال القرآن ؟

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة نظرا للمجال الذي تهتم به وهو العمليات العقلية في القرآن والذي يهدف إلى إبراز لظهر من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان وهو العقل، واحتفاء بأهم أدواره وهو التفكر في آلاء الله. كما أن فيها إبطالا لدعاوى المغرضين الذين يزعمون أن سبب جمود المسلمين وتخلفهم هو تمسكهم بالقرآن الكريم، الذي يعمل على تقييد العقل ويمنعه من الانطلاق والإبداع في مجالات الحياة . فهي دعوة لغير المسلمين لإرسال أبصارهم وعقولهم، واستخدام فكرهم في البحث عن حقيقة الكون وسر الحياة. ودعوة للمسلمين للعودة إلى جادة الحق من خلال تفعيل عقولهم والاهتمام بهذه العبادة الجليلة. اضافة إلى أنها تعتبر مساهمة بسيطة في التأصيل القرآني للمواضيع الفكرية العقلية، وبيان لمنهج القرآن في الاهتمام بها وتنميتها. فهي عبارة عن استقراء لمنهج القرآن في الاهتمام بموضوع التفكر والحث عليه، وتوضيح لدوره في بناء الفرد والمجتمع.

أسباب اختيار الموضوع :

من الأسباب التي دعتني الى اختيار هذا الموضوع:

أن موضوع التفكر من العبادات الجليلة المهجورة في حياة المسلمين، نظرا لغموض منهجه وغياب أهدافه ومقاصده عند كثير منهم. فهي محاولة لاستجلاء صورة واضحة ومتكاملة عن موضوع التفكر.تبرز فيها نظرة الاسلام الحقيقية إلى العقل وعملياته.

1. من منطلق الشعور بحالة الأمة الإسلامية، وما تعيشه من تمزق وتفكك، وما تمر به من أزمات ضياع للهوية وفقد للشخصية الإسلامية، الناتجة في أساسها من حالة التيه والتبعية الفكرية، ومحاولة المساهمة في نهضة الأمة، والتي لا تكون إلا بالعودة إلى القرآن الكريم واستلهام الإيمان العميق والفكر السليم من ينابيعه، لأن الفكرة أساس العمل.
2. المساهمة في تقديم دراسة موضوعية قرآنية تبين منهج القرآن في صياغة فكر الإنسان.

أهداف الموضوع:

تسعى هذه الدراسة إلى جملة من الأهداف منها:

1. تأصيل الموضوع برده إلى النصوص القرآنية، وتكوين صورة واضحة عنه.
2. بيان مكانة عملية التفكر ضمن باقي العمليات العقلية من خلال القرآن الكريم وتحديد الفروقات والعلاقات بينها.
3. بيان ضوابط عملية التفكر وابراز مجالاتها المتعددة ومحاولة الوصول إلى مقاصدها وغاياتها.

الدراسات السابقة :

من خلال البحث والاطلاع على ما كتب حول موضوع التفكر في العديد من المكتبات والمواقع الالكترونية، وجدت عدة كتابات وأبحاث ذات علاقة بموضوع هذه الدراسة ، تناولت جانبا أو أكثر من جانب يتعلق بهذه الدراسة ، وفيما يلي عرض لأهمها :

- من خلال البحث الإلكتروني في موقع مركز الملك فيصل تمت الإشارة إلى رسالة دكتوراه بعنوان: "**التفكر ضوابطه ، مجالاته، عوائقه**" للدكتور خالد علي عبدان الغامدي، جامعة أم القرى- السعودية-، لكني لم استطع الإطلاع على مضمونها.

1. كتاب " **التفكر من المشاهدة إلى الشهود** " دراسة نفسية إسلامية ، د. مالك بدري (1992) أبرز فيها قيمة التفكر العبادية وطبيعته والمراحل التي يمر بها والفروق الفردية في درجات التفكر، والعوامل المؤثرة في عمق التفكر وسطحيته، تطرق بعدها إلى التفكر في سنن الكون بين العلم التجريبي والدين .وقد تناولت هذه الدراسة موضوع التفكر من جانب نفسي أكثر. كما أنها تميزت بابراز النظرة الاسلامية العامة للموضوع، دون التعمق في التأصيل القرآني لها.
2. **جوانب الفكر والتفكر في القرآن الكريم** محمود محمد الهيشان ، ماجستير التربية في الإسلام (1996) جامعة اليرموك ، الاردن. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم العقل والتفكير وعلاقته بالعمليات الأخرى ، وأثر القرآن في تحرير العقل من القيود ، خلصت بعدها الى عدد من القواعد المنهجية في تنمية التفكير ، كما بحثت مناهج البحث وأصولها في القرآن.

فكانت دراسة ربطت بين التفكر والمناهج الحديثة في عملية التفكير مع تأصيلها من القرآن، دون التركيز على مجالات التفكر وضوابطه.

3. **التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم** : عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشة ،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين،(2009).هدفت هذه الدراسة للتعرف على معنى التفكير ونظائره ومجالاته من خلال القرآن بالإجابة على هذا السؤال : ماهي القواعد والأساليب و المناهج التي اتبعها القرآن لتنمية التفكير؟ تناول فيها صاحبها أهداف التفكير ووسائله ومجالاته وعوائقه الداخلية والخارجية وأهم القواعد الأساسية في تنميته. وقد تعمقت في أنواع التفكير الحديث.
4. مقال " **منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان** "، زياد خليل محمد الدغامين ، مجلة دراسات ، علوم الشريعة والقانون ، المجلد 32، العدد1، 2005م.هو أقرب الدراسات إلى الدراسة الحالية ، حيث حاول صاحبه إبراز منهج القرآن في صياغة التفكير، وتحديد مجالاته وضوابطه وأهم ثماره .
5. مقال "**مجالات التفكر وجوانبه في آيات القرآن الكريم**"، محمد بن داود تمزغين، مجلة دراسات، الجزائر، العدد التاسع، جوان 2008، كانت دراسة موضوعية بسيطة لمصطلح التفكر، اعتمد فيها صاحبها على ثلاث مباحث هي حث القرآن على التفكر ثم مجالات التفكر، التي تعرض فيها إلى التفكر في آيات الآفاق، آيات الأنفس، آيات الوحي، ثم تعرض إلى جوانب التفكر بمقارنة بين:الحاضر والماضي والمستقبل، الوحدة والكثرة، آيات الآفاق وآيات الأنفس، المصالح والمفاسد، الوحي والحياة. وكانت هذه الدراسة عبارة على إشارات خاطفة غير متعمقة في مباحثها لموضوع التفكر.

وتتميز هذه الدراسات كلها باهتمامها بدراسة عملية التفكير كعملية عقلية، وربطها بالنواحي السلوكية والنفسية، وأثرها في التربية والتعليم، وفي أغلبها تناولت الموضوع من جانب واحد فقط، كما أنها لم تلتزم بالمفردة القرآنية الخاصة بالتفكر حيث تجاوزتها الى المصطلحات الأخرى باستثناء الدراستين الأخيرتين ، والجديد في هذه الدراسة هو الالتزام بالآيات التي حوت المفردة القرآنية الخاصة بالتفكر، والانطلاق منها في صياغة القرآن لموضوع التفكر عن طريق التعمق في الآيات، والاستفادة من آراء المفسرين والمعاصرين من أهل الاختصاص، باستخدام منهج التفسير الموضوعي ومحاولة استجلاء كل أطرافه.

منهج البحث :

تعد هذه الدراسة دراسة موضوعية لمصطلح قرآني هو مصطلح "التفكر"، وتعتمد على:

- المنهج الاستقرائي: بجمع آيات الكتاب العزيز التي تتحدث عن مصطلح التفكر، كذا الأحاديث والآثار الدالة عليه.ثم قمت بتصنيفها على ضمن المباحث الخاصة بها.

- المنهج التحليلي: بتفسير الآيات وتحليلها انطلاقا من أمهات كتب التفسير، وصولا الى الكتابات الحديثة في الموضوع.

وهذا كله بالاعتماد على منهج التفسير الموضوعي، من خلال الربط بين الآيات واستخلاص المنهج والقواعد المتعلقة بموضوع التفكر .

تقنيات البحث:

كان وضع الخطة نابعا من المواضيع التي حوتها الآيات، وقد اعتمدت على آيات القرآن القريبة من الموضوع، وأحاديث السنة كأدلة تزيد الدراسة وضوحا، كذلك آراء الصحابة والتابعين والعلماء والمفسرين. وعزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها من المصحف الشريف. أما تخريج الأحاديث النبوية الشريفة فكان من كتبها الأصلية، بتحديد الكتاب، والباب والجزء، والصفحة، واكتفيت بصحيح البخاري أو مسلم إن كان الحديث قد ورد فيهما تحاشيا للإطالة. كما تجنبت الخوض في المسائل الجزئية أو الخلافية لئلا أبتعد عن هدف هذه الدراسة.

اعتمدت في توثيق المصادر والمراجع على ذكر اسم الكاتب وكتابه، ودار الطباعة ثم رقم الطبعة وتاريخها ورقم الجزء والصفحة، فإن لم يوجد رقم الطبعة رمزت لذلك ب " د ت ط " أي"دون تاريخ طباعة"، وعند انعدام الرقم رمزت "د.ط" ، ولا أذكر بيانات الطباعة (دارالطباعة ورقم الطبعة وتاريخه) إلا في المرة الأولى ثم إذا تكرر المصدر اكتفيت باسم المؤلف والكتاب ورقم

الجزء والصفحة. كما قد أكتفي –اختصارا– باسم الكتاب إذا تضمن اسم المؤلف ك " تفسير الطبري "، " تفسير الرازي "...، وجعلت كل التفاسير مصادرا لدراستي حتى التفاسير الحديثة والمعاصرة. كونها أساسية في منهج التفسير الموضوعي.

لم أترجم لأحد من الأعلام تجنبا لأن تطول الرسالة، ولأنهم من الأعلام المشهورين.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع كانوا الأساس في دراستي منها :تفسير الرازي، تفسير التحرير والتنوير، تفسير الشعراوي، مقاييس اللغة، إحياء علوم الدين، التفكر من المشاهدة إلى الشهود....

صعوبات البحث:

كما لا يخلو أي بحث من صعوبات وعوائق تقف في وجه صاحبه، كذلك هذه الدراسة واجهتها عدة صعوبات تمثلت في:

- صعوبة تحديد المصطلحات وبيان الفروق بينها وذلك في الفصل الأول نظرا لتشابكها ولأن كل مصطلح منها يحتاج إلى دراسة متخصصة فيه.
- قلة المراجع الحديثة المتخصصة في هذا الموضوع، وعدم التمييز بين موضوع التفكر وبين التفكير والتأمل.

الخطة :

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، جاء الفصل الأول في مبحثين المبحث الأول كان بيان مفهوم التفكر من حيث اللغة والاصطلاح، و المبحث الثاني كان في مقارنة التفكر بنظائره اللغوية وابراز الفروقات بينها. لتحديد مكانته ضمن العمليات العقلية. وأما الفصل الثاني فقد تتبعت السياقات القرآنية الواردة لمصطلح التفكر في مبحثين: المبحث الأول: بيان أساليب القرآن في عرض موضوع التفكر، وكان فيه بسط لطريقة القرآن في الترغيب بالتفكر، والمبحث الثاني: جاء في بيان الضوابط التي وضعها القرآن لهذه العملية، والفصل الثالث: مجالات التفكر ومقاصده جاء في مبحثين، المبحث الأول تناولت فيه المجالات التي دعا القرآن للتفكر فيها والتي قسمتها إلى مجال الكون ومجال الوحي وما يتشعب عنه كل مجال، ثم خصصت المبحث الثاني للبحث في مقاصد التفكر التي كانت هدف القرآن من عملية التفكر. ثم أنهيت الدراسة بخاتمة جمعت خلاصة النتائج التي وصلت إليها الدراسة . والخطة التفصيلية للدراسة كالآتي:

المقدمة

الفصل الأول : مفهوم التفكر

المبحث الأول: تعريف التفكر في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: تعريف التفكر في اللغة

المطلب الثاني :تعريف التفكر اصطلاحا

المبحث الثاني: الفرق بين التفكر ونظائره اللغوية

المطلب الأول: التعقل

المطلب الثاني: التدبر

المطلب الثالث: التذكر

المطلب الرابع: التفقه

المطلب الخامس: النظر

المطلب السادس: الإعتبار

الفصل الأول: السياقات الواردة في موضوع التفكر

تمهيد: التفكر قي السياق القرآني

المبحث الأول: أسلوب القرآن في عرض موضوع التفكر

المطلب الأول: الاستفهام الإنكاري

المطلب الثاني:سرد القصص

المطلب الثالث:ضرب الأمثال

المطلب الرابع: الجمع بين العقل والعاطفة

المطلب الخامس: مدح أولي الألباب

المطلب السادس: عرض آلاء الله ونعمه

المبحث الثاني :ضوابط التفكر

المطلب الأول: تجنب التفكر في ذات الله

المطلب الثاني: الواقعية

المطلب الثالث: نبذ التعصب واتباع الهوى

المطلب الرابع :حسن التقدير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: مجالات التفكر ومقاصده

المبحث الأول: مجالات التفكر

المطلب الأول: التفكر في الكون

المطلب الثاني: التفكر في الوحي

المبحث الثاني :مقاصد التفكر

المطلب الأول : إثبات وحدانية الخالق وجلال صفاته

المطلب الثاني : تهذيب النفس وتزكيتها

المطلب الثالث : معرفة السنن الإلهية في الكون

المطلب الرابع : إدراك مقاصد الوحي

الخاتمة

ضمت خلاصة النتائج التي توصلت إليها الدراسة

فأرجو أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع، فما كان فيه صوابا فمن توفيق الله تبارك وتعالى، وما كان فيه خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب. .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: مفهوم التفكر

المبحث الأول: تعريف التفكر

المبحث الثاني: الفرق بينه وبين نظائره اللغوية في القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : مفهوم التفكر

كرّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل وفضله على كثير ممن خلق بهذه النعمة، التي أشاد بها في محكم تنزيله في عدة آيات، منبها على كثير من العمليات التي يقوم بها كالتذكر والتدبر والتفكر الذي هو موضوع بحثنا، ولبيان معنى التفكر كان لابد من التعريج على كتب اللغة والتفاسير وأمهات الكتب لمزيد بيان، ثم استجلاء الفروق بينه وبين باقي النظائر اللغوية التي يظن ترادافها معه، لنتبين في الأخير حقيقة التفكر.

المبحث الأول: تعريف التفكر في اللغة والاصطلاح

لمصطلح التفكر عدة معاني في كتب اللغة، واختلف العلماء في وضع تعريف ضابط له، لكن بالعموم كل تعريفاتهم تشترك في معاني محددة نحاول استقصاءها في هذا المبحث.

المطلب الأول :تعريف التفكر في اللغة

- يقول الجوهري : التفكر: "التأملُ."[1]
- ويحدد ابن فارس الجذر الثلاثي له فيقول " الفاء والكاف والراء تردُّدُ القَلْب في الشَّيء. يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِرا"[2]
- أما عند ابن منظور "الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ " [3]
- ويعرفه الفيومي "الفِكْرُ بالكسر تردد القلب بالنظر و التدبر لطلب المعاني ولي في الأمر (فِكْرٌ) أي نظر و روية"[4].
- ويذكر صاحب القاموس: "الفِكْرُ بالكسر ويُفْتَحُ، إعمالُ النَّظَرِ في الشيءِ "[5]
- وفي المعجم الوسيط : "(فكر) في الأمر فكرا أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول...(التفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها...(الفكر) إعمال العقل في

---

[1] الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أميل يعقوب و د. محمد طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1،1999 م.ج 1، ص501.

[2] ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر بمصر، دط، 1979م، ج 4، ص 446.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير– محمد أحمد حسب الله– هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة– مصر، دط، دت ط، ج 5، ص4351.

[4] الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت ط، ج2، ص 479.

[5] آبادي، الفيروز ،القاموس المحيط، المؤسسة العربية، بيروت–لبنان، د.ط، دت ط، ج2، ص115.

المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول ويقال (لي في الأمر فكر): نظر وروية، (وما لي في الأمر فكر): ما لي فيه حاجة ولا مبالاة (ج) أفكار" [1].

وهذه خلاصة ما جادت به كتب اللغة في هذا المصطلح، ومن خلال التمعن في هذه التعريفات يلاحظ أنها تشترك في المعاني التالية وهي أن التفكر:

- ✓ يعتمد على إعمال القلب، العقل، النظر، والخاطر.
- ✓ يكون بالتردد والتكرار .
- ✓ يكون في محسوسات الأشياء طلبا لمعانيها .

وإعتمادا على ما جاء في التعريفات اللغوية اختلفت تعاريف المفسرين والعلماء لمصطلح التفكر كما هو وارد في المطلب الآتي.

المطلب الثاني :تعريف التفكر اصطلاحا

تعددت تعريفات العلماء لمفهوم التفكر، على أن أغلبها لم تخرج عن إطار المعاني اللغوية، وفيما يلي عرض لبعض التعريفات:

- يقول الراغب الاصفهاني "الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب... ورجل فكير كثير الفكرة، قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها".[2]
- أما أبو حامد الغزالي فمعنى الفكر عنده: "إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[3].
- وفي المصباح المنير هو:" ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا " [4]

[1] مصطفى، إبراهيم –الزيات،أحمد – عبد القادر، حامد– النجار ،محمد، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د،ط)، دت ط، ج2، ص698.

[2] الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق–سوريا، دط، دت ط، ج2، ص202.

[3] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت،–لبنان، دط، دت ط، ج4، ص425.

[4] الفيومي، المصباح المنير، مصدر سابق، ج2، ص479.

- يقول صاحب التعريفات "التفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب".[1]
- وعند البقاعي "التفكر طلب الفكر وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات ذكره الحرالي"[2]
- وفي الكليات:" الفكر حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها الى المطالب" [3].
- "والتفكر عند ابن عاشور: جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح"[4].

كما يعرفه أيضا بأنه:"حركة النفس في المعقولات أعني ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول في البديهيات، وهي القوة الناطقة التي انفرد بها الإنسان المنتزعة من العلوم المحسوسة"[5].

- أما عند الشيخ محمد أبو زهرة يعني: "ترداد الفكرة في النفس لتصل إلى أقصى ما تؤدي إليه"[6]
- ويعرفه الزيلعي بأنه: "كثرة إعمال العقل في الحقائق المعلومة لمعرفة ما تدل عليه عند اجتماعها والتأليف بينها من حقائق جديدة والإعتبار بها"[7]
- كما يعرّف التفكر من وجهة نظر علم نفس تربوي بأنه "نشاط عقلي وجداني لفحص مدلولات الأشياء، ومكونات الظاهرة المدركة مع التخيل وتوظيف الفهم والخيال للتأمل في الظواهر والسلوك لإدراك الحكمة من وجود الأشياء وما بينها من علاقات كلية أو نظام عام تمهيدا لإتخاذ ما يلزم من عمل للإيفاء باستحقاقات هذا الإكتشاف، وهو ذروة سنام التفكير"[8]

وخلاصة القول أن هذه التعريفات اتفقت على أن:

---

[1] الجرجاني،علي التعريفات، تح:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان،ط1، 1405ه، ص88.

[2] البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1995م، ج1، ص 417.

[3] الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: عدنان درويش– محمد مصري، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، دط، 1998م، ص 1105.

[4] بن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دط، 1997 م، ج6، ص112.

[5] المصدر السابق، ج1، ص229.

[6] **أبو زهرة، محمد زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، مج 3، ص 1547.**

[7] هندي، محمد بن زيلعي، مفهوم التفكر في ضوء القرآن، مجلة الدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، العدد2،ماي 2008، ص108.

[8] الآغا، إحسان خليل والزعانين، جمال عبد ربه، أنشطة مقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الإبتدائية بمحافظات غزة، الجمعية المصرية للتربية العلمية، المؤتمر السابع، نحو تربية علمية أفضل، يوليو 2003م، ص 61

- أن الفكر قوة أو ملكة والتفكر إعمال لتلك الملكة، فليس كل من يملك تلك القوة هو متفكر بل يمكنه ذلك بحسب إرادته .
- أن التفكر حالة خاصة بالإنسان دون الحيوان كما أشار إليه الراغب.
- أنها عملية يشترك فيها العقل مع القلب فهي حالة ذهنية وجدانية بحسب تعريف المعاصرين.
- التفكر عملية هدفها إستثمار المعارف للوصول إلى حقائق جديدة مطلوبة، ولا معنى للتفكر بدون تحقيق هدفه.

ويلاحظ من هذه التعريفات اختلاف في تحديد محل التفكر هل هو في العقل أم القلب؟.

ويزيل هذا الإشكال قول ابن تيمية "وقد يراد بالقلب باطن الانسان مطلقا فإن قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ...وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضا"[1].

والتفكر توصل لمعلومات جديدة عن طريق استحضار معلومات سابقة، وذلك بالفتوحات الربانية التي تقابل المتفكر في طريقه وتحدث له شعورا بالجلال والهيبة والحياء يزلزل القلب وتنطبع صور الجمال والجلال في الذهن، فعملية التفكر بدايتها من القلب بإرادة صاحبه ثم تنتقل إلى العقل، لتعود آثارها وتنطبع مشاعرا في القلب، وصورا ومعلومات جديدة في العقل وهذا ما ذكره الشيخ ابن تيمية في مجموع فتاويه قائلا: " لكن مبدأ الفكر والنظر فى الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب، والعقل يراد به العلم، فالعلم والعمل الاختيارى أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب؛ والمريد لايكون مريدا إلا بعد تصور المراد فلابد أن يكون القلب متصورا فيكون منه هذا وهذا، ويبتدىء ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ فمنه المبتدأ وإليه الإنتهاء"[2]. وبذلك يتبين سبب ربط البعض التفكر بالقلب وجعله من وظائف العقل عند البعض الآخر؛ فمن نظر إلى المنطلق والمآل جعل القلب محله، ومن نظر إلى الآلة والوسيلة عبّر عنها بالعقل. وهو ما عبّر عنه الراغب بقوله" جولان تلك القوة بحسب نظر العقل...فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"[3]. فالحقيقة أنه نشاط عقلي وملكة من ملكات العقل لها تأثيراتها على القلب.

[1] ابن تيمية الحراني، تقي الدين، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ط3، 2005م، ج9، ص 162، (9|309).

[2] المصدر السابق، ج9، ص 162،(9|304).

[3] الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2، ص202.

ومن مجموع هذه التعاريف يمكن استخراج تعريف عام للتفكر بأنه: **عملية عقلية وجدانية تعمل على استثمار المعارف والدلائل للتوصل إلى حقائق الأمور، بالنظر فيها والاعتبار بنتائجها.**

ويكمن الفرق بين عمليتي التفكر والتفكير في أن:

- صيغة التفكر تتضمن التكلف والجهد والكثرة بخلاف صيغة التفكير التي تتضمن معنى التكثير فقط فماهو إلا إعمال للعقل في القضايا لحلها دون إجهاد أو تركيز شديد.
- تختلف قضايا التفكر عن التفكير في كونها تجمع الأمور الدنيوية والأخروية في حين ينحصر التفكير في حل قضايا الناس اليومية ومشاكلهم بالمفهوم العام .
- يستلزم التفكر الإيمان بالحقائق والعمل بالنتائج المتوصل إليها، في حين أن التفكير لا يستلزم ذلك لأن الإنسان تمر في ذهنه آلاف الأفكار في اليوم فبأيها يعمل و أيها يترك.
- ختام عملية التفكر يكون بالوصول إلى مرحلة الإعتبار ومن ثم الشهود؛ الذي يتمثل في ربط الدنيا بالآخرة والإحساس بالحياة الأخرى فهو المرحلة الأخيرة من وظائف العقل. في حين أن التفكير ما هو إلا عملية التعقل التي يجعلها القرآن الكريم أولى وظائف العقل بعد الإدراك الحسي للأمور.
- أن التفكير يبعد العاطفة من مجال عمله، لتنتج قرارات عقلية بحتة، في حين أن التفكر لا يستطيع الاستغناء عنها كما جاء في تعريفه لأنّه "يحرك جميع نشاطات المؤمن المعرفية الداخلية والخارجية. فهو يستفيد من الخبرات السابقة، ويضفي عليها من تصوراته وخيالاته لما كانت عليه في الماضي وما يمكن أن تصير إليه في مستقبل حياتها، ويؤجج كل ذلك بعاطفة جياشة وخشية صادقة لله عزوجل"[1].

[1] البدري، مالك، التفكر من المشاهدة إلى الشهود–دراسة نفسية إسلامية–، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ومعهد الفكر الإسلامي، فرجينيا ، الولايات لمتحدة الأمريكية، ط4، 1995م، ص33

المبحث الثاني: الفرق بين التفكر ونظائره اللغوية

ذكر القرآن الكريم عدة مصطلحات وألفاظ يتشابه معناها مع مصطلح التفكر وتتداخل فيما بينها،كالتعقل،التدبر، التفقه، والنظر الخاص بالعقل... والذين يقولون بالترادف يرون في هذا تنويعا في الألفاظ وبيانا لسعة اللغة وإلماما بجل المعاني، لكن حكمة المولى تقتضي أن لكل لفظ معناه المقصود في القرآن، لأنّ الإختلاف بين الألفاظ حاصل باختلاف الأحوال والأزمان والمعاني، وفي هذا المبحث سيظهر الفرق بين لفظ التفكر ونظائره اللغوية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعقل

الفرع الأول: التعقل في اللغة

- يقول ابن فارس "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدلُّ عُظْمُه على حُبْسة في الشَّيء أو ما يقارب الحُبْسة. من ذلك العَقْل، وهو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل"[1].
- وفي لسان العرب "العَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق...مأْخوذ من عَقَلْتُ البَعيرَ إذا جَمَعْتَ قوائمه ...وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويَرُدُّها عن هواها، أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ...وسُمِّي العقل عقلا لأَنه يعقل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه...وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً فَهِمه [2]

إذا فمعنى العقل في اللغة يدور حول المنع والامساك والإحكام، كما يستخدم أيضا في الفهم.

الفرع الثاني: العقل في الاصطلاح

- يرى الراغب أن العقل يطلق على "القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل"[3].
- وفي الكليات: "العقل: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها"[4]

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج4، ص69.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4،ص3064.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2، ص110.

[4] الكفوي، الكليات، مصدر سابق، ص 978.

- ويعرف ابن عطية العقل بقوله هو: "الإدراك المانع من الخطأ مأخوذ منه عقال البعير، أي يمنعه من التصرف"[1].
- وعند البقاعي هو: "العلم الغريزي الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب"[2]
- ويرى الشيخ أبوبكر الجزائري أنه:" قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاسد"[3].

فالعقل في الإصطلاح هو: الإدراك المانع من الخطأ لحقيقة الأشياء والعلم بصفاتها عن طريق استعمال الحواس .فأساسه الإعتماد على المعنى اللغوي الذي يعود الى المنع والحبس للادراك.

الفرع الثالث: التعقل في القرآن:

استعمل القرآن الفعل عقل و لم يستعمل المصدر (التعقل)، مما يدل على حثه على إعمال العقل فقد جاء كلمة (عقلوه) مرة واحدة، وكلمة (تعقلون) 24 مرة، وكلمة (نعقل) مرة واحدة، وكلمة (يعقلها) مرة واحدة و كلمة (يعقلون) 32 مرة .

وجاء ذكر التعقل كمصدر إشارة إلى الوظيفة، وليس إلا ماهية العقل وتركيباته، وفيه بيان إلى أهمية توظيفه، لأنه مخلوق من أجل ذلك، وإلا سيصيبه العجز أو العطب. لهذا ركّز القرآن على إعمال العقل، لأنّ كل البشر وهبهم الله عقولا لكنهم في الغالب لا يستخدمونها الاستخدام الصحيح.

وجاءت مادة العقل في القرآن تحث على النظر في خلق السموات والأرض؛ في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾[4]

---

[1] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1993،1م، ج1، ص137.

[2] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج3، ص 426.

[3] الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة–المملكة العربية السعودية، ط5، 2003م، ج1، ص53.

[4] سورة المؤمنون، الآية 80.

كما جاءت تدعو لاستكشاف الفوائد من الأحكام كقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

وقال عز وجل﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]. كما ورد من باب التقريع على الكافرين في عدم استعمالهم لهذه الهبة الربانية في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [3]

يلاحظ مما سبق أن التعقل يرد إن كان مجرد استخدام العقل يفي بالمطلوب ويحقق المراد، بل يمكن القول أن عملية التعقل تَرِد بعد استنفار للحواس كالسمع والبصر...، فهي تعمل على جمع المادة الناتجة عنها والنظر البسيط فيها، "ولهذا نجد اللفظ مستخدما في أمور مشاهدة حقيقية، فليس المطلوب مزيد تفكير فيها بل حضور العقل"[4]، من أجل ذلك اهتم المفسرون بتعريف العقل من جهة وظيفته ودوره لا بجوهره.

المطلب الثاني: التدبر

الفرع الأول : التدبر في اللغة

- ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة عند إيراد الجذر الثلاثي للتدبر "الدال والباء والراء، أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه...والتدبير: أنْ يُدبِّر الإنسانُ أمره، وذلك أنَّه يَنظُر إلى ما تصير عاقبتُه وآخرُه، وهو دُبُره"[5].

---

[1] سورة البقرة، الآية 241.

[2] سورة الأنعام، الآية 151.

[3] سورة يونس، الآية 16.

[4] المحالي، محمد خازر، مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون، جامعة عمّان – الأردن، العدد 23، ماي 2005، ص 39.

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص324.

- وفي لسان العرب: " الدُّبُرُ والدُّبْرُ نقيض القُبُل ودُبُرُ كل شيء عَقِبُه ومُؤخَّرُه...ودَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره نظر في عاقبته، واسْتَدْبَرَه رأَى في عاقبته ما لم ير في صدره...والتَّدْبِيرُ في الأمر أن تنظر إِلى ما تَؤُول إِليه عاقبته، والتَّدَبُّر التفكر فيه "[1]
- وعند الفيومي في المصباح المنير:"ودبرت الأمر تدبيرا فعلته عن فكر وروية" [2]

وجاء بصيغة التفعل للدالة على الجهد والتكلف، فهو نظر متجدد في عاقبة الأشياء. وبهذا يتبين أن معنى التدبر في اللغة يدور حول النظر في عواقب الأمور وأواخر الأشياء دون أوائلها.

الفرع الثاني: التدبر في الاصطلاح

اعتمد المفسرون على المعنى اللغوي في تعريف مصطلح التدبر فجاءت تعريفاتهم تدور حول النظر في عواقب الأمور.

- فقد عرفه صاحب تاج العروس بالتفكر في آخر الأمر بقوله: "التدبر:التفكر أي تحصيل معرفتين لتحصيل معرفة ثالثة ويقال عرف الأمر تدبُّرا أي بأَخَرَةٍ "[3]
- ولم يحدد الألوسي كونه في آخر الشيء حيث قال "..ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه و أعقابه"[4]
- وحدد صاحب المنار الهدف من التدبر بقوله: "تدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي اليها "[5]
- وجعله الشيخ ابن عاشور مرادفا للتفكر حين قال: "والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني"[6]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج2،ص1321.

[2] الفيومي، المصباح المنير، مصدر سابق، ج1، ص189.

[3] الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، دط، دت ط، ج11، ص 265.

[4] الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، دط، دت ط، ج5، ص92.

[5] رضا،محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة –مصر، دط، 1990 م، ج5، ص 233.

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج23، ص258.

- أما الشيخ الشعراوي فقد ربطه بالنظر في خفايا الأمور حين قال: "هو ألّا تنظر إلى ظواهر الأشياء، بل إلى المعطيات الخفية في أي أمر"[1].

فالمراد بمصطلح التدبر اصطلاحا هو النظر في عواقب الأمور لمعرفة الغايات والمقاصد منها.

الفرع الثالث: التدبر في القرآن الكريم

جاء التدبر في القرآن في أربع آيات كلها خاصة بتدبر القرآن الكريم، اختصت منها آيتان لدعوة المنافقين لتدبر آيات القرآن في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾[3].

ونزلت آيتان لدعوة الكفار، وهما قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾[5].

وتدبر القرآن معناه: "تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر"[6]، ويكون ذلك بـــإعادة "النظر في الآية والتفهم، وأن يستوضح من كل آية ما يليق بها كي تتكشف له من الأسرار معانٍ مكنونة لا تتكشف إلا للموفقين"[7].

إذاً فقد استعمل القرآن معنى التدبر وخصه بآيات القرآن. ودعا الناس لفهم معانيه عن طريق التأمل في دلالات الآيات "وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد

---

[1] الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، مصر،دط، دت ط، ص3911.

[2] سورة النساء، الآية 82.

[3] سورة محمد، الآية 24.

[4] سورة المؤمنون، الآية 68.

[5] سورة ص، الآية 29.

[6] الجوزية، ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1973م، ج1، ص 475.

[7] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص29.

إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله. وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق"[1].

فهي دعوة قرآنية للغوص في أغوار آيات القرآن واستخراج هداياته، وعدم الوقوف على ظاهر النص بل التعمق في معانيه للوصول إلى الغاية والحكمة من إنزال هذا الذكر الحكيم، والسعي للعمل بأحكامه وتشريعاته بإتخاذه منهجا للحياة.

ومن هنا يتبين الفرق بين التدبر والتفكر، في أنّ "التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل"[2].

المطلب الثالث:التذكر

الفرع الأول: التذكر لغة

- أصل التذكر من الجذر الثلاثي ذَكَرَ والذي لديه معنيان: " فالمُذْكِر: التي وَلَدَتْ ذكراً..والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشيء خلافُ نسيتُه، ثم حُمِل عليه الذِّكْر باللِّسان...والذِّكر: العَلاء والشَّرَف"[3].
- وجاء عند ابن منظور: "الذِّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه والذِّكْرُ أَيضاً الشيء يجري على اللسان...وقال الفراء الذِّكْرُ ما ذكرته بلسانك وأَظهرته...والتَّذَكُّر تذكر ما أُنسيته...والذِّكْرُ الصيتُ والثناء...والذِّكْرُ الشرف" [4]

فالذِّكر في اللغة يدور حول معنيين: أولهما الحفظ للشيء والذي قد يكون بالقلب أو باللسان. وثانيهما معنى الثناء والعلاء والشرف.

الفرع الثاني: الذكر في الاصطلاح

يرِد الذكر عند الراغب بمعنى: "هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذِّكر يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء

---

[1] المصدر السابق، ج5، ص137.

[2] العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة- مصر، دط، دت ط، ص75.

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص358- 359.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج3، ص1507.

في القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذِكْران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان. وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ" [1]

ويذكر صاحب كتاب الكليات أن الذكر له معنيان: "أحدهما: التلفظ بالشيء والثاني: إحضاره في الذهن بحيث لا يغيب عنه، وهو ضد النسيان و الذُكر بالضم للمعنى الثاني لا غير"[2] ويضيف قائلا في معنى التذكر: "ثم التذكّر وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات ثم الذّكر وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن"[3]، فهو يجعل من التذكّر عملية للقيام بالذّكر.

ويبين الإمام القرطبي الفرق بينهما بقوله: "فالتذكّر قريب من الذّكر غير أن التذكر يطلق فيما بَعُدَ عن القلب فيحتاج إلى تكلف في التذكّر"[4].

فالتذكّر عملية تحتاج إلى جهد كباقي العمليات هدفها "استدعاء ما كان موجودا عنده ثم نسيه، وتكراره على القلب حتى يثبت ويرسخ"[5].

الفرع الثالث: التذكر في القرآن الكريم

ورد معنى التذكر في القرآن مائتين واثنان وتسعون مرة في مائتين وتسعة وسبعين آية، جاء فيها على عدة معاني منها[6] :

الذكر بمعنى العمل الصالح في قوله تعالى ﴿ **فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ** ﴾[7] يعني اذكروني بالطاعة أي أطيعوني، والذكر ما يلفظه اللسان في قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ**﴾[8]،كما يأتي بمعنى الذكر بالقلب كما في قوله تعالى﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ**

---

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج1، ص363.

[2] أبو البقاء الكفوي، الكليات، مصدر سابق، ص718.

[3] المصدر السابق، ج1، ص81.

[4] القرطبي، شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن ، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض–المملكة العربية السعودية،دط، 2003 م، ج13، ص57.

[5] الزبيدي، السيد مرتضى، اتحاف السادة المتقين شرح احياء علوم الدين، دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان، ج 13، ص 316.

[6] انظر: بن الجوزي، عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط1، 1984م، ج1، ص302.

[7] سورة البقرة، الآية 152.

[8] سورة النساء، الآية 103.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] يعني ذكروا الله في أنفسهم. وورد بمعنى الحفظ في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2] يعني واحفظوا، وجاء بمعنى العظة في قوله تعالى﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾[3] أي ما وعظوا به. ويأتي بمعنى الوحي لقوله تعالى في سورة ص ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ﴾[4] يعني القرآن. وقد يأتي بمعنى التفكر لقوله تعالى في سورة ص﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[5] يعني تفكرا.

والذي يهم هو الذكر الذي بمعنى التفكر، ويجعل الإمام ابن عاشور الفرق بينهما دقيقا حيث يقول: "والتذكر التأمل، وهو بهذه الصيغة لا يطلق إلا على ذكر العقل لمعقولاته، أي حركته في معلوماته، فهو قريب من التفكر؛ إلا أن التذكر لما كان مشتقا من مادة الذكر التي هي في الأصل جريان اللفظ على اللسان، والتي يعبر بها أيضا عن خطور المعلوم في الذهن بعد سهوه وغيبته عنه، كان مشعرا بأنه حركة الذهن في معلومات متقررة فيه من قبل"[6]. فهو يجعل التذكر من العمليات العقلية التي تستلزم وجود المعلومات المسبقة، حتى إذا أصاب العقل سهو، جاءت عملية التذكر لتفتح لها الآفاق من جديد وتبقيها عالقة في الذهن.

إذًا فالتذكر في القرآن عبارة عن استحضار لما هو منسي، ومن ثَمّ توظيفه لاستخراج الحكم والعبر أو طلب معاني أخرى منه .كما عبّر عنه البقاعي بقوله: "والتذكير: طلب المعنى بالتفكير في متعلقه، فلا بد

[1] سورة آل عمران، الآية 135.

[2] سورة البقرة، الآية 63.

[3] سورة الأعراف، الآية 165

[4] سورة ص، الآية 08

[5] سورة ص، الآية 87.

[6] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج11، ص 89

من حضور معنى يطلب به غيره"[1]. لذلك فمعنى التذكر دائما يرتبط بدلائل التوحيد والبراهين الواضحة من "الأشياء المبثوثة في الكون والنفس الانسانية والتاريخ الانساني وآيات القرآن الكريم "[2]. ولا يأتي التذكر في آيات الأحكام والتشريع ومعرفة غاياتها والمقصد منها لأنها خافية عن الناس. يقول الألوسي في ذلك: "وفصلت الآية السابقة ب "يتفكرون" لأنها كانت لبيان الأحكام والمصالح والمنافع والرغبة فيها التي هي محل تصرف العقل والتبيين للمؤمنين فناسب التفكر، وهذه الآية بـــ "يتذكرون" لأنها تذييل للإخبار بالدعوة إلى الجنة والنار التي لا سبيل إلى معرفتها إلا النقل والتبيين لجميع الناس فناسب التذكر"[3]. فمجالات التذكر هي نفسها مجالات التفكر لأنها عبارة عن استحضار لما نتج عن عملية التفكر.

في حين يجعل صاحب روح البيان التذكر أعلى مترلة من التفكر فيقول: " فإن التذكر فوق التفكر فإن التفكر طلب والتذكر وجود، يعني أن التفكر لا يكون إلا عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية فتلتمس البصيرة مطلوبه، وأما التذكر فعند رفع الحجاب وخلوص الخلاصة الإنسانية من قشور صفات النفس والرجوع إلى الفطرة الأولى فيتذكر ما انطبع في النفس في الأزل من التوحيد والمعارف بعد النسيان"[4]. ويقصد بالتذكر تذكر العهد الأول بالتوحيد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على عباده، والتفكر عبارة عن بحث في الآيات والدلائل للوصول إلى حقيقة التوحيد.

فالتفكر هو طلب الشيء وإن لم يكن حاضرا في العقل، والتذكر هو وجوب وجوده حتى يتم استحضاره، بمعنى آخر أن عملية التفكر تحتاج إلى عملية التذكر؛ في كون التفكر يستعين بالمعارف التي يستحضر بطريق التذكر لتحصيل معارف أخرى، تخزن في العقل ليتم تذكرها عند الحاجة، وهكذا تمضي هذه الدورة.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج4، ص 426

[2] صالح عبد الله، عبد الرحمان، العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية1، السعودية، 1995م، مج7، ص 116.

[3] الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج2، ص120.

[4] حقي الإستانبولي، إسماعيل، روح البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، دط، دت ط،ج4، ص238.

المطلب الرابع: التفقه

الفرع الأول: الفقه لغة

- أصل الفقه عند ابن فارس هو: " الفاء والقاف والهاء أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على إدراكِ الشَّيء والعِلْمِ به. تقول: فَقِهْتُ الحديث أفْقَهُه. وكلُّ عِلْمٍ بشيءٍ فهو فِقْه...ثم اختُصَّ بذلك علمُ الشّريعة، وأَفْقَهْتُك الشَّيءَ، إذا بَيّنْتُه لك."[1]
- ويقول ابن منظور: "الفِقْهُ: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم...وفقِه الشيء: علمه...والفقه: الفطنة "[2].

وجاء في المعجم الوسيط:" فقه الأمر فقها وفقها أحسن إدراكه "[3]

فالفقه في اللغة هو الفهم والعلم بالشيء وحسن إدراكه.

الفرع الثاني:الفقه في الاصطلاح

- جاء في مفردات الراغب: "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم"[4].
- يقول البقاعي في تعريفه: "والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة ."[5]
- ويقول صاحب الكليات: "والفقه في العرف الوقوف على المعنى الخفي يتعلق به الحكم...أعني أنه تعقل وعثور يعقب الإحساس والشعور"[6]
- ويزيد صاحب المنار المعنى وضوحا بقوله هو: "النظر في أعماق الشيء وباطنه، فمن لا يفهم إلا ظواهر الكلام ولا يفطر إلا لمظاهر الأشياء، وإنما سمي علم الشرع فقها لما فيه من الاستنباط ولما

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص442.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص3450.

[3] المعجم الوسيط، الزيات وآخرون، مصدر سابق، ج2، 698.

[4] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2، ص201

[5] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج7، ص 531.

[6] الكفوي، الكليات، مصدر سابق، ص 1093.

كان استخراج الحكم والعبر من خلق البشر يتوقف على الغوص في أعماق الآيات، وفطنة في استخراج دقائق الحكم والبينات، عبّر عنها بالفقه"[1]

يستنتج من هذه التعاريف أنّ الفقه: هو إعمال العقل للتوصل للمعاني الخفية اعتمادا على الفهم الدقيق للأمور والنظر في أعماق الأشياء.

الفرع الثالث: الفقه في القرآن

ورد لفظ الفقه في القرآن عشرين مرة، جاء كلها بصيغة الجمع وزمن المضارع، فقد ذُكِر (يفقهون) ثلاث عشرة مرة، (يفقهوه) ثلاث مرات، و(يتفقهوا) مرة واحدة، (يفقهوا) مرة واحدة. وبصيغة المضارع (نفقه) مرة واحدة و(تفقهون) مرة واحدة .

وارتبط ذكر الفقه في القرآن بالقلب ما يدل على أنه وظيفة من وظائفه. كما ورد في معرض الذم للمشركين لعدم فقههم قانون القتال قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ**﴾[2]. وجاءت كصفة من صفات المنافقين ارتبطت بهم في غير موضع وتكررت في سورة المنافقين لتدل على شدة اتصافهم بها قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ**﴾[3].

كما ورد أيضا في معنى عدم فقه القول كعدم ادراك الناس للغة الطير، كذلك القوم الذين لقيهم ذو القرنين فقد كانوا لا يفقهون قولا، وفي قصة شعيب عليه السلام في حواره مع قومه **يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ** ﴾ [4]، قال أبو السعود " الفِقهُ غرض المتكلّم من كلامه أي ما نفهم مُرادَك ، وإنما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائلَ الحقِّ المبينِ على أحسن وجهٍ وأبلغِه وضاقت عليهم الحيلُ وعيِّيتْ بهم العلل، فلم يجدوا إلى محاورته

[1] رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق،ج7 ، ص 534.

[2] سورة الأنفال، الآية 65.

[3] سورة المنافقون، الآية 03.

[4] سورة هود، الآية 91.

سبيلاً سوى الصدودِ عن منهاج الحقِّ والسلوكِ إلى سبيل الشقاءِ ...فجعلوا كلامَه المشتملَ على فنون الحِكَم والمواعظِ وأنواعِ العلومِ والمعارفِ من قبيل ما لا يُفقه معناه ولا يُدرك فحواه وأدمجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب"[1].

وجاءت مادة الفقه كذلك في آيات خلق النفس قال تعالى﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾[2] . يقول ابن عاشور في تفسيرها: "وعدل عن (يعلمون) إلى (يفقهون) لأن دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيهما من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبر، فإن المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبر عن علمها بأنه فقه، بخلاف دلالة النجوم على حكمة الاهتداء بها فهي دلالة متكررة، وتعريضا بأن المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإن العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو إدراك الأشياء الدقيقة. فحصل تفصيل الآيات للمؤمنين وانتفى الانتفاع به للمشركين"[3]. لهذا جاء الحث للمؤمنين على التفقه في الدين قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[4].

وذهب عماد الدين خليل إلى أن "التفقه هو خطوة عقلية أبعد مدى من التفكير، فالتفقه هو الحصيلة التي تنتج عن عملية التفكير، وتجعل الإنسان أكثر وعيا لما يحيط به وأعمق إدراكا لأبعاد وجوده وعلائقه في الكون، كما تجعله متفتح البصيرة دوما "[5]. وهذا المعنى وارد إن كان المقصود به عملية التفكير التي تختلف في أصلها عن عملية التفكر والتي قد تشير إلى مرحلة تعقل الأشياء فقط.

بهذا يكون مصطلح الفقه يشير إلى الفهم الدقيق والعميق لخفايا الأمور والمعاني.

---

[1] أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان،دط، دت ط، ج4، ص235.

[2] سورة الأنعام، الآية 98.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج7، ص397.

[4] سورة التوبة ، الآية 122

[5] خليل، عماد الدين، مدخل إلى موقف القرآن من العلم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت –لبنان ، ط1، 1983م، ص 94.

المطلب الخامس: النظر

الفرع الأول: النظر لغة

- النظر عند الخليل الفراهيدي :"من نظر العين ونظر القلب"[1]
- وعند ابن فارس :"النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعُه إلى معنىً واحد وهو تأمُّلُ الشّيءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه. فيقال: نظرت إلى الشّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينْتَه ."[2]
- وفي لسان العرب " النَّظَر حِسُّ العين ...وتقول نَظَرت إِلى كذا وكذا مِنْ نَظَر العين ونَظَر القلب ...وإِذا قلت نَظَرْتُ إِليه لم يكن إِلا بالعين وإِذا قلت نظرت في الأَمر احتمل أَن يكون تَفَكُّراً فيه وتدبراً بالقلب ...والنَّظَرُ الفكر في الشيء تُقَدِّره وتقيسه منك ...والنظر يقع على الأَجسام والمعاني فما كان بالأَبصار فهو للأَجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني" [3].

ويلاحظ أنه إذا عدي مصطلح النظر بأداة الجر "إلى" فإنه يعبر عن المشاهدة المرئية بالعين، وإذا عدي بـــأداة الجر "في" فإنه يعبر عن النظر العقلي والتفكر. تقول "نَظَرْتُ في الأمر تدبرت...وقال بعضهم يتعدّى إلى المبصرات بنفسه و يتعدّى إلى المعاني ب(في)"[4].

ومنه نستنتج أن معنى النظر في اللغة يدور حول : التأمل والمعاينة، فقد يكون في المعاني بحيث يعبر عنه بتقليب البصيرة وحركة الفكر في الشيء والتأمل. وقد يكون في المحسوسات ويعبر عنه بالمشاهدة بالعين والمعاينة، كما لا يمكن إهمال معنى الإنتظار الذي اشتق من النظر.

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد،كتاب العين، تح: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، دط، دت ط،ج8، ص154.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص444.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4466.

[4] الفيومي، المصباح المنير، مصدر سابق، ج2، ص612.

الفرع الثاني: النظر اصطلاحا

- النظر عند الراغب الأصفاني هو: "تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية "[1].
- ويعرفه الإمام البقاعي على أنه طلب للشيء، ويجعله على نوعين حيث يقول: "والنظر طلب الرؤية بتقليب البصر، ونظر القلب طلب العلم بالفكر"[2].
- أما أبو البقاء الكفوي فيرى أنّ النظر هو "ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم"[3]
- ويعرفه التهانوي بأنّه: "النظر هو ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره"[4].
- أما الإمام ابن عاشور فيعرفه بقوله: "والنظر نظر العقل، وهو التفكر المؤدي إلى علم شيء بالاستدلال"[5]، ويقول في موضع آخر: "والنظر: نظر العين المفيد الاعتبار بدقائق المنظور"[6]. فعاد إلى أصل المعنى اللغوي وجعله على نوعين أحدهما نظر بالقلب وآخر نظر بالعين.

لكن النظر المقصود بنظير التفكر هو النظر العقلي والذي يقصد منه التأمل والإستدلال المؤدي إلى العلم.

الفرع الثالث: النظر في القرآن

جاءت مادة النظر في القرآن مائة وتسع وعشرين مرة في ثمانية وأربعين سورة تعددت معانيها بين النظر العيني والنظر القلبي إلى معنى الانتظار، ووردت بصيغ الإفراد والجمع في الماضي والمضارع و الأمر. وجاء النظر القلبي مرتبطا بعدة مجالات: مثل النظر في عواقب الأقوام البائدة (المكذبين-المفسدين-المجرمين- المنذرين- الظالمين...)، واقترن بالسير في الأرض ما يدعو إلى الاتعاظ والاعتبار، "فإن النظر في

---

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2، ص438.

[2] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج3، ص 448.

[3] الكفوي، كتاب الكليات، مصدر سابق، ص1460.

[4] التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت –لبنان، ط1، 1996م، ج2، ص 1707.

[5] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص261.

[6] المصدر السابق، ج30، ص304.

عاقبة المكذبين هو المقصد من السير، فهو مما يرتقى إليه بعد الأمر بالسير، وأن هذا النظر محتاج إلى تأمّل وترسّم فهو أهمّ من السير. والنظر يحتمل أن يكون بصريا وأن يكون قلبيا"[1].

كما ورد النظر مرتبطا بالطعام مثل قوله تعالى﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾[2]. وقال﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[3]، يقول القرطبي: "أي فلينظر كيف خلق الله طعامه. وهذا النظر نظر القلب بالفكر؛ أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد"[4].

وجاء في القرآن الدعوة للنظر في الكون قال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾[5] ، ويرى الرازي مناسبة تعدية الفعل بـــ "إلى" إشارة إلى النظر العقلي حيث قال: "ثم إنه تعالى كمّل ذلك وجمّله بقوله (إلى السماء) و لم يقل (في السماء)؛ لأن النظر في الشيء ينبيء عن التأمل والمبالغة، والنظر إلى الشيء ينبيء عنه، لأن (إلى) للغاية فينتهي النظر عنده في الدخول في معنى الظرف فإذا انتهى النظر إليه ينبغي أن ينفذ فيه حتى يصح معنى الظرفية"[6]. وأغلب الآيات الواردة بشأن النظر في القرآن تشير إلى الرؤية البصرية التي تحتاج إلى تأمل قلبي.

وذكر سبحانه وتعالى النظر في آياته المعجزة كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾[7]

---

[1] المصدر السابق، ج7،ص149.

[2] سورة الأنعام، الآية 99.

[3] سورة عبس، الآية 24.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج19، ص 220.

[5] سورة ق، الآية 06.

[6] الرازي، فخر الدين، (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، دط، دت ط، ج28، ص 119.

[7] سورة الأنعام، الآية 46.

وقال في سورة البقرة ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا ﴾[1] فقد أمره بالنظر في حال الحمار كيف كان عظاما ثم صار حيا كما كان، فهو نظر بصري يدعو إلى الاعتبار.

ووردت آيات النظر في معرض الذم للكافرين قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[2] ، فهو نظر إلى أفعالهم وكذبهم، وتأمل في صورة ضلالهم وإشراكهم بالله.

ويفرق أبو البقاء الكفوي بين الفكر والنظر فيقول: "والفكر حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلى المطالب، والنظر: ملاحظة المعلومات الواقعة في ضمن تلك الحركة "[3]. أي أنه يستعمل النظر كوسيلة للانتقال من المبادئ إلى المطالب يعالج من خلالها المعلومات المستقاة من حركة الفكر.

فالنظر عبارة عن آلية من آليات التي توصل إلى التفكر، وذلك من خلال معاينة الدلائل وملاحظة المعلومات ، والتأمل فيها.

المطلب السادس: الإعتبار

الفرع الأول : الاعتبار في اللغة

- جاء في مقاييس اللغة:" العين والباء والراء أصل صحيح واحد يدلّ على النفوذ والمضيِّ في الشيء... فأمّا الاعتبار والعِبْرة فعندنا مقيسانِ من عَبْري النَّهر؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهماعِبرٌ مساوٍ لصاحبه...فإذا قلت اعتبرت الشَّيء، فكأنك نظرتَ إلى الشَّيء فجعلتَ ما يَعْنيك عِبراً لذاك: فتساويا عندك. هذا عندنا اشتقاقُ الاعتبار. قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [4]، كأنّه

[1] سورة البقرة، الآية 259.

[2] سورة الأنعام، الآية 24.

[3] الكفوي، كتاب الكليات، مصدر سابق، ص1105.

[4] سورة الحشر، الآية 02.

قال: انظروا إلى مَنْ فعل ما فَعل فعُوقِب بما عوقب به، فتجنَّبوا مثلَ صنيعهم لئلاَّ ينزل بكم مثلُ ما نَزَل بأولئك...والعِبرة: الاعتبارُ بما مضى"[1]

- وجاء عند ابن منظور "وعَبَر الكتابَ يعبُره عَبْراً تدبَّره في نفسه...العِبَرُ جمعُ عِبْرة وهي كالمَوْعِظة مما يَتّعِظُ به الإِنسان ويَعمَلُ به ويَعتبِر ليستدل به على غيره "[2]

فمعنى الاعتبار في اللغة هو النظر في الأمور المتساوية والانتقال فيها من حال إلى حال عن طريق الاستدلال على غيرها والاتعاظ بها.

الفرع الثاني: الاعتبار اصطلاحا

جاءت معاني المفسرين لمصطلح الاعتبار تدور حول المعنى اللغوي

- فقد جاء عند الراغب قوله: "العبور تجاوز من حال إلى حال... والاعتبار والعبرة: بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد"[3].
- وعرفه الرازي بقوله: "الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول، والمراد منه التأمل والتفكر"[4]. ويقول أيضا: "الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"[5].
- وجاء في التحرير والتنوير: "الاعتبار: النظر في دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها، وهو افتعال من العبرة، وهي الموعظة"[6].

فالاعتبار اصطلاحا يعني: النظر في حقائق الأشياء المعلومة ودلالتها على حقائق مجهولة والاتعاظ بها.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج4، ص 207-210.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2783.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2، ص60.

[4] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج18، ص524.

[5] المصدر نفسه، ج 19، ص505.

[6] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج28، ص72.

الفرع الثالث: الاعتبار في القرآن

ورد لفظ الإعتبار في القرآن سبع مرات، خمس مرات بلفظ (لَعِبرة)ـــ وبلفظ (عِبرة) مرة واحدة في سورة يوسف، ومرة واحدة بلفظ (فاعتبروا) في سورة الحشر.

وارتباطه بأولي الألباب فيه دلالة على أنها من العمليات العالية في السلم العقلي، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[1] ، كما أنها عملية جاءت في مدح أولي الأبصار، الذين يستخدمونها بصائرهم قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[2]. وذكرت في معرض الحديث عن نعم المولى على الإنسان قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ**﴾[3] ، يقول سيد طنطاوي في معناها: "وإن لكم أيها الناس في خلق الأنعام، وفيما يخرج منها من ألبان لعبرة عظيمة، وعظة بليغة، ومنفعة جليلة توجب عليكم إخلاص العبادة لله تعالى وحده، ومداومة الشكر له على نعمه. فالتنكير فى قوله "لعبرة" للتفخيم والتهويل "[4]

ولا يحصل الاعتبار إلا في القلوب التي ملأها الخشية قال تعالى﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**﴾[5] جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن عاقبة فرعون فالتأمل في قصته يجعل الإنسان يتعظ به ويعتبر بمصيره فيعمل بخلاف عمل فرعون.

ويقول السعدي في تفسير قوله تعالى ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[6] هو "اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة،

---

[1] سورة يوسف، الآية 111.

[2] سورة آل عمران، الآية 13.

[3] سورة النحل، الآية 66.

[4] طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد القاهرة–مصر،دط ،دت ط، ج8، ص183.

[5] سورة النازعات، الآية 26.

[6] سورة الحشر، الآية 02 .

وبذلك يزداد العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي"[1] ، والمعنى الإعتبار بالحال التي أصابت اليهود جراء محاربتهم للمسلمين ونقضهم العهود، وفي ذلك دلائل على قدرة الله وحكمته البالغة، "وعلى تدبيره المحكم الذي لا يغالب، وهذا ما لا يراه إلا أصحاب الأبصار النافذة إلى حقائق الأمور، وإلى مواقع العبرة والعظة منها"[2].

وجاء عند الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[3] ، "فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر و لم يعتبر لم ينتفع ألبتة ولو تفكر فيما سمع لانتفع"[4]

من خلال ما ورد في هذا المبحث من مفاهيم لمختلف العمليات العقلية المذكورة آنفا، يلاحظ أنّ جميع العمليات مترابطة فيما بينها تؤدي إلى غاية واحدة في القرآن؛ هي الكشف عن حقائق الأمور، وحسب التعاريف السابقة يمكن القول أنّ هدفها الكشف عن حقيقة الشيء؛ بتناوله من كل الجوانب عبر مختلف المراحل، بواسطة هذه العمليات العقلية، ما يسمح بوضعها في ترتيب منطقي يوضح وظيفة كل عملية. هذا الذي يبينه الشيخ الشعراوي في تفسيره بقوله: "وكل هذه عمليات تتناول المعلوم الواحد في مراحل متعددة ، فالتعقُّل : هو أن تأتي بالمقدمات؛ لتستنبط ولترى إلى أي نتائج تصل . والتذكُّر يعني :

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، السعودية، ط1، 2000 م، ص 848.

[2] الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، دط، دت ط، ج14، ص851.

[3] سورة الحج، الآية 46.

[4] الرازي، تفسير الرازي، مصدر سابق، ج23، ص234.

ألا تنسى وألا تغفل عن الأمر الهام . والتفكُّر : هو أن تُعْمل الفكر . والفارق بين الفكر والعقل هو أن العقل أداة التفكُّر . والتدبُّر : هو ألا تنظر إلى ظواهر الأشياء ، بل إلى المعطيات الخفية في أي أمر"[1] .

إذا فالنظر هو أول العمليات العقلية التي تنطلق من المشاهدة المرئية للأشياء والحوادث، بحيث تستحث القلب للتأمل في الظواهر المشاهدة وتحريك الإرادة فيه، فيبدأ دور العقل بأول عملية وهي **التعقل** لتستقبل نواتج الإدراك الحسي (عن طريق الحواس) فتحلل هذه المعلومات الأولية، وتساهم عملية **التذكر** باستحضار المعلومات السابقة المشابهة للمقدمات الأولية أو المعاني التي تصب في إطارها وتخدمها ثم تُراكب بينها. وتنتِج صورة كاملة ذات معنى، تُحفظ داخل العقل ويتم استغلالها في وقت لاحق. ويأتي دور عملية **التفقه** بالتعمق الدقيق في هذه المعلومات والغوص في المعاني الظاهرة من الأمور واستخراج الزبدة منها، ثم تمر إلى عملية **التدبر** التي تحاول النظر في عواقب الأمور وخفايا المعاني ومعرفة الغايات والمقاصد منها – خاصة إن كانت المعلومات خاصة بالذكر الحكيم- ليتخذ **التفكر** نتائج هذه العمليات ويمحصها ويصل بها إلى حقيقة الأمر، ثم يستثمرها لمعرفة حقائق أخرى، وتأتي مرحلة **الاعتبار**، لتحدث الوعظ في القلب تنقله من حال إلى حال.

ومن هنا تتكون لنا صورة عامة عن العمليات العقلية في القرآن التي يكون التفكر أعلاها مترلة، هدفه كشف الحقائق واستثمارها للانطلاق من خلالها من عالم الشهادة وصولا إلى عالم الغيب والآخرة، مرورا بجميع العمليات العقلية.

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، مصدر سابق، مج10، 5865، 5866.

الفصل الثاني: السياقات القرآنية لموضوع التفكر

المبحث الأول: أسلوب القرآن في عرض موضوع التفكر

المبحث الثاني: ضوابط التفكر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: السياقات الواردة في موضوع التفكر

تمهيد: التفكر في السياق القرآني:

ورد مصطلح التفكر في القرآن الكريم ثمانية عشرة مرة بصيغ مختلفة وفي ثلاثة عشرة سورة، منها ثلاثة عشرة مرة في السور المكية وخمس مرات في السور المدنية، والآيات الواردة في موضوعه مرتبة على حسب ترتيب المصحف قال تعالى:

1) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

2) ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]

3) ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[3]

4) ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية 219.

[2] سورة البقرة، الآية 266.

[3] سورة آل عمران، الآية 191.

[4] سورة الأنعام، الآية 50.

5) ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

6) ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[2]

7) ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]

8) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]

9) ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]

10) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]

---

[1] سورة الأعراف، الآية 176.

[2] سورة الأعراف، الآية 184.

[3] سورة يونس، الآية 24.

[4] سورة الرعد، الآية 03.

[5] سورة النحل، الآية 11.

[6] سورة النحل، الآية 44

11) ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

12) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [2].

13) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3].

14) ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[4].

15) ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

16) ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6].

17) ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[7].

18) ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾.[8]

---

[1] سورة النحل، الآية 69

[2] سورة الروم، الآية 08.

[3] سورة الروم، الآية 21.

[4] سورة سبأ، الآية 46.

[5] سورة الزمر، الأية 08.

[6] سورة الجاثية، الآية 13.

[7] سورة الحشر، الآية 21.

[8] سورة المدثر، الآية 18.

ومن خلال الاستقراء لصيغ التفكر نجد أنه ذكر أحد عشرة مرة بصيغة (يتفكرون)، وثلاث مرات بصيغة (تتفكرون)، ومرتين بصيغة (يتفكروا)، ومرة واحدة بصيغة (تتفكروا)، ومرة واحدة بصيغة (فكّر)،ونستطيع أن نخلص إلى بعض الملاحظات على ورود هذا الموضوع في القرآن الكريم :

- استعمل القرآن الكريم للدلالة على موضوع التفكر "فعل "تفكّر" في المضارع في جميع الآيات الخاصة بالموضوع، إلا في آية واحدة هي آية المدثر فجاء فعل "فكّر" بصيغة الماضي.
- استخدام القرآن للفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجديد، بمعنى أن التفكر عملية مستمرة ومتجددة
- أصل "تفكّر" فعل ثلاثي مزيد بحرفين أصله "فَكَرَ" على وزن "فَعَل"، فزيدت الكاف للتكثير، فأصبح فكّر، ثم زيدت التاء للتكلف، فصار "تفكّر"[1] . ومصطلح "تفكّر" يتضمن المعاني الآتية: القيام بالفعل، الاستمرارية والتجدد، التكثير منه، تكلف الفعل.
- وهذه المعاني تبين أن موضوع التفكر مبني أساسا على الفعل، الذي يجب أن يكون مستمرا ومتكررا إلى درجة التكلف أين يصبح كل شيء يثير العقل، هذا التكرار يطبعه بطابع الكثرة فتصبح صفة راسخة في صاحبه، ويجدد المعاني في عقله وقلبه ويتعمق فيها أكثر "لأن ممارسة العمل مع التكرار والاستمرار تؤدي إلى العمق في معرفته والخبرة "[2].
- ورد صيغة "فكّر" في الماضي مرة واحدة في معرض الذم، والفعل الماضي فيه دلالة على توقف الفعل، إشارة الى أن صاحبه فكّر وقدّر وأخطأ تقديره توقف تفكره، وانحصر في تفكير دنيوي لم يرقى به إلى درجة التفكر.
- ورد مصطلح التفكر بصيغة الغائب " يتفكّرون"،"يتفكّروا" في أربعة عشرة آية، وبصيغة المخاطب "تتفكّرون"، "تتفكّروا" في أربع آيات.وبصيغة الجمع فيها إلا في آية المدثر "فكر" فقد وردت بصيغة المفرد. والحديث بصيغة الجمع فيه دلالة على أنه عملية عامة لا تخص فئة معينة.
- لم ترد كلمة "تفكّر" اسما ولا مصدرا ولا فعل أمر. وجاء بصيغة الفعل في جميع المواضع للدلالة على أن الهدف هو الفعل والقيام به في حد ذاته، وليس مجرد التفكر.

[1] محمد بن زيلعي هندي، مفهوم التفكر في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 64.

[2] المرجع السابق، ص 70.

- ورد مصطلح التفكر مسبوقا بالإثبات والحث على التفكر في قوله تعالى "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"، ووبصيغة الاستفهام في قوله "أولم يتفكروا"، وبصيغة الحض والتحريض"أفلا يتفكرون"، وبصيغة الترغيب والترجي في قوله "لعلكم تتفكرون".
- ورد مع صيغة "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" للدلالة على أنه عملية تكون نتائجها عبارة عن محصلة تفكر قومي؛ فما قد يغيب عن ذهن هذا يتنبه له الآخر، ذلك أن مواضيع التفكر عميقة لا يطيقها كلّها عقل الواحد، وقد يسهم كل واحد في اثرائه بحسب مجاله، فهو عملية تراكمية. جُعلت صفة أساسية لمجموع القوم.
- عرض موضوع التفكر مقترنا بآيات الله الكونية من سموات وأرض واختلاف الليل والنهار وإنزال الماء والجبال الرواسي وتنوع النبات، وخلق النحل وصنعها العسل، وآية النفس وأسرارها العميقة.كما تناولت موضوع الوحي من زاوية النبوة وعظم أثر القرآن، وبيان مقاصد التشريع. وكلها موضوعات عظيمة دقيقة تحتاج للغوص في معانيها.
- اقتران مصطلح التفكر بملكات عقلية أخرى وانفراده تارة، يوحي بأهميته وفضله والفرق بينه وبين غيره.
- ذكر التفكر في أغلبه مرتبطا بالسور المكية فقد ورد في سورة الأنعام، الأعراف، يونس، النحل، الروم، سبأ، الزمر، الجاثية، المدثر. وفي السور المدنية في سورة البقرة في موضعين، وآل عمران وفي الحشر في موضع واحد، وفي سورة الرعد على خلاف فيها، وإن كان الأكثر على أنها مكية.

وكثر وروده في القرآن المكي على المدني، لأنّ المكي يخاطب الكفار المشركين ويبني فيهم قواعد الإيمان، فاستعمل التفكر حثا لهم على معرفة الله تعالى من خلال دليلي الخلق والعناية، كما كان فيه دعوة للنظر في أمر النبوة والقرآن. أما القرآن المدني فقد جاء موضوع التفكر فيه ليبين مقاصد التشريع ويوجه إلى زيادة الإيمان والخشوع، و تثبيت أمر القرآن في النفوس المؤمنة.

وفي المباحث التالية بيانٌ أكثر للسياقات الواردة فيها الآيات وتفصيل لما ورد هنا مجملا.

المبحث الأول: أسلوب القرآن في عرض موضوع التفكر

تنوعت أساليب القرآن في عرض موضوع التفكر والحث عليه، فجاءت لتلامس في الناس نقاوة الفطرة السليمة، وصفاء العقل الهادئ، شاملة بذلك التقلبات العاطفية للنفس البشرية، وتفاوت درجات العقول والفهوم، فكانت هذه الأساليب مثالا واضحا عن شمولية القرآن الكريم لفنون الخطاب. فتراه مرة يعمل على دغدغة المشاعر واستجاشة العواطف، ومرة يحاور بالأدلة ويقيم الحجج، وتارة يقرن الخطاب بالوعيد والعقاب الشديد تماشيا مع ما جبلت عليه هذه النفس من الخوف والإنابة للأقوى، وتارة أخرى يرغب ويحفز بما تشتاق له النفوس، أو يستثير أسئلة واقعة في حياة الناس، تنبيها لهم من نوم الغفلة علّهم يعودون إلى نهج الصراط المستقيم.

المطلب الأول: الاستفهام الانكاري

الاستفهام في اللغة "طلبُ الإفهام والإفهام تحصيل الفَهْم ...وقد يكون الاستفهام لفظاً وهو في المعنى توبيخ أو تقرير"[1].

والاستفهام في القرآن "إنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات، أو النفي حاصل فيستفهم عنه، ونفسه تخبره به إذ قد وضعه الله عندها... فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف"[2].

فكل استفهام في القرآن لا يقصد الله به انتظار الإجابة من الناس، بل هو تقرير لما وقر في أنفسهم وعلموه. ثم يبين الزركشي معنى كونه إنكاريا بقوله[3]: "وتسمية هذا استفهام إنكار مِن

---

[1] العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1995م، ج2، ص129.

[2] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1391، ج2، ص327.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص331.

أنكر إذا جحد وهو إمّا بمعنى (لم يكن) كقوله تعالى ﴿أَفَأَصْفَىٰكُم﴾،[1] أو بمعنى (لايكون) نحو ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾[2] ".

وجاء أسلوب الاستفهام في القضايا التي فيها آيات وبراهين ظاهرة للعيان وبادية للعقل "فلكي يبلغ تأثيرها مبلغه من قلب المخاطب ويثير عواطفه ورغبته في التفكر والتأمل؛ جاءت على شكل أسئلة تتحدى فكره وتثير انفعالاته، وتفتح بصيرته أو تعينه على الاستبصار والتعلم بجهده الذاتي...لذلك تركت النصوص القرآنية الشريفة مجالا للمتأمل، ليجيب بنفسه عن أسئلة القرآن الكريم، ويكون جوابه مرة من المقدمات البرهانية...وتارة يصل بجوابه إلى النتيجة المطلوبة في الاستدلال أو البرهان ليجد لذة وقناعة. ثم إن عرض الآيات على هذا النمط الحواري يترك للمتعلم مجالا (للشعور بالمشكلة)، والبحث في خبراته السابقة عن حل لها، أو تنظيم خبراته السابقة تنظيما يناسب الموقف، للوصول إلى الحل المطلوب، ولإدراك العلاقة بين الدلالة المعروضة من خلق أو مطر أو رزق، وبين الهدف المنشود وهو لزوم وجود خالق رازق".[3]

لذلك استعمل أسلوب الاستفهام الإنكاري عادة كتقريع لأفعال المشركين وتوبيخا لهم على أعمالهم، وعدم استخدام عقولهم وتفكرهم في القضايا المطروحة بين أيديهم. وقد ورد مرتين بصيغة" أو لم يتفكروا" في سورة الأعراف الآية 184، وفي سورة الروم الآية 8، وورد بصيغة "أفلا تتفكرون" مرة واحدة في سورة الأنعام الآية 50.

وجاءت هذه الصيغة الاستفهامية موجهة للمشركين للتفكر في أمور قد عاينوا حقيقتها بأنفسهم، وكانت مدركة لهم وموصولة بحياتهم، وهي أمور عظيمة بالنسبة لعدم تفكرهم فيها. فآياتا الأعراف والأنعام أثارتا استفهاما حول قضية الوحي وإنزاله على الرسول صلى الله عليه وسلم، واستنكرت مُعاداتهم له وهو الذي نشأ بينهم، وسموه الصادق الأمين، وكان يحظى بالقبول

[1] سورة الإسراء، الآية 40.

[2] سورة هود، الآية 28.

[3] النحلاوي، عبد الرحمان، من أساليب التربية بالقرآن –التربية بالايات–، بحث في جامعة الإمام سعود، الرياض–السعودية، ص52

منهم حتى حكموه بينهم، وأمنوه على أموالهم، ثم يصبح في نظرهم مجنونا وساحرا وكذّابا، وهو الذي جاءهم بالهدى وتحدّاهم بكتاب أحكمت آياته من لدن حكيم خبير.

ففي آية الأنعام جاء الخطاب للرسول ليبين لقومه ماهية رسالته وطبيعة بعثته، فأمره الله أن ينفي لهم ما طالبوه به من معجزات وخوارق، يقول الزمخشري: " أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائنِ الله وهي قسمة بين الخلق وأرزاقه، وعلم الغيب، وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه. أي لم أدّع إلهية ولا ملكية؛ لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزل الملائكة، حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها. وإنما أدّعي ما كان مَثَله لكثير من البشر وهو النبوّة "[1]. فما عرضه النبي صلى الله عليه وسلم من كونه رسولا ليس بدعا في حياة الناس بل هناك من سبقه إليه من البشر، فليس أمرا غريبا ولا جديدا، ثم قرن هذا البيان بمَثَل ضربه لبُعد الاستواء بين الأعمى والبصير، ليدلل على الفرق الشاسع بين الضال والمهتدي وبين من يسمع الحجج فيخضع وبين من تأخذه العزة بالإثم فيعمى عن رؤية الحق. لذا ختم الآية بسؤال على وجه التبكيت والتقريع لعدم تفكرهم واستخدامهم عقولهم بالنظر في أمر النبوة، و لم يكن ينتظر منهم الجواب، فالجواب واضح وضوح الشمس لمن تأمل في صورة الاستواء بين الأعمى والبصير "فإن قالوا: نعم،كابروا الحس، وإن قالوا: لا، قيل: فمن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير، ومن أعرض عنها فهو الأعمى، ومن سوى بين الخالق وبين شيء من خلقه فهو أعمى العمى؛ ثم أمره بعد الإنكار للتسوية بينهما بأن ينكر عليهم فساد نظرهم وعمى فكرهم بقوله:(أفلا تتفكرون) أي فيردكم فكركم عن هذه الضلالات.."[2].

ومثلها آية الأعراف التي جاءت لتوبيخ الكافرين على اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون قال الطبري: "أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أن رسولَنا الذي أرسلناه إليهم، لا جنَّة به ولا خَبَل، وأن الذي دعاهم إليه هو الرأي الصحيح، والدين القويم، والحق المبين"[3].

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، دط، دت ط، ج2، ص25.

[2] نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، مصدر سابق، ج2، ص 641.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م،ج13، ص289.

إذن فالمقام هنا هو مقام تفكر في حال النبي ودعوته ، وورود الاستفهام تعجبا للطريقة التي ينظرون بها إلى الأمور بها، فهذا الذي ولد منهم وعاش بينهم، وعرفوا حاله وخبروا معدنه وصفاته ورزانته، ثم يصفونه بالجنون كِبرا وعنادا ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[1] وقال تعالى:﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾[2].وهو الذي بعث لينذرهم يوم الحساب ويبين لهم العقاب والعذاب المقدر لكفرهم."أي هو نذير مبين لا مجنون كما يزعمون، وفي هذا استغباء أو تسفيهٌ لهم بأن حاله لا يلتبس بحال المجنون للبون الواضح بين حال النذارة البينة وحال هذيان المجنون. فدعوى جنونه إما غباوة منهم بحيث التبست عليهم الحقائق المتمايزة، وإما مكابرة وعناد وافتراء على الرسول "[3].

وفي آية الروم جاء الاستفهام بصيغة التعجب قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾[4]، وهذه الآية وردت بعد الحديث عن غفلة الناس عن يوم القيامة والانشغال بالدنيا قال ابن عاشور:" والاستفهام تعجيبي من غفلتهم وعدم تفكرهم. والتقدير هم غافلون وعجيب عدم تفكرهم. ومناسبة هذا الانتقال أن لإحالتهم رجوع الدَّالة إلى الروم بعد انكسارهم سببين: أحدهما: اعتيادهم قصر أفكارهم على الجولان في المألوفات دون دائرة الممكنات، وذلك من أسباب إنكارهم البعث وهو أعظم ما أنكروه لهذا السبب وثانيهما: تمردهم على تكذيب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد أن شاهدوا معجزته فانتقل الكلام إلى نقض آرائهم في هذين السببين "[5].

وقد وردت الآية للتدليل على قضية البعث وهي من أهم قضايا العقيدة التي جاء القرآن يدعو للتفكر في مقدماتها الظاهرة في حياة الناس، وذلك بالتفكر في النفس البشرية وغاية وجودها ومحلها بعد نهاية أجلها، ومن بعدها النظر في السموات والأرض أين يدرك أن لكل شيء في هذا الوجود نهاية، ويتفطن بعدها إلى حقيقة اللقاء الأخروي، والحساب والجزاء .هذه الحقيقة التي يسعى

---

[1] سورة الحجر، الآية 06.

[2] سورة الدخان، الآية 14.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج9، ص195-196.

[4] سورة الروم، الآية 08.

[5] المصدر السابق، ج21، ص51.

الناس لإنكارها لظنهم الخلود في دار الدنيا. لذا قال الألوسي:" أو لم يتفكروا" إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة "[1].

وبهذا يظهر هدف استخدام أسلوب الاستفهام الانكاري كمحرض على التفكر كونه شديدا على أنفس الكافرين ويحمل في طياته الإنذار بالوعيد، وبهذا يمنحهم فرصة للتفكر العميق ثم الإجابة السليمة عن هذه الأسئلة الموجهة إليهم بعدها الإستجابة التلقائية لنداء الفطرة وداعي الحق.

المطلب الثاني:سرد القصص

القصة هي أحد أساليب الهداية في القرآن الكريم، لما فيها من سحر يطغى على النفوس لأن الإنسان بطبعه مولع بتتبع الأخبار ومعرفة الأحوال، ولأنها تجعل الإنسان يعيش وقائعها وكأنه يحضرها في وقتها فيعيش بإحساسه وعقله الموقف القصصي، ما يطبع نتائج القصة وعبرها داخل نفسها ويتمكن تأثيرُ القصة منه، وهو الغرض الذي سيقت من أجله القصة في القرآن.

ونظرا لتأثيرها الكبير، كثر استعمالها في القرآن، وقصص القرآن كلها قصص واقعية قد حدثت في غابر الزمن ومحتملة الوقوع في المستقبل، لأن ورود القصة كان لمعالجة مواقف وأفكار هي موجودة في كل عصر ولبث معاني يحتاجها الإنسان في طريقه في هذه الحياة، لذلك حرص القرآن على بيان العاقبة والجزاء والعبرة في نهاية كل قصة ليتحقق الهدف منها.

وحث القرآن الكريم في النظر في قصص الأمم السابقة والشخصيات الماضية للاتعاظ والاعتبار بها، وتمتاز صياغة القصة بإيصال المعنى في قالب سهل يشد القارئ فيثير انتباهه ويرسخ في الذهن، كما تعمل على هز العقول ودغدغة المشاعر، وتغيير السلوك، وتجديد الهمم، وزيادة خبرات الإنسان والانتفاع بخلاصة تجارب السابقين. فهي أسلوب دقيق يأخذ بالألباب يلخص المعنى في أسمى صورة وأبدع عبارة، لأنها تعتمد على أسلوب المشاركة الوجدانية بحيث تجعل قارئها ينفعل بعواطفه مع الأحداث وكأنه يعيشها وتستحضر أسلوب الإقناع العقلي من خلال الدعوة للتفكر فيها وأخذ العبرة وتذكر الدروس الإيمانية والحياتية. ما يجعل قارئها لا يملّ منها ويستشف في كل مرة معنى جديدا. وتكرار القصة في القرآن "يوضح لنا أن الله لا يريد أن يعلمنا تاريخاً، لكنه يعلمنا كيف نأخذ العبرة من التاريخ، بدليل أنه يكرر القصة أكثر من مرة وكل مرة يأتي سبحانه بلقطة

[1] الألوسي،تفسير روح المعاني، مصدر سابق، ج21، ص22.

جديدة، لتعدد ما في القصة الواحدة من العبر، ولو أنه أراد أن يقص علينا التاريخ لقال لنا روايته مرة واحدة"[1].

وتتخلل القصة آيات القرآن في دقة متناهية تبين فيها الأحكام الشرعية، وتربط الحقائق الإيمانية بالوقائع العلمية باستخدام العمليات العقلية واللمسات النفسية، لتثبت قضايا العقيدة، خاصة ما يتعلق بالوحدانية وتأكيد جلال الأسماء والصفات، وبيان العداوة بين الإنسان والشيطان، كما تعرض أساليب الأنبياء في الدعوة، والعوائق التي صادفتهم ما يسلي قلب الرسول والمؤمنين ويدفع بقافلة الدعوة للسير قدُما، ويلخص سيد قطب هدف القصة بقوله :"يتمثل في إثارة الفكر البشري ودفعه للبحث عن الحق، وتقديم خلاصات للتجارب البشرية، والخروج بالعبر والعظات والسنن التي تحكم حركة الإنسان ومصيره وإزاحة ستار النسيان عنه، وإمداده بطاقات تضيء له الطريق، وتساعده على مقاومة الإغراءات تجنباً للمصير السيئ، فتساعده على الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة. "[2] . وقدبلغ قصص القرآن النهاية في الإعجاز من حيث السياق والفصاحة والبلاغة، وكذلك من حيث اشتماله على العبر والعظات والعجائب والفرائد.

لأجل هذا كانت القصة القرآنية مدعاة للتفكر فيها، فالاعتبار لا يكون إلا بعد النظر في الدلائل، ومن القصص التي وردت في موضوع التفكر قصة تابع الهوى الذي أتاه الله الآيات لكنه انزوى عنها ورضي بسفاسف الأمور. وقد وردت قصته في سورة الأعراف التي تدور آياتها حول النهي عن الشرك وتكذيب آيات الله وبيان عداوة الشيطان للإنسان، وفيها أيضا عرض لآيات التوحيد وتذكير بالبعث وعرض لقصص الأقوام السابقة مع تطويل في قصة موسى عليه السلام لأنها تشتمل على جل معاني السورة وتسلية للرسول وأصحابه.

فهي سورة جاءت لتبين أسباب الهداية والضلال، فوافق أن ترد فيها قصة المنسلخ من آيات الله. قال تعالى ﴿ **وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ**

[1] تفسير الشعراوي، مصدر سابق، مج 7، ص4463.

[2] أنظر قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة–مصر،دط، دط ت، ص144-155.

﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾[1]

وردت هذه الآية بعد نهاية قصة موسى عليه السلام وذِكر الميثاق الذي أخذه على بني البشر والذي يلزمهم بالإنصياع لله تعالى، وينبههم من الركون للغفلة والتقليد الأعمى واتباع الهوى، هذا الأخير الذي ساق في شأنه هذه القصة، لأنه أشد عامل في ضلال الإنسان عامة وبني اسرائيل خاصة، والتي كما جاء في التفاسير فإن قصة هذا الرجل تخص عالما من العلماء آتاه الله آياته اختلفوا على تسميته فقد أورد الطبري[2] عن ابن مسعود و ابن عباس أنه بلعم ابن باعوراء وهو من بني اسرائيل، كما ذكر رواية [3] عن عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنها نزلت في أمية بن أبي الصلت، و هي رواية رجحها الطاهر بن عاشور، وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره[4] رواية عن ابن عباس أنها في زوج البسوس وهي من بني اسرائيل أعطي ثلاث دعوات مستجابات أذهبها على زوجته، وروايات أخرى ملئت بها كتب التفسير أغلبها من الإسرائيليات لا يمكن الاعتماد عليها لعدم ثبات صحتها، والمختار أن هذه الآية عامة في كل من كانت هذه حاله وصفته، فالإبهام بصلة الموصول "الذي" يدل على أن الله كان قادرا على ذكر اسمه وعرض قصته بالتفصيل كما يفعل مع قصص الأنبياء، لكن لعدم حصول نفع من ذلك اقتصر على جوهر القصة، مستعينا بمثل بليغ ليعظم البيان ويحصل الاعتبار.

بدأت القصة بالأمر الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ عليهم قصة ذلك العالم الذي آتيناه العلم وحججه. فأصبح عالما ربانيا، وهذه الآيات كانت من نعم الله عليه وتوفيقه له، و لم تكن بتحصيله لها وجهده، لكنّه كفر بها فأعرض عنها ونبذها وراء ظهره. وشبّه هذا الإعراض بالإنسلاخ كانسلاخ الجلد من الشاة، "وحقيقة السلخ كشط الجلد وإزالته بالكلية عن المسلوخ عنه، ويقال لكل شيء فارق شيئاً على أتم وجه انسلخ منه، وفي التعبير به ما لا يخفى من المبالغة"[5].

---

[1] سورة الأعراف، الآية 175-176.

[2] جامع البيان، الطبري، مصدر سابق، ج13، ص354،253.

[3] المصدر نفسه، ج13، ص255-257.

[4] الرازي، ابن ابي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله والصحابة والتابعين، تح محمد أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض-السعودية، ط1997،1م،،ج5، ص1618،1617

[5] الألوسي، تفسير روح المعاني، مصدر سابق، ج9، ص111.

وإسناد الفعل له ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ يدل على أنه كان باختيارٍ منه، ما سهّل وصول الشيطان له بعد أن كان محجوبا عنه بآيات الله وعلمه، فأصبح من الغاوين. والغواية بمعنى الإنهماك في الغي والضلال.

ويذكر الله في الآية التي بعدها أنه لو رأى فيه خيرا لرفعه بتلك الآيات إلى المقام الأعلى، ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ وأسند الرفعة له جل وعلا لأنه هو الموفق لها، قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[1] لكن سبق علمه تعالى بأنه سيختار الخلود والميل والنزول إلى الأرض بمعنى الإنحطاط والهوان، فقد رضي بالدنيا لمّا تزينت له وسار وفق هواه فيها، فاجتمع عليه الشيطان والهوى فضاع في الدنيا وأضاع الآخرة.

هذه هي القصة التي تتكرر في كل زمان ومكان ومع كل عالم لم ينفعه علمه، إذ لم يقده إلى العمل، وليبين الله عظم الظلم الذي ارتكبه هذا العالم الجاهل في نفسه، ويوضح صورته ومكانته مثّل له بحيوان هو الأكثر خسة في مجموع الحيوانات، وهو الكلب ومن يقبل أن يشبه به، ثم بين محل التشابه.﴿ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾ فهو حيوان دائم اللهاث في حال التعب أو الراحة، والعالم الجاهل دائم اللهفة على الدنيا والحرص على ما يَطيب له هواه لا يشبع منها ، ثم جاء بالتعميم في نهاية الآية وضربه مثلا للمكذبين بآيات الله ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ ﴾ ، فهم أيضا جاءهم نور الله ودعاهم داعي الهدى فأبوا واتبعوا أهواءهم ،فكانوا بمنزلة الكلب عند الله. ويُذكَر أنّ حالة اللهاث طبيعية في الكلب لضيق في مجاري تنفسه إلّا أنها في المكذبين حالة مكتسبة تخالف ما فطروا عليه والعهد الذي واثقوا الله به.

وفي فاصلة الآية "تذييل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، فإن في القصص تفكراً وموعظة، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم، لأن للأمثال واستحضار النظائر شأناً عظيماً في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة، لما في التنظير

[1] سورة المجادلة، الآية11.

بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس"[1].

ومن جميل القصص التي سردها القرآن على الناس تستحثهم معانيها على التفكر في ملكوت الله قصة سيدنا ابراهيم مع عبدة الكواكب الواردة في سورة الأنعام، رغم أنه لم يرد فيها التفكر كمصطلح إلا أن معانيها تشير إليه وتبرز دوره في هداية البشر يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2]

وهذا المنهج الحكيم الذي سار عليه سيدنا ابراهيم عليه السلام في نقض دعوى قومه؛ من أن الكواكب آلهة تعبد هو من فيض التفكر في ملكوت الله، ليجعلها سنة باقية في قومه ومن بعدهم، لمن أراد السير على طريق البحث الجاد الموصل إلى الحقيقة، فأراه الله سبيل التفكر في الكون ليقوى إيمانه ويصل إلى "درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى، وهذا لا يقتضي سبق الشك كما لا يخفى"[3]. والقصة تبدأ بانتظار ابراهيم الليل ومسايرته لقومه في عبادة الكواكب، فلمّا تبدّى له أحد الكواكب أظهر أمام قومه اعترافه له بالربوبية، لكن هذا الكوكب ما لبث أن اختفى، هنا سلك سيدنا ابراهيم طريق العقل، ليبين لقومه كيف يعقل أن يعبد إله يأفل ويختفي، وأين يذهب إذا إفل، ومن سيخلفه ويسير الكون في هذه الحال، وهذا دليل على ضعفه وعجزه. هذا ما أراد أن يصل قومه إليه بقوله ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾. ثم عاد يبحث عن كوكب آخر يصلح لأن يعبد، فرأى القمر وضاءً بنوره باهي الجمال، فأظهر لقومه استحقاقه للربوبية، لكن وجد أنه كسابقه يختفي، هنا كان على عقول البشر بمبادئها البسيطة أن تعي خطأ عقيدتها ومنهجها، ما أقام عليهم الحجة بضلالهم، قال الألوسي

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج9، ص 179.

[2] سورة الأنعام، الآية 75-79

[3] تفسير روح المعاني، الألوسي، مصدر سابق، ج7، ص198.

نقلا عن ابن المنير: "وإنما ترقى عليه السلام إلى ذلك، لأن الخصوم قد أقامت عليهم بالاستدلال الأول حجة ،فأنِسوا بالقدح في معتقدهم ولو قيل هذا في الأول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال، فما عرض لهم عليه السلام بأنهم على ضلالة إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعهم له إلى آخره"[1]. ومجاراةً لقومه واستدراجا لهم ليكملوا بقية الإستدلال، وجّه نظره إلى الشمس وقال﴿ **هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَآ أَكۡبَرُ**﴾، فالنظر فيها يدل على أنها أكبر الكواكب وأعظمها نورا، إذا هو الرب الذي يجب أن يعبد بلا شك، ومع أفولها ظهرت البراءة التامة من عبادة هذه الكواكب، وتحقق إعلان الخضوع التام لخالق السموات والأرض دون إشراك لأي كوكب في فرض العبودية له.

بهذا التدرج وهذه المرونة وباستعمال طريق التفكر اهتدى ابراهيم عليه السلام إلى محاججة قومه وابطال دعاويهم ومعتقداتهم، مشيرا أن الإله الأعظم يجب أن يتقبله العقل والحس معا، وهذه الكواكب تخالف بديهيات العقل في تصور عظمة الإله، ولا تتوافق مع مقتضيات الإحساس بالربوبية، فكيف يليق بكم أن تعبدوه. لهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**نحن أحق بالشك من ابراهيم...**"[2]

إن التفكر في قصة المنسلخ من الآيات، وقصة ابراهيم عليه السلام، هما نموذجان من مجموع قصص القرآن، يوحي بهدف القرآن من الدعوة للتفكر في قصصه واستخلاص العبر منه، كي يلامس الإيمان القلوب الضالة، ويزين اليقين القلوب المسترشدة، ولم يكن هدفها التثقيف فقط.

المطلب الثالث:ضرب الأمثال

اعتمد القرآن أسلوب ضرب المثل كلون من ألوان الهداية الربانية، وأسلوبا من أساليب البيان الإلهي، يعالج فيها قضايا التوحيد وأحكام الشريعة وإقامة الحجة عليها، ويعرض الحقائق ليقربها من الأفهام ويوضح خفاياها، بما يحفل به من حكم ومواعظ مجملة ومختصرة ذات طابع عقلي وجداني. وقد جاء ذكر الأمثال في آيات كثيرة قال تعالى ﴿**وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ**

---

[1] المصدر السابق،ج7، ص 200.

[2] البخاري، عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت–لبنان، ط3، 1987، عن أبي هريرة،كتاب الأنبياء، باب: قوله عز و جل (ونبئهم عن ضيف إبراهيم)، ج3، ص1233 رقم الحديث 3192.

﴿ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[1]، وقال أيضا ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2] .

والمثل عند ابن فارس "الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على مناظرَة الشّيءِ للشيء"[3] فهو في اللغة بمعنى الشبيه والنظير، ويعرفه الإمام أبو السعود بقوله: "وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف"[4] .ويزيده صاحب المنار وضوحا بقوله هو: "تمثيل المعاني المعقولة بالصور الحسية وعكسه"[5]. وذكر الزركشي أنه سمي مثلا "لأنه ماثلٌ بخاطرِ الإنسان أبدا، أي شاخص، فيتأسى به ويتعظ ويخشى ويرجو"[6].

ويرد المثل في القرآن ليبرز مبادئ الإيمان والكفر، ومشاهد الدنيا والآخرة، وحقائق البعث والجزاء،كصور محسوسة معيشة في حياة الإنسان، ليقرب المراد من العقل ويبين له عِظم المشبه، لأنه "قياس معنى بشيء؛ من عرف ذلك المقيس فحقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة"[7]، وفي هذا ترسيخ للصورة في القلب وتثبيت للمعنى في الذهن.

وجاء في الإتقان عن الأصبهاني قوله: " لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد"[8] . فهي طريق يسير للوعظ والاعتبار لأنه "ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع صورة الجامح الأبي"[9].

---

[1] سورة الكهف، الآية 54.

[2] سورة ابراهيم ، الآية 25

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص 296

[4] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص 50.

[5] تفسير تفسير المنار، رشيد رضا، مصدر سابق، ج1، ص 140

[6] البرهان في علوم القرآن، الزركشي،مصدر سابق، ج1، ص 487.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص 487.

[8] الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، تح: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت– لبنان، ط1، 1996م،ج2، ص403.

[9] أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مصدر سابق، ج1، ص 50.

واهتم القرآن بهذا اللون البلاغي لما له من قوة على النفس البشرية تطغى على انفعالاتها وتوجه فكرها وتحركه ليستبين التشخيص الحسي للأمر المجرد عبر صور بيانية ذات طابع فني تحقق المقصود؛ من تصحيح للعقائد وتهذيب للسلوك واكتساب للأخلاق والتزام بالنهج الصحيح، بأبلغ معنى وأوجز عبارة، يتحرك خلالها الفكر لتجلية معانيها، قال تعالى ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ** ﴾[1]. فهي تحتاج إلى إعمال عقل مع علم بالمحسوسات كي يتبين المخفي من الحكم والعبر. يقول السعدي في بيان صفة العالمين وقيمة الأمثال: "هم أهل العلم الحقيقي الذين وصل العلم إلى قلوبهم. وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها اللّه في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء اللّه بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها"[2]. فكان واجبا على تالي كتاب الله أن يتمعن في أمثاله ويفهمها ويعرف المراد الله منها باستخراجه للحكم المقصودة منها.

وتتميز الأمثال القرآنية بجودة العبارة، وبلاغة التشبيه وإصابة المعنى،مع مراعاة جميع أبعاد المثل العقلية والعاطفية والمكانية والزمانية إضافة إلى صدقها وواقعيتها. ووسيلة ذلك كله إبداع التصوير في المشهد المثلي، هذه الميزة التي تبرز المعاني في مشاهد حركية محسوسة. يقول سيد قطب "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[3].

---

[1] سورة العنكبوت ، الآية 43

[2] السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن، مصدر سابق، ص 631.

[3] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص36.

وارتبطت الأمثال بموضوع التفكر في خمس آيات كريمات، وذلك لدقة معانيها الخفية التي تتطلب جهدا وتركيزا لاستبيانها.

فالآية الأولى هي آية سورة البقرة عند قوله تعالى﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن مجموعة أمثال ساقها الله في موضوع الإنفاق في سبيله تبدأ من قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[2] إلى آخر قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[3]

من المفسرين من يعد أن هذا المثل ضرب للمنفق المرائي[4] ، ومنهم من يقول ضرب مثلا للمرائي بأعماله[5] ومن المفسرين من يعدّه ضُرب للذي عمل بالطاعة في حياته ثم ختمها بعمل سيئ أذهب ما كان يعمل[6]. وأخرج البخاري في صحيحه، عن عبيد بن عمير قال : قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فيم ترون هذه الآية نزلت { أيود أحدكم أن تكون له جنة}؟. قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر: يا أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل،

---

[1] سورة البقرة، الآية 266.

[2] سورة البقرة، الآية 261.

[3] سورة البقرة، الآية 266

[4] أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001 م، ج2، ص326. وذكره الطبري عن السدّي قال: هذا مثل آخر للمرائي.وهو المرجح عنده ، وروى عن ابن زيد: هو مثل للمان في الصدقة، وقال مجاهد، وقتادة، والربيع: للمفرط في الطاعة.

[5] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ج1، ص341.

[6] الجوزية، ابن القيم، التفسير القيم، جمعه محمد أويس الندوي، تح محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت ط، ص165.

قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر لرجل غني يعلم بطاعة الله عز و جل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله"[1]

وبدأ هذا المثل بإستفهام انكاري في قوله "أيود أحدكم" والود هو محبة الشيء الكاملة مع تمنيه، وجاء بصيغة أحدكم ليدل أن الخطاب فردي لكل إنسان، فالإنسان أناني بطبعه ولا يوجد من لا يحب لنفسه أن يمتلك مثل هذه الجنة، والتي وصفها الله سبحانه وتعالى بأعظم صفات الجنان؛ فقد حَوَت أكرم الشجر من نخيل وأعناب وأكثرهما نفعا، مياهها تجري أنهار، وفيها من كل صنوف الثمار. ليأتي بعدها على وصف حال صاحبها بأشد صفات الحاجة والحرص؛ فقد أصابه الكبر، وكان له عيال صغار لا يقدرون على كسب قوتهم، وكانت هذه الجنة مورد رزقهم فعظم حرصه لجني ثمارها، فإذا هم كذلك حتى أصاب الجنة إعصار شديد وهو ريح قوية تدور حول نفسها حتى تشكل عمودا في السماء وفي جمع الإعصار مع النار معنى آخر "فلو اقتصر على ذكر الإعصار لكان كافيا ولكن لما علم الله سبحانه أن مجرد الإعصار لا تحصل به سرعة الهلاك كما يحصل إذا كان فيه نار، قال سبحانه (فيه نار)؛ ثم أخبرنا بإحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا يقوم احراقها باطفاء أنهارها وتجفيف أوراقها وثمارها فأخبر بإحراقها احتراسا من ذلك، وهذا أحسن استقصاء وأتمه بحيث لم يبق في المعنى موضع استدراك"[2].

والتفكر في مورد المثل ومضربه يوحي لنا بالتشابه الكبير بين الحالتين من ناحية وجه الشبه وهو "حصول خيبة ويأس في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج "[3]. فالإنسان الذي يعمل بالعمل الصالح ويكثر من الخير تكون حسناته جنة عامرة فيها كل صنوف العمل الصالح، حتى إذا كبر في آخر عمره، وضعف جهده عن العمل وفِعلِ الحسنات، عمل عملا سيئا كان كالإعصار ذهب بكل أعماله وأحرق حسناته". . ولهذا قال الحسن" هذا مثل قلَّ والله من يعقله من الناس شيخ كبير

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، كتاب التفسير، باب باب قوله{ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب } ج4، ص1650، رقم الحديث 4264.

[2] بخش،ملك حسن عبد الرزاق، أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف :عبد الفتاح لاشين، 1409-1410هـ، جامعة ام القرى ، السعودية ، ص 141، 142.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص53.

ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا"[1]

واذا أخذنا قول من قالوا أنه مثل للمنفق المرائي تبين لنا أن ثواب هذه الصدقات كان كالجنة، حتى إذا كان صاحبها في يوم القيامة و لم يكن يستطيع حينها أن يعمل صالحا، وكانت حسناته ضعيفة وهو في حاجة شديدة لثواب هذه الصدقات، جاء صفة الرياء كإعصار شديد أحرقت ثواب هذه الصدقات، وضاع ما كان يؤمل عليه وعظمت حسرته.

ويقارن الإمام ابن القيم بين المنفق المرائي والذي تحول عن عمل الخير بقوله: "وتأمل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان بالصفوان الذي عليه التراب فإنه لم ينبت شيئا أصلا بل ذهب بذره ضائعا لعدم إيمانه وإخلاصه. ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصا بنيته لله ثم عرض له ما أبطل ثوابه ... فإن هذا نبت له شيء وأثمر له عمله ثم احترق والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب وشفاء للصدور وهدى ورحمة"[2]

وختم الله هذا المثل بالدعوة للتفكر فيما بينه الله من حكم وعبر فيه "هذا المثل الرائع المحكم الذى تتسع آفاق الفكر فى إدراكه، فينال كل منه بمقدار إدراكه...لتتفكروا وتتأملوا آيه، وتدركوا مراميها القريبة والبعيدة"[3]. ولكي يحسن الناس التفكر في عواقب الأعمال ونتائجها وأسبابها وغاياتها. ولهذا سأل عمر عنها من حضره من الصحابة ليثير انتباههم للتفكر فيه .

والآية الثانية التي يدعو الله فيها عباده للتفكر في مثلها قوله تعالى﴿ **قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾[4]

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج2 ص 237.

[2] ابن القيم الجوزية التفسير القيم، مصدر سابق، ص 165.

[3] محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ص 995.

[4] سورة الأعراف، الآية 184.

وهو مثل خاص بموضوع النبوة ورد في معرض الحديث عن الذين يكذبون بآيات الله المنزلة على نبيه، فأمر الله الرسول أن يقول لهم أن ما يطلبونه منه ليس في مقدوره، "ولأن أمر الرسالة في خيالهم ينافي البشرية التي حقرها في أنفسِهم جهلُهم وسوءُ حالهم وفسادُ أعمالهم"[1]. فنفى عن نفسه قدرة التصرف في خزائن العطاء والإحاطة بالعلم الغيب وما خفي من أمورهم في المستقبل مما هي من خصائص الإله، ثم نفى عنه خصائص الملك وقدرته على الخوارق مما ليس في إمكان البشر، ليبين لهم أن حقيقة الرسالة تكمن في كونه بشرا أُرسل إلى بشر؛ ليعايش واقعهم ويحس بهم فيكون قدوة وأسوة لهم حتى يلتزموا ما جاءهم به، فهو رسول يتبع ما جاءه من عند الإله العظيم فإذا بدت هذه الحقيقة فمن أعرض عنها فهو مِثل الأعمى، "وشبّهت حالة من لا يفقه الأدلّة ولا يفكّك بين المعاني المتشابهة بحالة الأعمى الذي لا يعرف أين يقصد ولا أين يضع قدمه. وشبِّهت حالة من يُميِّز الحقائق ولا يلتبس عليه بعضها ببعض بحالة القويّ البصر حيث لا تختلط عليه الأشباح. وهذا تمثيل لحال المشركين في فساد الوضع لأدلّتهم وعُقم أقيستهم، ولحال المؤمنين الذين اهتدوا ووضعوا الأشياء مواضعها، أو تمثيل لحال المشركين التي هم متلبّسون بها والحال المطلوبة منهم التي نفروا منها ليعلموا أيّ الحالين أولى بالتخلّق"[2] .

وقدم العمى فى الذكر على البصر؛ لأن المشركين يدّعون أنهم مع ضلالهم وجهلهم وبعدهم، أعلى من أتباع النبي (صلى الله عليه وسلم) من المؤمنين، وذلك لكثرة أموالهم وقلة أموال المؤمنين، فبيّن سبحانه أنهم لا يمكن أن يساووهم فضلا أن يعلوا عليهم، لأن الأعمى ولو غنيا لا يساوى المبصر ولو فقيرا "[3]. لهذا جاء بعدها بأداة التحضيض (أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ) وفيه تحريض على التفكر والتمييز بين الضلال والهدى.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ**

[1] رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج7، ص 352.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج7، ص243.

[3] محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ص2510.

قَدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

وهو مثل ساقه الله بعدما ذكر بغي الناس في الأرض وافسادهم فيها، وهوان الآخرة في قلوبهم مقابل عظم الدنيا وزينتها عندهم. واستعمل المثل لأنه أبلغ في الوصف وأقرب لاصابة المعنى وأكثر تأثيرا في النفوس، لأن الحديث عن الدنيا والآخرة من الأمور المجردة التي لا يستطيع الإنسان استحضارها أو تصورها، لذلك فالكلام عنها لا يقنع كما يقنع في حال التصوير بصورة الأرض التي هي بين ناظريهم يوميا فهي حقيقة يدركها الكبير والصغير.

واستهل المثل بقصر دورة هذه حياة الدنيا على دورة حياة النبات بكلمة (إنما) وهي "هنا لتشير إلى أن قصر الحياة الدنيا على هذا المثل المصور لبدايتها ونهايتها، أمر واضح معلوم لا يجوز لذي عقل أن ينكره، فما أشد جهل أولئك الغافلين عن هذه الحقيقة، المطمئنين لهذه الحياة الدنيا[2].

وتم تشبيه الماء النازل من السماء بالخيرات والنعم النازلة من عند المولى، ووجه الشبه بين الصورتين أن الماء هو سبب حياة النبات، وكانت النعم التي أعطاها الله للناس من مال وجاه وعلم وصحة وشباب هي سبب إفتتان الناس بالدنيا. قال ابن عاشور: "شُبه به ابتداء أطوار الحياة من وقت الصبا إذ ليس ثمة سوى الأمل في نعيم العيش ونضارته،فذلك الأمل يشبه حال نزول المطر من السماء في كونه سبب ما يؤمَّل منه مِن زخرف الأرض ونضارتها"[3]

فاختلط هذا الأمل الناتج عن هذه النعم بحياة الناس فازدهرت وطاب عيشهم بسرعة، لذلك جيء بفاء التعقيب، والاختلاط لأن هذه النعم امتزجت بحياة الناس بحيث لم تعد منفصلة عن حقيقة الدنيا وبدت مظاهر زينة لها. كما اختلط الماء بالنبات و لم يعد يبين أمام نضارة النبات.

وقوله ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يشمل أنواع النبات التي يأكلها الإنسان والحيوان، وفي هذا تجميع لكل أنواع النبات والثمار والشجر والكلأ "وذلك يتضمن تشبيه معالي الأمور من نعم الدنيا التي تسمو إليها الهمم العوالي بالنبات الذي يقتاته الناس، وتشبيه سفاسف الأمور بالنبات

---

[1] سورة يونس، الآية 24.

[2] ملك بخش،أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 15.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج11، ص142.

الذي يأكله الأنعام، ويتضمن تشبيه الذين يجنحون إلى تلك السفاسف بالأنعام"[1]، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ فيه وصف لنمو النبات ونضوجه وتكاثره وتنوعه، "وذلك لأن التزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء. فجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس إذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون"[3]. وتزينت لتحلو في عين زوجها، وعظم رجاء أصحاب الأرض فيها وظنوا أن خيراتها لهم ولن يمنعهم أحد، وفي هذا إشارة إلى زخرف الدنيا وملذاتها وبهجتها وتزينها في عين طلابها حتى ظنوا أنه لا حائل بينهم وبين التمتع الدائم بها ونسوا العمل للدار الآخرة.

وقوله تعالى﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾ يعني جاء أمر الله بالهلاك فأصبحت كالأرض المحصودة؛ بيانا أن أمر الله سبق أمر صاحبها بحصادها والانتفاع منها، حتى إذا رأيتها كأنها لم تكن ذات بهجة. ما أصاب صاحبها بالحسرة والندامة، ومِثلُها الدنيا إذا جاء أمر الله باهلاكها وقيام القيامة وتغيرت حالها وتقلبت شؤونها و لم يجد صاحب الدنيا حينئذ ما ينفعه. وجملة ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ تشير إلى قصر مدة التمتع بها، ولو كانت في نظر الإنسان طويلة.

لمثل هذه الحكم والعبر ختم الله الآية بالدعوة للتفكر في هذا المثل بعد أن فصل الآيات؛ببيان مراحل نمو النبات من بداية النشأة إلى عاقبته، كما أن فيه بيان" علامات غرور الدنيا وزوالها لكيلا يغتروا ونبين بقاء الآخرة ليطلبوها، لقوم يتفكرون بأمثال القرآن ويعتبرون بها"[4]، لهذا عقب على

---

[1] المصدر السابق، ج11، ص142.

[2] سورة محمد ، الآية 12

[3] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج17، ص238.

[4] السمرقندي، أبو الليث ، بحر العلوم، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، دت ط، ج2، ص111.

هذه الآية بالدعوة إلى الدار الباقية بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1] .

والمثل الرابع الذي ورد بشأنه التفكر هو قوله تعالى في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]

وقصة المثل وردت في المطلب السابق[3] وقد ضربه الله مثلا "للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم على ما أيدها به من الآيات العقلية والكونية، وهو مثل من آتاه الله آياته فكان عالما بها حافظا لقواعدها وأحكامها، قادرا على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفا لعلمه تمام المخالفة فسلبها"[4].

وتشبيه هذا العالم بالكلب لتشابههما في الحال فالكلب دائم اللهاث في حال الإعياء أو الراحة عادة وطبيعة فيه. يقول الرازي: "وهو مواظب عليه كعادته الأصلية، وطبيعته الخسيسة، لا لأجل حاجة وضرورة. فكذلك من آتاه الله العلم والدين أغناه عن التعرض لأوساخ أموال الناس، ثم إنه يميل إلى طلب الدنيا، ويلقى نفسه فيها، كانت حاله كحال ذلك اللاهث، حيث واظب على العمل الخسيس، والفعل القبيح، لمجرد نفسه الخبيثة وطبيعته الخسيسة، لا لأجل الحاجة والضرورة"[5].

---

[1] سورة يونس، الآية 25

[2] سورة الأعراف، الآية 175،176.

[3] المطلب الثاني: سرد القصص، ص50.

[4] رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج9، ص 340.

[5] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج15، ص406.

واختيار الكلب للتشبيه لأنه: "من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرا وأخسها نفسا وهمته لا تتعدى بطنه وأشدها شرها وحرصا ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه[1] في الأرض يتشمم"[2]، وبهذا يشبهه العالم الحريص على اتباع هواه واللاهف على الدنيا. وذيلت الآية بالدعوة للتفكر "رجاء أن يتفكروا فيه فيحملهم سوء حالهم، وقبح مثلهم على التفكر والتأمل، فإذا هم تفكروا في ذلك تفكروا في المخرج منه ونظروا في الآيات وما فيها من البينات بعين العقل والبصيرة، لا بعين الهوى والعداوة، ولا طريق لهدايتهم غير هذه"[3]. لأن هذا المثل هو أسوأ الأمثال المضروبة والتي لا يطيقها أي بشر.

وفي الآية موعظة للمؤمنين من الجري وراء أهوائهم، وعبرة لهم في وصف حال صاحب المثل، كما أن الآية "تدل على تعظيم شأن ضرب الأمثال في تأثير الكلام، وكونه أقوى من سوق الدلائل والحجج المجردة، ويدل على تعظيم شأن التفكر، وكونه مبدأ العلم وطريق الحق، ولذلك قد قال بعض الغرب أن الفارق الحقيقي بين الإنسان المدني، والإنسان الوحشي هو التفكر"[4].

والمثل الخامس قوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[5]، وهو مثل ضربه الله لإيقاظ القلوب الغافلة عن التدبر في معاني كتابه الجليل، يتمثل فيه عظم الجبل وصلابته وقلة تأثره بما يترل عليه يتشقق ويتصدع لما في هذا القرآن من المواعظ وعلو شأنه مقابل إهمال الإنسان له. والغرض منه "توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره"[6].

فالجبل بشموخه وانتصابه يخشع لترول القرآن عليه فيذل ويستكين، يقول ابن عاشور: "الخشوع التطأطؤ والركوع، أي لرأيته يترل أعلاه إلى الأرض"[7]. كما أن في الآية مدحا للنبي صلى الله عليه وسلم لثباته الشديد عند تترل الوحي عليه "لما لا تثبت له الجبال، وذم للمعرضين بكونهم أقسى من الجبال" .

---

[1] خطمه: أنفه. أنظر: مقاييس اللغة، مادة (خطم)، ج2، ص 198.

[2] ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، مصدر سابق، ص 280 ،281.

[3] رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج9، ص 342.

[4] المصدر نفسه، ج9، ص 342.

[5] سورة الحشر، الآية 21.

[6] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق، ج4، ص 508.

[7] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج28، ص117.

كما فيه إشارة إلى أن الجبل لو تميز بمكرمة الإنسان في العقل وأدرك ما في هذا القرآن لتصدع وانهار لشدة عظمته ، ما يوحي أن الذي لا يلين قلبه لهذا الذكر هو غير عاقل أبدا ولا يختلف عن الأشياء التي لا تعقل. وقد استعمل الله تعالى ملمح الجبل لتظل الصورة ثابتة في الأذهان على مر الزمن لجميع الأجيال، كونها صورة موجودة في كل عصر، وكون حقيقة الإعراض عما في القرآن موجودة في كل زمان.

المطلب الرابع: الجمع بين العقل والعاطفة:

اهتم القرآن بعرض موضوع التفكر بالطريقة التي تملأ العقل والقلب بجلال الله سبحانه وتعالى وكريم صفاته، لأنه عبادة تعبُر بالإنسان من أُلفة النعم والمخلوقات من حوله إلى حقائق الوجود ودلالات التوحيد وإدراك صفات الجلال والكمال الرباني.

واعتمد القرآن في مخاطبة العقل على بناء المعارف انطلاقا من المحسوسات والمرئيات داخل مجال حدوده وقدرته، (السماء والأرض ،الليل والنهار، الشمس والقمر، الموت والحياة...). بالدعوة للتعامل معها باستخدام الحواس وتوظيف الملكات التي وهبها الله له والقيام بعمليات الاستقراء، التركيب، التحليل، الاستدلال ثم الاستنتاج. فالوصول إلى ما هو غير محسوس من عوالم الغيب .

هذه المنهجية جاءت في بوادر الدعوة الإسلامية مع بداية نزول الآيات المكية التي كانت موجهة في أصلها لأمة أمّية غاب فيها عنصر التفكير في مقابل بروز التقليد الأعمى لموروث الآباء، لذا عمد القرآن إلى هز العواطف لزعزعة الأوهام والضلالات وإثارة الفكر بمنطق الاستدلال بتحريك نظر العقل في المخلوقات والكون باتجاه البحث عن حقيقة الخالق ووحدانيته، والتمعن في حقيقة النبوة والقرآن، ليحصل الإيمان بعدها بالبعث والجزاء.

هذا المنطق اليسير يخالف منهج الفلاسفة الذي جعل مقدمات الاستدلال والبراهين مقدمات عقلية يتيه العقل فيها من غير أن يصل إلى الحق، ما جعل الناس يبتعدون عنه لصعوبته. لهذا نرى أن الاستدلالات القرآنية تبعث على الاطمئنان ومفهومة من قبل الجميع، ولا يمكن الطعن بها، قال

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

ويقول الغزالي رحمه الله واصفا الأدلة القرآنية: "وحجج القرآن مخزن الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس" [2].

وابتداء القرآن بمشاهد صغيرة جزئية في الكون يقصد منه التنبيه على المشاهد العظمى والقضايا الكبرى في الوجود، من خلال تنبيه العقل وتحديه ليصل للإجابة بنفسه، عن طريق إجالة بصره في هذه المشاهد والقضايا ليدرك العلاقات الكامنة والترابطية بين كل الأمور في الكون "فإذا اقتنع عقله بهذا الاستدلال، وخشع قلبه لخالق الأكوان، وأثارت هذه الآيات والدلائل العظمى عنده انفعالات الارتياح إلى الحق، والخضوع والخشوع والاندماج في هذه الحقائق الكونية، والتساؤل عن مآل الإنسان والكون أصبح مستعدا لتطبيق هذه النتائج والشعور بهذه الانفعالات أمام كل آية من آيات الله في الكون وفي الإنسان"[3] . فكانت الخطوة الأولى قائمة على منهج الإقناع. ذلك أن الإيمان لم يلامس القلوب بعد والخطوة الثانية كانت في التحدي باستخدام ما برعوا فيه من البلاغة والفصاحة- واللغة أداة من أدوات العقل- فدعاهم إلى الإتيان بمثل سوره وآياته، وإلا فليسلِّموا بأن هذا الوحي رباني وليس نتاج سحر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أن النبوة لا تعني إلغاء للعقل، كما أن العقل وحده لا يستطيع فهم أسرار النبوة، فهما عنصران متكاملان.

ولأن القرآن حمل تغييرات جذرية في حياة الناس من خلال منع أشياء كانت قد تربت عليها النفوس فأصبح من الصعب التخلي عنها، لم يحاول القرآن وضع النفس البشرية في وضع الاختيار بين الدين الجديد وبين عادات متأصلة، بل عمل بمرونة على تمرير الأفكار والمعتقدات ومحاربة العادات والتقاليد والجهل. وبهذا تمكن من العقول، وبمراعاة مبادئ العقل التي منها مبدأ التدرج. ويظهر ذلك جليا بتدرجه في تحريم الخمر، فالعقل لا يستوعب نقض شيء هو بالنسبة له قاعدة أساسية في الحياة وفكرة أصيلة في النفس، فتحريم الخمر دفعة واحدة لا يتقبلها أي عقل جاهلي، بل يسبب ثورة في النفس على هذا الدين الجديد، وإن كان صاحبه يعلم أحقية هذا الدين،

---

[1] سورة فصلت، الآية 53.

[2] الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، كتاب قواعد العقائد، ج1 ، ص 99.

[3] النحلاوي، التربية بالآيات، مرجع سابق، ص 47.

لكن بطريق التدرج يتنازل العقل شيئا فشيئا عن مبادئه ويلين للمنطق، لذا بدأ القرآن أولا بعرض اثمها ومنافعها وفي هذا إلمام بالقضية ومراعاة للجانب الآخر لها، حتى لا يستبق العقل إلى التحجج بالمنافع، ثم بيّن له كبر حجم الإثم مقابل النفع الحاصل منها، بمعنى استعمل مبدأ النقد والموازنة، ليعطي في الأخير البديل عن تبذير المال في هذه الملهيات، والذي يلخصه بالعفو تدريبا للنفوس على العطاء ما يحدث الاستجابة المنطقية والتغيير السلوكي في النفس.

وكل الآيات التي وردت للتفكر في موضوع النبوة كانت تعمد إلى مخاطبة العقل والتركيز على ذلك، لأن هذا موضوع أساسي في الحياة، وإدخال العواطف في إتخاذ القرارات المصيرية وخاصة العقدية والدينية يجعل الإنسان يضل ويتيه لأنه قد يتبع فيه هواه، بل الأصل فيها مناقشة الأدلة والبراهين التي جاء بها الرسول بمنطق العقل حتى إذا وافقته، وجب الخضوع والإستسلام ، كما لا يمكن إنكار دور العاطفة في اسلام الكثير من الصحابة من خلال الأسلوب العذب للقرآن الكريم التي يُخضِع القلوب له.

لذا اهتم القرآن بقضية التفكر على انفراد، التي تتيح بسط الأفكار ومحاورة العقل، وعرض الحجج والدلائل بروية، والإحساس بصورها وثمارها في القلب، والتلذذ بالمعارف الإلهية والأشواق الروحية والأنوار الربانية، ويكون الأنس بذكر الله والتفكر في ملكوته. فتتأهب النفس للنشاط والعمل.

فكانت هذه التربية العقلية دافعا للمسلمين في بداية نهضتهم العلمية إلى التعامل أكثر مع العلوم الحسية والتجريبية والتفوق فيها، على حساب العلوم العقلية والفلسفية، فكانت العلوم التجريبية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكون والوجود برباط العقل والإيمان، ما أنتج تقدما وازدهارا في جميع الميادين. حتى إذا وصلت الحضارة الإسلامية إلى قمة الترف الفكري أصبحت هذه العلوم الفلسفية الجدلية شغل المسلمين الشاغل. لتأتي بعدها مرحلة توقف التفكر فيها عند المسلمين وأصبحوا يأخذون العلم من الأمم الأخرى، وأصيبوا بكسل التفكير وتعطيل العقل، لنبذهم آيات القرآن وآلاء الرحمان وراء ظهورهم .

كما أن من أهم عناصر المنهج القرآني في عرض آيات التفكر إبراز السمات الجمالية في آياته وخاصة منها الكونية، باستجاشة العواطف وإثارة كوامن النفس والأخذ بمجامع القلب "فهذا

الكون بكل اتساعه ما هو في الحقيقة إلا معبد ومسجد لا يدخله إلا المؤمن عندما تصفو روحه ويخشع قلبه"[1].ففي معرض الحديث عن السماء يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾[2]

ويعرض القرآن الجمال الإلهي في تكوين الأرض وما تحويه من عناصر الجمال قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾[3] فامتداد الأرض على مد البصر وتلونها بألوان التربة المختلفة، وتغطيتها بجمال النبات والأشجار ،اضافة إلى انتصاب الجبال أوتادا فيها تمسكها عن التصدع وشق الأنهار تجري خلالها، وازدهاؤها بأنواع الثمار التي هي أيضا قوت للبشر، ومشهد تعاقب الليل والنهار يزيدها نورا واشعاعا، فقراءة الآية مع تصور هذه المعاني يبعث راحة وسكينة في القلب وهدوء في النفس يجعل العقل يمعن التفكر فيها وفي حياته حتى يصل إلى الإطمئنان بوحدة الخالق وإبداعه.

وقال تعالى﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]. حتى عندما يعرض القرآن صنوف الثمار لا يجعل الذكر "مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب؛ بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات. تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع"[5].

---

[1] مالك البدري التفكر من المشاهدة إلى الشهود، ، مرجع سابق، ص 44

[2] سورة الملك، الآية 3،4.

[3] سورة النمل، الآية: 60.

[4] سورة النحل، الآية11.

[5] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة –مصر، ط35، 2005، مج 4، ج 14، ص 2161.

والقرآن عندما يذّكر الإنسان بنعم المولى عليه، يضفي عليها لمسات جمالية تبرز أن ما في الكون ليس هدفه العمل والانتفاع فقط، بل هناك وقت يحتاج فيه الإنسان إلى تغذية مشاعره والاهتمام بالجانب النفسي الجمالي فيه ، ومن أجل استكشاف هذا الجمال، والغاية التي من أجلها خلقت هذه الكائنات كان يحث على التفكر فيها، لأن هذا الجمال سيقود الإنسان إلى الهداية يقول تعالى ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾[1] .

كما أن الجمال مكون أساسي في خلقة الإنسان قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[2]، لهذا كانت الدعوة للتفكر في النفس ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾[3] لإدراك هذا الجمال البديع والاختلاف الحاصل بين البشر في الألوان، والتكامل البديع ما بين الذكر والأنثى من خلال قانون الزوجية، وما أنشأ الله بينهما من مشاعر مودة ورحمة وسكينة تجعل الحياة هادئة ومستقرة. "إن أهمية هذا الانبهار بدقة الصنع وجماله وضخامته، وإحساس الإنسان بالتضاؤل الجسمي والنفسي حيال ما يشاهده، هو أمر فطري ركّبه الخالق جل وعلا في كيان الإنسان لينظر به في السماء والأرض، فيهتدي به إليه فتخشع جوارحه، ويعبده تعالى رغبة ورهبة "[4].

فالقرآن يبني جسرا وجدانيا تواصليا بين القلب ومخلوقات الكون ليسهل عملية إكتشاف أسرار الإبداع ودلائل التنظيم، كما يعمل على ترقيق القلب ما يجعله خاشعا لمولاه، يرى ظواهر الكون بعين البصيرة والخشية؛ فيرى في إنزال المطر وإنبات النبات صفة الكرم الإلهي، ويرى في قصف الرعود وهبوب الرياح صفة الكبرياء والجبروت، ويرى في سعي الطيور لأرزاقها وحنان الأم على ولدها صفة الرحمة....فينبض القلب شكرا على أنه الخالق الرحيم الأوحد. يقول سيد قطب: "فهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين وتبصر العقل بعجائب هذا الكون

---

[1] سورة النحل، الآية 5-6.

[2] سورة الإنفطار، الآية 6-8.

[3] سورة الروم، الآية 08.

[4] مالك البدري، التفكر من الشهود الى المشاهدة، مرجع سابق، ص 63.

وتدعو الانسان أن يرتاد هذا الكون كالذي يراه أول مرة مفتوح العين، متوفر الحس، متيقظ العقل والقلب" [1]

واعتناء القرآن بلمسة الجمال طالت حتى آياته وسوره، فتراها تتفاوت بين القصر والطول، بين العمق والوضوح ،كلماته عذبة، سهلة، متسلسلة المعاني، يتميز بنظام صوتي بديع يأخذ بالألباب، تستكين معه النفس وترتاح له القلوب ويصفو معه العقل. من أجل ذلك كان "تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الروح، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير " [2].

وأحسن صور الجمع بين العقل والعاطفة تتوضح في المراحل التي يمر بها المتفكر، والتي يجملها الدكتور البدري في أربعة مراحل ليصل المتفكر في النهاية إلى الانسجام التام مع الحركة الكونية وتحقيق الغاية من الاستخلاف والعبادة. حيث يعتبر المرحلة الأولى هي مرحلة الإدراك الحسي والعقلي للأمور أو الموجودات فيقول: "فهو يبدأ أولا بالمعارف التي تأتي عن طريق الإدراك الحسي المباشر بالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس، أو بطريق غير مباشر كما يحدث في ظاهرة التخيل، أو قد تكون هذه المعارف عقلية مجردة ، وكثيرا ما تكون هذه المعارف لا ارتباط لها بالنواحي العاطفية والانفعالية "[3].

أما المرحلة الثانية فيصفها بالتمعن العميق والنظر الدقيق والتذوق الحسي لخصائص الجمال لديها، وقوة البيان فيها فيتحرك لها قلبه ،ويعيش معها لحظة الجمال والابداع وهنا يبدأ دور العاطفة والقلب، "فاذا دقق الإنسان فيها النظر وتعرف على بعض خصائصها الجمالية ودقة صنعها أو قوتها وشخاصتها، فانه يتنقل من المعرفة الباردة إلى الانبهار بجمال التنسيق وعظمة الصنع وبهاء المنظر، وهذه هي المرحلة الثانية وهي مرحلة تذوق وأحاسيس مرهفة ومشاعر متدفقة"[4]

والمرحلة الثالثة هي مرحلة التعرف على مبدع الكون وخالق الحياة، والإيمان به والخشوع في محرابه الكوني "فاذا انتقل بعد ذلك بهذا الاحساس إلى الخالق المبدع فسيزيده هذا خشوعا ومعرفة

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج1 ، ج2، ص152.

[2] المصدر السابق، مج6 ، ج26، ص3297.

[3] مالك البدري، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، مرجع سابق، ص 42.

[4] المرجع نفسه، ص 42.

بالله وبصفاته العلية"[1]، ليتم بذلك الوصول الى غاية التفكر وهو ربط عالم الشهادة بعالم الغيب عبر التدرج في مراحله، وهنا يتميز المؤمن عن الكافر" وبهذا تكتمل حلقات التفكر الثلاث، فالنظر في المخلوقات لا يعدو أن يكون مرحلة بدائية يشترك فيها المؤمن والكافر، كذلك فإن المرحلة الثانية أي مرحلة التذوق لدقة الصنع وجمال التنسيق قد تهتز لها القلوب بغض النظر عن ايمانها أو كفرها ، لكن المعرفة الثالثة التي تأتي بربط هذا التذوق لجمال الكون ودقة صنعته بمبدعه جل وعلا هي النعمة الكبرى التي لا تكون إلا لمؤمن"[2].

أما المرحلة الرابعة والتي يسميها مرحلة الشهود، أين يصبح التفكر عادة متأصلة في المتفكر بحيث "تمسي الأشياء العادية المألوفة – التي كان يمر عليها غافلا – مصدر إثراء للفكر العميق والخشية والتأمل في آلاء الله تعالى وفضله، حتى يصبح كل شيء في بيئته مثيرا للفكر ومحركا للتأمل، عندها يكون قد وصل بالفعل إلى مرحلة البصيرة والشهود "[3].

بهذا نتبين أن منهج القرآن في عرض الآيات الكونية وسياقها لم يكن على نحو عقلي صرف بعيد عن العاطفة والشعور، بل هو منهج يغازل القلوب ويقنع العقول في نفس الوقت وبنفس الآي. "فلا تتلو دليلا من أدلته إلا وجدته ينفذ إلى أعماق قلبك ويقنع عقلك بما لا يدع أدنى حيرة أو شك فيه "[4]

ففي قصة المثل الذي ضربه الله تعالى للذي انسلخ من الآيات وتشبيهه بالكلب، إقناع بعدم سلوك دربه وامتثال فعله، عن طريق استثارة عاطفة الإحتقار والكره أن يصير السامع بمثل هذه الصورة في الإنحطاط. فلم يؤت بأي دليل عقلي في هذا المثل، لأن الله خالق النفس وهاديها يعلم أن تشويه الصورة في ذهن الإنسان سينعكس سلبا على مشاعره، وبالتالي سيؤثر إيجابا على سلوكه وعمله. "وهكذا تجد الأدلة القرآنية كلها، مزيجا حلوا سائغا تخفف على النفوس تجرعها، وترفه عن العقول باللفتات العاطفية، فتأسر العقل والقلب معا، جنبا الى جنب لهداية الانسان " [5]

---

[1] المرجع نفسه، ص 42-43.

[2] المرجع السابق، ص 43.

[3] المرجع نفسه، ص 42،43

[4] ناصر، مجاهد محمود أحمد، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل و الحجة، إشراف: محسن سميح الخالدي، رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين-، 2003 م ، ص 121.

[5] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن،دار الفكر، بيروت-لبنان،ط1، 1996م، ج2، ص314.

وبالمقابل يعمل القرآن على إثارة انتباه الإنسان ودفع عقله للتفكر، ويوجهه إلى استشعار عواطف الخشية والهيبة من خلال ضرب مثل الجبل وتعظيم صورته وآيات القرآن تنزل عليه، فتبقى صورة التشقق والتصدع أمام مرأى العين تقنع العقل أنّ ما خضع له الجبل الصلب القاسي آن أن تخشع له قلوب البشر الضعاف فيزلزل ذلك المشهد القلب، ويكسبه مشاعر التعظيم لآيات هذا الذكر الحكيم.

هذا التكامل بين تحريك العقل ودغدغة المشاعر يتمثل في صورة الجمع بين النوم والموت في آية واحدة، فالموت حالة يمر بها البشر كل يوم وهم عنها معرضون لإنشغالهم بالدنيا وهمومها، لكن تحسيس الإنسان أن هذا الموت قريب منه وأنّ الله قد يمسك روحه في نومه في صبح أو ليل يقصر أمله في هذه الدنيا، ويجعل الإنسان دائم التذكر لهذا المعنى فيعمل بموجبه لآخرته، إضافة إلى تحريك ملكة التفكر للبحث في أسرار النوم وأسرار الموت والفرق بينهما والحالات التي تنتاب الروح والعقل والنفس فكان فيها مجال خصب للتفكر لقوم أدركوا عظمة هذا الموضوع.

وقد يرى البعض أن العاطفة تتناقض والتفكر السليم لما ينتج عنها قرارات تحكمها العواطف بدرجة كبيرة، إلا أن الحقيقة أنه لا يوجد موضوع يمكن أن يتناوله التفكر يكون بعيدا عن العاطفة إلا من ناحية النتيجة التي قد يؤثر فيها التحيز الانفعالي. من هنا يظهر جليا أن القرآن "لا يكتفي بمجرد اسكات الخصم، أو اشعاره بضعف حجته وقوة الحجة القرآنية، بل يريد أن يكسب قلبه وعواطفه إلى جانب الحق، ليكون جنديا يدافع عن هذا الحق ويعمل بمقتضاه، أي ليوصله إلى مرحلة التطبيق والتعميم وهي من أهم مراحل هذا الأسلوب التربوي القرآني" [1].

المطلب الخامس: مدح أولي الألباب:

اعتمد القرآن على أسلوب المدح في إثارة عملية التفكر، لأن هذا الأسلوب هو المحبب للنفوس، فالإنسان بطبيعته يحب المدح والثناء والظهور في مظهر حسن خُلُقا وخَلقا ويثير إعجاب من حوله، كما أن الإنسان "لا يميل إلى الأسلوب المباشر في النصح والإرشاد لأنه يحب دائما أن يشعر أنه عندما يأتي فعلا طيبًا، فإنما يفعل ذلك بدافع داخلي لا بناء على أوامر ونواهي"[2]. والله

[1] النحلاوي، التربية بالآيات، مرجع سابق، ص52

[2] حوامدة، مصطفى محمود، منهج القرآن الكريم في تربية الانسان:رؤية منظومية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية- الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر 2006م، المجلد 3، العدد 3، ص 32

يخاطب النفس على ما فطرت عليه لأن ذلك أدعى وأقرب للاستجابة. ولتحبيب الناس في عملية التفكر استعمل القرآن أسلوب المدح للمتفكرين والثناء على أولي الألباب هذه الفئة التي استحقت الثناء بجدارة لأنها عملت بوصايا ربها فوصلت إلى أعلى منازل السالكين إليه،فكانت بحق قدوة وجب التأسي بها. وقد نالوا هذه المرتبة حين مدحهم الله سبحانه وتعالى في أواخر سورة آل عمران قال تعالى﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

وأولو الألباب هم أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة، والألباب جمع "لب" ويُذكر اللّب في مقابل القشر، يقول ابن عاشور: "واللّب في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه"[2]. وقد وردت لفظة أولي الألباب في القرآن ستة عشرة مرة كلها على سبيل المدح والثناء قال تعالى﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3] وقال أيضا ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4] . قال السعدي: هم "أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لب العالم، وصفوة بني آدم"[5].

وحاز أولو الألباب هذه المكانة المرموقة في رحاب الله لأنهم تمسكوا بحبلي الذكر والفكر، هذا الذكر الذي ملأ القلوب وفاض على الألسنة، وكان مرافقا لهم في كل حركاتهم وسكانتهم، ما يدل على استحضارهم للمعية الربانية في كل وقت و على كل حال، فهم قيام يعملون ويجاهدون في نهارهم يذكرون الله، وهم قعود وقت الراحة لا ينسون ذكره، بل حتى وهم نيام على جنوبهم

---

[1] سورة آل عمران، الآية 191

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص64.

[3] سورة البقرة، الآية 269.

[4] سورة الزمر، الآية 18.

[5] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مصدر سابق، ص 395.

يذكرونه، هذه الحالة الربانية والخوف الشديد من الله جعلهم يرون كل شيء في هذا الوجود دليلا على وجود الله وبديع خلقه وعظيم حكمته، فانطلقوا بأبصارهم يتفكرون ما بين السموات والأرض، فزادهم الانفتاح على كتاب الله المنظور معرفة لأسرار الوجود وفقها لسننه ونظامه الدقيق فامتلأت قلوبهم بنور الله وفاضت خشوعا وإنابة لرب الكون﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـذَا بَـطِلاً**.﴾، لتتفجَّر ينابيع التسبيح والإقرار بتلك العظمة والقدرة من قلوبهم على ألسنتهم فتلهج بالدعاء راجين النجاة من عذاب النار.

بعملية التفكر هذه يغذون القلب بالإيمان ويزيدون فيه نفحة اليقين، كما يصبغونه بصبغة الجمال النابع من جمال الكون وسحره، فتنطبع أقوالهم وأفعالهم ذوقا وإحسانا مع الناس، وإبداعا وإتقانا في الحياة. فهم "الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، لا ينظرون إليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته"[1]

وذكر الرازي في مناسبة هذه الآية قوله: "اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق على الاستغراق في معرفة الحق، فلما طال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال" [2]

و ذكر ابن حجر في سبب نزول هذه الآية عن سعيد بن جبير قال: "انطلقت قريش إلى اليهود، فسألوهم ما أتى به موسى من الآيات فذكروا عصاه ويده، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ فقالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص، فأتوا النبي فقالوا :ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فأنزل الله تعالى هذه الآية"[3]. فلكأن الله سبحانه وتعالى ينبأ المؤمنين والكفار أن التفكر في هذه الآية يعدل معجزات الأنبياء، ويوازن جبل الصفا ذهبا لما فيها من أسرار وحكم عظيمة خفية. "وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا "[4]

---

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل،علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت–لبنان، دط، 1979م، ج1، ص466.

[2] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج9، ص456.

[3] العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج2، ص817.

[4] تفسير ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا–لبنان، ج1، ص273.

وقد جاء في صحيح ابن حبان عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير قد آن لك أن تزورنا فقال أقول يا أمه كما قال الأول: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا.. قال فقالت دعونا من رطانتكم هذه، قال بن عمير: أخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت. ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سَرَّك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية كلها "[1]

وفي وصف السيدة عائشة رضي الله عنها لحالة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية بيان لأسمى نموذج للمتفكرين في ملكوت الله سبحانه وتعالى، فقدأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد، فلمّا كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، ثم قام فتوضأ واستنَّ فصلّى إحدى عشرة ركعة ثم أذّن بلال فصلىّ ركعتين ثم خرج فصلّى الصبح"[3]. وفي هذه صورة لما ينتج عن التفكر من زيادة في العبادة، وسمو في الإيمان.

---

[1] بن حبان، محمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط2، 1993م، ج2، ص 386.

[2] سورة آل عمران، الآية 191.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب :(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)، ج4، ص1665، رقم 4293.

واختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ على أقوال منها:

- أنه يشمل المواظبة على الذكر عامة وعلى أي حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم.ذكره الزمخشري، واختاره الرازي والألوسي.
- أن المقصود به هيئات الصلاة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، قال لعمران بن الحصين: "صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب"[1]، قاله ابن عباس وذكره ابن كثير، وابن عطية وغيرهم.

والظاهر أن الذكر فيها وارد على العموم ويشمل الصلاة، وهو ذكر باللسان وحضور القلب. فهم "الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم باطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته"[2]، ولما وصفهم تعالى بالذكر، ثنى بعدها بالفكر لأن الذكر لا يكمل إلا مع الفكر، فأولو الألباب ناس ارتقوا بقلوبهم وعقولهم عن براثن الأرض فلم تعد تلامسها، وحلقوا ما بين السموات والأرض في رحلة فكرية قلبية ، وصلوا من خلالها إلى عمق الأشياء وانقلبت عقولهم من حالها إلى حال اللب وهو أكمل وأخلص الأحوال، رأوا من خلالها غاية الوجود وحكمه العجيبة وأسراره العظيمة، فنادوا ربنا ما خلقت هذا باطلا فكانت نتيجة هذا التواصل اعترافا بالربوبية وتنزيها عن العبثية، منبعها الذكر الكثير والفكر الرصين، لينتهوا من هذه الرحلة الإيمانية بإدراك عظم ذنوبهم وتقصيرهم أمام نعم الله فاختاروا الآخرة، وطمعوا في الوقاية من عذاب النار.

يقول الرازي في تفسيره: "في هذه الآية جمع لأصناف العبودية الثلاث، وتحقيق لمعنى الإيمان الذي هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾إشارة إلى عبودية اللسان، وقوله: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء،

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب تقصير الصلاة، باب (إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب)، ج1، ص376، رقم 1066.

[2] الألوسي، تفسير روح المعاني، مصدر سابق، ج4، ص158.

وقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾إشارة الى عبودية القلب والفكر والروح، والانسان ليس إلاّ هذا المجموع"[1].

ولنا في قصص السلف الصالح عبرة ومَثَل، فقد قال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرجُ من مترلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عَلَيَّ فيه نِعْمَة، أوْ لِي فيه عِبْرَة[2].

وأخرج ابن المنذر[3] عن عون قال: سألتُ أم الدرداء أو سُئِلَتْ أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت : التفكر والاعتبار.

وخص الله جل جلاله أولي الألباب بالمدح مع أن كل الناس أولو ألباب؛ لأن من اللب ما لا فائدة فيه، "كَلُبِّ الجوز ونحوه إذا كان عفنا، وكذا تفسد ألباب بعض الناس وتعفن، فهي لا تهتدي إلى الإستفادة من آيات الله في خلق السموات والأرض وغيرهم"[4] . وضرب له صاحب المنار مثلا بقوله: "فمثلهم كما قال الأستاذ الإمام: كمثل من يطبخ طعاما شهيا يغذي به جسده، ولكنه لا يرقى به عقله، يعني أن الفكر وإن كان مفيدا لا تكون فائدته نافعة في الآخرة إلا بالذكر، والذكر وإن أفاد في الدنيا والآخرة لا تكمل فائدته إلا بالفكر"[5]، فهما جناحان للتحليق في ملكوت الله والوصول إلى مدارك الحق. لتتحقق العبودية القلبية بإخلاص النية، والإستجابة المطلقة للأوامر الإلهية، ورؤية الجلال الإلهي ينبعث من كل شيئ فتكون الحكمة الخالصة، وهو ما يفسر قول الحسن البصري: بأن أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر والفكر على الذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة [6]

---

[1] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج9، ص456.

[2] ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م، ج2، ص184.

[3] بن المنذر النيسابوري، أبو بكر، كتاب تفسير القرآن، تح: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية–السعودية، ط1، 2002م، ج2، ص534.

[4] تفسير المنار، رشيد رضا، مصدر سابق،ج4 ، ص 245.

[5] المصدر نفسه،ج4 ، ص 245.

[6] انظر:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان،ط4، 1405ه، ج10، ص19.

ويقول الألوسي في سبب تقديم الذكر على الفكر "قُدِّم الذكر على الدوام على التفكر للتنبيه على أن العقل لا يفي بالهداية ما لم يتنور بنور ذكر الله تعالى وهدايته، فلا بد للمتفكر من الرجوع إلى الله تعالى ورعاية ما شرع له" [1]، فالذكر هو الحصن الحصين للسير في طريق التفكر الذي هو"مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم "[2]، كما أن التذكر مقصد من مقاصد التفكر وثمرة من ثمراته، فإذا تفكر الإنسان عاد بتذكره على تفكره فاستخرج ما لم يكن حاصلاً عنده.

المطلب السادس: عرض آلاء الله ونعمه

يعتبر عرض آلاء الله ونعمه المتفضل بها على البشر من أكثر الأساليب انتشارا في القرآن الكريم، وذلك بهدف تنبيه الناس على آيات الله وبيان قدرته وعظمته وحكمته في الخلق، ودعوة لهم للتفكر فيها قصد زيادة الإيمان وشكرا لخالقها، وإيقاظ الهمم النائمة للاستفادة مما مكن الله الإنسان منه، كما أن فيها لمسة من الجمال تريح الإنسان، هذا ما يؤثر على نفسية الناظر والمتفكر فيها بما يكسبه الراحة والتركيز، ويُحدِث تغييرا في معتقداته وأفكاره. وهذه الآلاء تملأ السماء وتفيض بها الأرض، لكن قلوب الناس غافلة عنها، فتكريرها وإعادة التذكير بها يبعثها من جديد ويستثير العقل فيها.

ويهدف القرآن من عرض الآيات الكونية والمخلوقات في كتابه وربطها بالعمليات العقلية لتنبيه الإنسان إلى دور العقل في اكتشاف نعم الله عليه وتسخيرها لإقامة الخلافة الخاضعة لله وإحداث التكامل والتوازن الكوني، وكل آلاء الله المرتبطة بموضوع التفكر تعتبر من أساسيات الوجود. ويعرضها القرآن الكريم كنموذج يحتذى به ولعقل الإنسان الحرية في استكشاف باقي الآيات بواسطة المنهج الذي علمه الله له في القرآن .

---

[1] تفسير روح المعاني، الألوسي، مصدر سابق، ج4، ص154.

[2] التفكر في خلق الله (الإنسان،الأرض،السموات)، أبو حامد الغزالي، تح: ماهر المنجد، دا الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-سوريا، ط 1، 1995، ص 22.

ونعم الله تعالى على الإنسان كثيرة، يقول تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[1] وهي دعوة لذوي العقول النيرة أن ينهضوا بأعباء النظر الدقيق في آلاء الله ونعمه، التي لا يحصيها حاصٍ، ولا يعدها عاد، ولو اجتمع كل البشر."وأنهم لن ينتهوا أبدا من القراءة، ولن يطووا هذه الصحف، إذ كلما نظروا إلى آيات الله جاءهم منها جديد"[2]، كما نبه سبحانه وتعالى إلى أن هذه النعم تحتاج إلى إعمال الملكات العقلية التي أمدّ الله بها الإنسان، وعلى رأسها التفكر، للقيام بأداء حق هذه النعم في الشكر،

ومن أعظم هذه النعم نعمة الهداية الربانية فما كان إنزال القرآن عبثا بل هو الحق به تستبين حياة الناس فلولا القرآن ما كان العقل وحده قادرا على كشف نُظُم الحياة، وإدراك مغزاها، ولّما كان القرآن معجزة تعجز عن فهم بعض آياته العقول، أرسل الرسل لتبين للناس معاني الذكر الحكيم وليكونوا قدوة لهم في التطبيق، وأيدهم بالمعجزات لإقامة الدليل القاطع على منكري الرسالة.

كما ذكرهم تعالى بنعمة الماء التي بها يحيا من على الأرض، فهو شرابهم، وهو سقي زروعهم التي منها غذاؤهم وحيوانتهم، ونسب الإنزال إليه لأنه لو تركه في أيدي البشر لبذروه ، واستقوى به القوي، وضاع الحق الضعيف فيه، فتنقطع الحياة. لذلك جعله آية يستحق الشكر عليها. وهذه النعمة في حد ذاتها قد تصبح نقمة إذا ابتعد الإنسان عن المنهج القويم، فتكون مطرا شديدا يدك عرش الظالمين.

والتذكير بالنعم يكون في جو مليء بصفات الرحمة والكرم والفضل، تجعل قلب الإنسان يستحي من خالقه وتستنهضه للتأمل فيها وفي غيرها، ولو ألقينا نظرة فاحصة على مجموع الآيات التي طالب القرآن أن يتفكر فيها وإدراك نعم المولى لوجدناها تشترك في عدة خصائص[3] نجملها في:

---

[1] سورة النحل، الآية 18.

[2] قنيبي، حامد صادق، الكون والإنسان في التصور الاسلامي ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1980م ، ص 49.

[3] انظر مقال سمات الايات الكونية الواردة في القرآن الكريم،ناصر بن محمد الماجد، في الانترنيت موقع اسلاميات، 1فبراير 2009،الساعة 16:00، www.islamiyyat.com

- أن هذه النعم من الممكن التفكر فيها وإعمال العقل من غير أدوات علمية أو أجهزة مخبرية أو وسائل تكنولوجية دقيقة، فمجرد النظر الدقيق والبحث في دلالتها وغايتها يجعلها موضوعا قابلا للتفكر .
- أنها نعم موجودة على مر الزمن منذ بداية الخلق، ظاهرة للعيان ليلا ونهارا، تعاقب عليها جميع البشر، ثابتة لمن أراد تجديد النظر فيها .
- أنها متعددة الأنواع ومتنوعة الأشكال، فمن السماء بما تحويه من كواكب سيارة ونجوم وأقمار، واختلاف الليل والنهار فيها، إلى الأرض بجبالها وسهولها وأنهارها وتنوع النباتات في أشكالها وأنواعها وألوانها، وما تحويه من ثمرات. هذا التنوع يضفي عليها طابع التعدد و التجدد، فأين حلقت ببصرك تجد آية من آيات الله تأخذ بألباب العقول في حسنها وجمال ابداعها، ما ينفي عنها رتابة السأم والملل .
- أن الهدف من سوق هذه النعم واحد، فهي لم ترد عبثا في القرآن، بل هي دلائل لقضايا أكبر منها تتعلق بمصير الإنسان (الألوهية، النبوة والوحي، البعث)، تعتمد على مرتكزات مشتركة، وإن اختلفت مواضيعها وتنوعت، فهي ليست غاية في نفسها، بقدر ما هي دليل للوصول إلى الإيمان واليقين، وهو ضابط ينبغي التنبه له، والتقيد به لكي لا يجنح التفكر فيها إلى مجال التفلسف، ويخرج عن دائرة الإيمان .
- كما ارتبطت قضايا النعم بملكات تفكير أخرى، فكل قضية من هذه القضايا التي انتهت بفاصلة التفكر، ختمت في آيات أخرى بالتدبر،أو التعقل، أو التذكر، أو اليقين، ما يدل على أن استعمال العقل في كل درجة من درجاته، وفي كل مرحلة من مراحله، يكشف حقيقة من حقائق هذه الظواهر، فالتعقل يتيح جمع المعلومات العامة عن طريق الحواس وإدراك الترابط المنطقي لها، والتذكر يعيد المعلومات المكتسبة سابقا عنها ، ويوظفها بشكل يوصل إلى معرفة جديدة، والتدبر ينظر في عواقب ونتائج هذه القضايا، والتفكر ينظر فيها من وجهة كونها دلائل وآيات وبراهين على أمور أخرى
- اعتمد القرآن العموم والإجمال في عرض هذه النعم، حتى لا يبتعد عن الغاية الأصيلة من عرضها، مع دعوته إلى البحث في أعماقها، واستثارة الفكر والوجدان لاستلهام الحكم والعبر منها .وهو منهج قرآني فريد، يخرج القرآن من دائرة الكتب العلمية التفصيلية، ويبقي له دور الدافع المثير للعقل لكي يقوم بدوره المنوط به.

كما جاء أسلوب القسم نوعا من أنواع التذكير بالنعمة ولفت الانتباه لها، وبيان لموجدها وخالقها وعظمته، وافتتح القرآن به عدة سور:كسورة البلد والمقصود به مكة، وكيف أنها بلد الأمين والأمان، وأقسم بمواقع النجوم لعظمها وبعدها ودقتها، ومن النجوم أقسم بالخنس، ومن آيات السماء أقسم بالشفق، ثم جمعها كلها بالقسم بما يبصره الإنسان وما لا يبصره، تدليلا على أهمية النظر والتفكر في المرئيات وإلا لما كانت تصلح للقسم.

ومن مجمل هذه الأساليب القرآنية وغيرها كاستعمال الرجاء في قوله تعالى (لعلكم تتفكرون) ترغيبا في التفكر، وتفصيل الآيات وبيانها، نتبين أهمية التفكر في حياة الإنسان وحرص القرآن على إستعمال كل ما من شأنه أن يدفع بالإنسان لتفعيل هذه الطاقة الكامنة، لكن في نفس الوقت وضع القرآن ضوابط حصينة لموضوع التفكر، حتى لا ينفلت عن مقصده الأصيل وهذا ما سيعرض له المبحث الآتي.

المبحث الثاني :ضوابط التفكر

إن ما يوليه القرآن الكريم من مكانة للعقل واحتفاء بملكاته على اختلافها، يجعل الناظر إلى آياته يظن أنه فتح الباب واسعا أمام المتفكر، وجعل له الحق بأن ينظر ويبحث ويتفكر في كل شيء، وبأي وسيلة كانت، وعلى أي نهج كان، ما دام فيه تفعيل لطاقة العقل والتزام بأمره، لكن المتمعن في النصوص القرآنية يجد أن العقل في القرآن ذو حدود لا يجب أن يتخطاها، ذلك أنه في حقيقته خُلِق قاصرا وله مجال محدد يدور فيه عمله، من أجل ذلك أعانه الله بالوحي، فالوحي هو السبيل والمنهج الذي يسير عليه العقل في تفكره، حتى لا يظل أو يتيه، ويسهل عليه الوصول إلى الغاية المنشودة، من أجل هذا التكامل وضع للتفكر ضوابط يجب الالتزام بها.

المطلب الأول: تجنب التفكر في ذات الله

إن هدف القرآن من وضع هذه الضوابط هو تحصين عملية التفكر لتسير في طريق مستقيم، ويجني منها صاحبها الثمار المفيدة، ويتحقق بها مراد الله من الدعوة إليها، وأولى الضوابط وأهمها هو تجنب التفكر في ذات الله، هذا الضابط الذي جاء التحذير منه في السنة النبوية بقول رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله عز وجل) [1].

وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء:" فإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إمرا، وخاطرت بنفسك مجاوِزة حد طاقة البشر ظلما وجورا، فقد انبهرت العقول دون مبادئ اشراقه، وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا [2]

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن أناسا سيتفكرون في الخلق حتى يؤدي بهم إلى الوقوع في ظلمات الكفر فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله"[3]. وهنا يعلّمنا النبي صلى الله عليه وسلم كيفية معالجة الشكوك والوساوس عندما تعرض لنا ويأمرنا بوجوب التوقف عن التفكر، وتشهير الإيمان خوف تتبع زلات العقل والوصول إلى الضلال، فهذا الحديث وسابقه يبين لنا الحد المسموح به من التفكر، بسبب نقص الإدراك وقصور تحقيق المعرفة، وسوء التقدير.

فكيف تختار العقول مبدأ التعطيل وتستحل الفهوم مبدأ التشبيه للخالق، واختلاف الكائنات وتنوعها سر إبداعه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [4]، فقدرته الغير محدودة وعلمه ليس لهما نظير فهو الخالق العليم القدير.وقد حاولت بعض الفرق الإسلامية الولوج من هذا الباب لكن تاهت وخابت و لم تبصر النور لاحتجابه عن العقل.

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج6، ص250)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ج3،ص842/ج7ص2219)، والبيهقي في الشعب (ج1، ص136)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة(ج3،ص595)، وأبو نعيم في الحلية (ج6، ص67)، من طرق متعددة من حديث ابن عمر، وابن عباس مرفوعا بألفاظ متقاربة كلها ضعيفة .قواها السخاوي في المقاصد الحسنة (ج1، ص261) لاجتماعها ، والحديث بمجموع طرقه حديث حسن كما بين ذلك العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج4 ص395) برقم 1788، وصحيح الجامع الصغير (ج1، ص572) برقم 2975.

[2] الغزالي، التفكر في خلق الله، مصدر سابق، ص 22ـــ23

[3] بن الحجاج النيسابوري، مسلم، الجامع الصحيح الشهير ب(صحيح مسلم)، ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، دط، دت ط، كتاب الإيمان، باب الوسوة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ج1 ، ص119.

[4] سورة الشورى الآية 11.

لهذا جاء في سورة آل عمران في وصف أولي الألباب أنهم هم الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، فهم تحصنوا بذكر الله واستعانوا به في رحلتهم التفكرية فكان درعا يقيهم مترلقات العقل ووسوسات الشيطان وأهواء النفس.كما أن الله رغّب في ذكره تعالى بإسناد الذكر لذاته الجليلة، وحثّ على التفكر بإسناده لخلق السموات والأرض.

ولن يستطيع الإنسان بعقله المحدود أن يعرف قدر الله سبحانه وتعالى. ومهما حاول العقل التطاول على حده والتفكر في ذات الله فلن يصل إلا إلى الخيبة والحسرة، فمن لا يستطيع أن يلِّم بخلق هذا الإله الذي تعجز الحواس عن الإحاطة به والعقل عن إدراكه، كيف به أن يلِّم بالخالق نفسه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[1] وقال أيضا جل جلاله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[2].

وتفكر الإنسان فيما وراء حدود عقله يخرجه عن "مجالات قدرته وآفاق رسالته، وهنا يكون قد أشرف-بيقين – على خضم هو عاجز-بيقين- عن السبح فيه، وسيواجه قوة من النور المشرق تصيبه بالإنبهار أو العشى، بدلا من أن تكون له سببا للاستكشاف وإدراك الغاية "[3].

وجاء هذا البيان في طلب موسى عليه السلام رؤية الله جل وعلا، وطمع في ذلك بعد نيل شرف فضيلة الكلام إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] .

---

[1] سورة طه، الآية 110

[2] سورة البقرة الآية 255.

[3] قاسم،محمد زكي الدين محمد، الاسلام والفطرة (تأملات تكشف الترابط الوثيق بين الآيات القرآنية والآيات الكونية)، دار الصفوة، القاهرة – مصر، ط1 ، 1991م ، ص 47،48.

[4] سورة الأعراف، الآية 143

وكانت حكمة الله تقتضي أن يتبدّى جلاله للجبل، لأنه مشارك للإنسان في مادة العالم الفاني، مع تميز الجبل بالقوة والصمود والثبات على الإنسان فما لا يتحمله الجبل لا يطيقه البشر، فكان أن أصبح الجبل (دكًّا) أي فتاتا ومسحوقا، وفيه إعلام من الله سبحانه وتعالى لبني البشر بحجم طاقتهم وقدرتهم ومكانتهم أمام عوالم هذا الكون أولا، قال تعالى ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[1]، ومن ثمّ أمام قدرة الخالق الجبار. قال تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

ويشبِّه حجة الإسلام الغزالي أحوال البشر مقارنة بجلال الله تعالى بقوله: "بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى، كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتّة بل يختفي نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض"[3].

وجاء النهي عن التفكر في عالم الغيب وخاصة ذات الله تعالى في كل آيات القرآن، بل فيه تعليم للعباد أسماء الله الحسنى وصفاته العليا دون الخوض فيها، بل يكثر الحديث عن خلقه ونعمه وآلائه، خاصة عند الإشارة إلى العمليات العقلية لتوضيح الوظيفة الأساسية للعقل وملكاته. فقد فتح القرآن الباب على مصرعيه للتفكر في الخلق والتدبر في آلاء الله، لأن هذا في طاقة العقل ومن أهداف خلقه،فالتفكر "في خلق السموات والارض وما يقع عليها من أحداث، أمر لا يحده عائق من اختلاف الزمان ولا المكان ولا ماهية الاشياء، هي عبادة حرة طليقة حرية الادراك وانطلاق الخيال المؤمن، سياحة فكرية وجدانية تحيي القلوب وتنير البصائر عندما يعبر الذهن من ايات الله في الكون الى خالقها ومدبرها[4] .

فالإشارة الواضحة إلى التفكر في عالم الشهادة بما يحويه من آيات في نفس الإنسان وآيات تملأ آفاق هذا الكون، فيه نهي عن التفكر في عالم الغيبيات، الذي تم طيُّه عن فكر الانسان لعدم قدرته على استوعابه. لذلك ضبط القرآن الكريم منهج التفكر بمعيار المناسبة للفطرة والموافقة للإمكانيات، لتحقيق الهدف من الدعوة له، والغاية من خلق الإنسان والعقل، وليتوصل المتفكر إلى تفكر صحيح مبني على أسس سليمة.

---

[1] سورة النساء، الآية 28.

[2] سورة الأنعام ، الآية 103.

[3] الغزالي، التفكر في خلق الله، مصدر سابق، ص 73

[4] مالك البدري، التفكر من الشهود الى المشاهدة، مرجع سابق، ص 71.

المطلب الثاني: الواقعية

تتميز كل الآيات الواردة في موضوع التفكر، أو التي تشير إلى دور العقل عموما، بخاصية عامة تتمثل في تناولها للقضايا الهامة والمصيرية في حياة الإنسان. فلا نجدها تستثير العقل في توافه الدنيا وملذاتها وشهواتها، أو تدعوه إلى استخدام التفكر في مشاكله اليومية أو طريقة عيشه، بل على العكس فهي تنبه إلى خطورة الانحطاط إلى هذه الدنيا واتباع شهوات النفس، والانصياع لأوامر الشيطان، والتخلف عن ركب طلاب الآخرة والعاملين لها، لذلك فهي تجعل من الكون وآياته المرتكز القويم للوصول الى روح الايمان، وحقيقة اليقين العقلي والقلبي يقول الرازي "إن كل من كان أكثر توغلا في بحار مخلوقات الله كان أكثر علما بجلال الله تعالى وعظمته "[1]

كما أننا لا نجد القرآن تحدث عن ماهية العقل أو الروح أو عالم الجن والملائكة ولا تفصيلاتها ـــ بل حتى أنه لم يأت على ذكر العقل كمصدر في القرآن الكريم، فقد ورد بصيغة الفعل في كل مواضعه تركيزا على مهمته وبيانا لوظيفته، لا تقديرا لذاته وإعلاء مكانته، فما هو إلا وسيلة ميسرة للتوصل إلى الحقائق الكبرى في هذا الوجود، ما يجعلنا نخلص إلى أن القرآن الكريم دعا الى إعمال العقل وعدم الغوص في أعماقه، والبحث الغير المجدي عن ماهيته، كون العلم بهذه الأمور لا يفيد الإنسان بشيء في أداء مهمته على الأرض. يقول سيد قطب: "وإن هنالك مجالا للعقل البشري معينا في ارتياد آفاق المجهول، والإسلام يدفعه إلى هذا دفعا..ولكن وراء هذا المجال المعين ما لا قدرة لهذا العقل على ارتياده، لأنه لا حاجة به إلى ارتياده. وما لا حاجة له به في خلافة الأرض فلا مجال له إليه، ولا حكمة في إعانته عليه. لأنه ليس من شأنه، ولا داخلا في حدود اختصاصه. والقدر الضروري له منه ليعلم مركزه في الكون بالقياس إلى ما حوله ومن حوله، قد تكفل الله سبحانه ببيانه له، لأنه أكبر من طاقته. وبالقدر الذي يدخل في طاقته"[2].

لهذا كانت كل مواضيع التفكر تتعلق بالواقع المعيش للإنسان فقد "جعل الواقع المدرك بالحس هو مجال التفكير صيانة لطاقة التفكير، ووقاية للفكر من الوهم و الخرافات والوقوع في أحابيل تصورات الغيب، لذلك يجد المتتبع للآيات التي تحث على التفكير والعقل وطلب العلم أنها جميعًا

---

[1] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج2، 481.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج6 ، ج29، ص 3731.

تبحث في الكون والإنسان والحياة وما توحي به من علاقات، واستخدمت لذلك أدوات الحس كالسمع والبصر قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾[1]، فحذر من إتباع ما لا يعلم الإنسان حقيقته، فالسمع والبصر والفؤاد هي المخولة بتحديد حقيقة الواقع. وذمّ من بحث في الغيب المجرد لأن هذا فوق طاقة الإنسان"[2]. وهذا سبب حمل القرآن الكريم على كثير من الماديين الذين أوتوا وسائل الإدراك و لم يحسنوا توظيفها فوصفهم بالصم البكم العمي الذين لا يعقلون، ونزل بهم من مستوى الانسانية إلى دركات الحيوانية قال تعالى ﴿ **صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[3]. لأنهم أكرموا بالعقل لكنهم رضوا بأن يكونوا أمثال الحيوانات.

وارتباط التفكر بالواقع هدف أساسي من أجل مصلحة الإنسان في الدارين بتحقيق الخير والعيش الهنيء في الدنيا، والفوز برضا الله في الآخرة فقد"حدد القرآن الكريم آفاق التفكير والأسس التي ينطلق منها عبر إثارته تلك الوسائل وتوجيهها إلى أمهات القضايا المرتبطة بحياة الإنسان، ليتصف الإنسان بالحكمة والتعقل في تفكيره وسلوكه، وليهتدي بفضل القرآن للتي هي أقوم"[4].

وبسْط القرآن للآيات الكونية وعلى جل السور القرآنية، يصور لنا درجة ارتباط هذه الآيات بحياة الإنسان الدنيوية والأخروية، فهي ترِد بعد نهاية كل حكم تكليفي أو دعوة إيمانية أو ضرب للمثل أو سرد للقصص، لتبين أن التفكر فيها عامل إصلاحي لسلوك الناس وطريق منير للتقرب من رب البشرية، من خلال تعميق معنى رحمة الله بالناس وعظم فضله عليهم، بتسخير الكون للإنسان وتوجيه عقله للاستفادة منه بحسب ما يناسب حاجاته ويخدم مصالحه واهتماماته، فكانت الحكمة في مخاطبته على قدر عقله، بإنزال الوحي على بشر مثله، وجعْل القرآن الكريم كتابا سطرت فيه الرؤية المنهجية لعوالم هذا الكون. كل هذا يسهم في بناء النظرة الواقعية لموضوع التفكر،

---

[1] سورة الإسراء، الآية 36.

[2] حوامدة، مصطفى، مهمة القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الانسان، مجلة جامعة دمشق – سوريا، المجلد 19، العدد 2 ، 2003م، ص 596.

[3] سورة البقرة ، الآية 18.

[4] الدغامين، زياد، تفعيل وسائل الادراك في الإنسان، ص 255-256

ويحدد عمق القضايا المتفكر فيها فهي ليست قضايا سطحية ولا قضايا فكرية لا ينتج عنها إثراء لمسيرة الإنسان في هذه الحياة أو ثواب في الدار الآخرة، هذا ينبهنا على قضايا الفكر الإسلامي اليوم التي نجد أغلبها تغيب فيها هذه الرؤية، فارتباط الفكر بالواقع شيء ضروري في الإسلام، وإلا فسيكون كلاما لا جدوى منه.

والقرآن الكريم عندما يركز على هذه المخلوقات والمسخرات، فإنما يركز على النموذج، في حين أن كل ما في الكون هو آية تدل على الله، وعلى الإنسان أن يكتشفها بالدرس والتأمل والتجربة. حتى هذه الواقعية تنضبط في القرآن بعظمة القضايا، فكون الإنسان يتفكر في الواقع، قد يعني أنه يفكر في الحياة وكسبها دون ربطها بالغايات الكبرى لحياته. فهنا لا يمكن القول أن هذه العملية هي التفكر ، ومنه فالواقعية وعظمة القضايا وعمق الطرح ثلاث ظوابط تندرج في إطار واحد.

واستبيان أسلوب القرآن في عرض القضايا الجوهرية التفكرية يزيدنا وضوحا لهذه الضوابط، فالآيات المأمور التفكر فيها تعود إلى الآيات الكونية (من خلق السموات والأرض، انزال الماء، انبات النبات بأنواعه، والنحل) وآيات الأنفس (خلق النفس وآية الزوجية، آية الحياة والموت) وإلى آيات الوحي والخاصة بإثبات النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم، وأثر ومكانة هذا القرآن العظيم في النفوس، وبيان مقاصد التشريع من خلال آية الخمر والانفاق.

كما أننا نلاحظ أن جل الآيات التي تحدث عنها القرآن، هي مرئية ومشاهدة في حياة الإنسان، وقابلة للإدراك ، لا تحتاج إلا الى إمعان النظر وتمحيص الفكر فيها، ما يجعلها غير بعيدة عن مرأى جميع الناس ، على تفاوت مراتبهم ودرجاتهم العلمية ، ففي كل ميدان لعمل الانسان يلمح آيات الله تتجلى أمامه، فالطبيب يتعامل مع النفس ويغوص في أسرارها وخفاياها، والفلاح في مزرعته يلاحظ صنوف النباتات واختلافاتهاـــ والبدوي في مرعاه، والغواص في أعماق البحار ... فهي في بيئة الانسان ومحيطه، وبين جنبيه وفي القرآن الكريم ، فلا يمكن لأي إنسان انكارها .

والاستقراء الموضوعي لآيات التفكر ينبئ بدقة القضايا المتعلقة بالتفكر، فهي تحتاج إلى تركيز عميق، لإستكشاف حقائقها ومعرفة كنهها، وإدراك الغاية من الحياة والموت ومعرفة أسرار الخلق، وتحصيل مقاصد التشريع ، وبيان إعجاز القرآن الكريم.

ومع عظم هذه القضايا، إلا أنّا نلاحظ أنها قريبة المأخذ من الإنسان، سهلة على الأفهام، يسيرة الإدراك، تتدرج في أحكامها ومعطياتها لتصل بالإنسان إلى الغاية الكبرى، وهي تحقيق العبودية الحقة لخالق الكون والإنسان. فهي تعتبر الصفحة الأولى للإيمان، بما تحويه من دلائل للتوحيد، تزيل الغشاوة عن الفطرة السليمة، ليحدث التوافق بين الإثنين، وبقدر معرفة وعلم كل فرد يصل التفكر مبلغه، وتعظم درجة إيمانه.

وتنطلق كل هذه القضايا من الواقع المعيش للإنسان، بعيدا عن غوغاء التفلسف والأوهام والخيالات، لذا ينضبط التفكر في هذه القضايا بمبدأ الواقعية، فهو يهتم بما تحويه حياة الإنسان من أمور وقضايا أساسية، ويصوغ منها التكامل الإنساني والتوافق الوجودي مع الكون، بتحقيق سنن الله على الأرض، وبهذا يتم الفهم الشمولي للخطاب القرآني بالدعوة للتفكر. فالآيات الكونية هي في حقيقتها دلائل على عالم الغيب المخفي على الإنسان، والتفكر فيها يوصل إلى الحقائق الغيبية الكامنة وراءها. ومواضيع التفكر يجب أن تكون واقعية، أي مرئية ومشاهدة وذات علاقة وتأثير جلي في حياة الإنسان، لأن التفكر في الأمور والمسائل المتخيلة لا يوصل إلى نتائج، بل يجعل تفكير الإنسان سطحيا، بل قد لا يتجاوز خواطر النفس التي لا يترتب عليها عمل مثمر.

لذا أمر الله الناس بالتفكر في أحوال الدنيا وعدم إهمالها لأنها مزرعة الآخرة وبالمقابل عدم الإنغماس في الدنيا والتفكر في أحوال الآخرة لانها الدار الباقية، وبذلك تتحقق ملامسة التفكر لواقع الناس. فلو جلس الإنسان وركز عقله وتفكر في هذه النعم المسبغة عليهم، وكيف تسير أجهزته التنفسية والهضمية والدموية ...بغير حول منه وقوة وعرف أنها لو توقفت لدقيقة كان هلاكه، فسيعود حتما تائبا مدركا لحقارة نفسه وعظم المولى وقدرته. ثم ينظر إلى حالة النوم الذي يتلبسه كل يوم، وفيها من الدلالات الحقيقية على يوم البعث الشيء الكثير، فهل يستطيع أن يتحكم في نومه بأن يظل قادرا على التمييز والإدراك والتصرف أو فيما يراه. وهذا يخلق نوعا من الهيبة في واقع الإنسان تكسب سلوكه نوعا من الجدية والحزم في تصاريف الحياة، خوف انقطاع الأجل وقلة العمل.

وسهولة الفهم عن الكون وإدراكه جماله ونظامه بادية للعيان كل بحسب عقله ومعرفته فهو "كتاب الحق المفتوح، الذي يقرأ بكل لغة ويدرك بكل وسيلة؛ ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة والكوخ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور. كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده، فيجد فيه

زادا من الحق، حين يطالعه بشعور التطلع إلى الحق"[1]. فإن آية واحدة من آيات الله قد يظل الإنسان سنينا طوالا وهو يحاول أن يلم بأسرارها فلا يستطيع، فبالرغم من كل التطور الذي وصلت إليه البشرية على مر السنين، إلا أنها لم تستطيع أن تصل إلى كل الحقائق الموجودة في الكون. وما لم يتنور درب الإنسان بهدى القراءة الأولية من الوحي سيظل بعيدا عن الهدف المنشود عند قراءتها الثانية للكون، "فمن تجاوز القراءة الأولى في الوحي النازل إلى النبيين واستغرق استغراقا كليا في القراءة الثانية التي تمثل علم الكون أو معارف الطبيعة منقطعة عن الله تعالى، فقد العلاقة بالله وتجاهل الغيب وانطلق بفلسفة انسانية مستقلة منْبتَّة عن الله، عوراء قاصرة في مصادرها تحاول أن توحد بين الإنسان والطبيعة بإطلاقٍ، وتَعدُّ الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيات ميتافيزيقية يمكن تجاهلها أو تجاوزها . "[2]

كما أن حصر العقل بين دفتي المصحف دون الإنطلاق المأمور به في القرآن للبحث في أرجاء الكون يسبب تخلفا عميقا عن ركب الحضارة والتقدم، "كما أن تجاوز القراءة الثانية في الكون وإهمالها أو عدم جمعها مع الأولى يؤدي إلى ظهور العجز الانساني الحضاري، وتعطل طاقات الانسان، وإلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة" [3].

المطلب الثالث: نبذ التعصب واتباع الهوى

إن أهم ضابط حرص القرآن الكريم على التنبيه عليه في مجال التفكر واعمال العقل هو التزام الموضوعية أثناء بحث القضايا الكونية والإنسانية أوما يتعلق منها بالوحي، لذا فقد عمل على نبذ كل ما من شانه أن يعيق العملية التفكرية، وهذه العوائق يمكن أن تكون داخلية نابعة من نفس الإنسان وتقلباتها، أو ناتجة عن الواقع الخارجي وتأثيراته. فتحرر الإنسان من القيود الذاتية مثل سطوة الأهواء واتباع الظن، والموجهات الخارجية مثل موروث العادة و التقاليد، انطلق في أرجاء الكون بغير حدود، وأصبح قادرا على مدارسة الدلائل ومراجعة البراهين والتوظيف الجاد للوسائل، ما يمكنه من تحريك عقله في اتجاهات شتى للوصول إلى الأحكام الصائبة، وفهم الأمور بشكل

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج6 ، ج26، ص 3360.

[2] العلواني، طه جابر، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة – مصر،ط1، 2006م، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص 26

صحيح. هذا ما يصطلح عليه بانتهاج الموضوعية في التفكر، والتي هي :" مجموعة الأساليب والخطوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية"[1].

هذه الموضوعية تتطلب تعاملا أساسيا مع الحقائق، ما يجعله عنصرا هاما في العملية التفكرية، "لأن إدراك الحقائق على ما هي عليه قد يكون ميسورا في كثير من الأحيان، لكن التعامل مع الحقائق بموضوعية لا يكون إلا معقدا، حيث إنه يحتاج إلى علم وخبرة، ويحتاج إلى مرونة وتجرد عن الهوى، ويتطلب في بعض الأحيان تجاوز القشور والغوص نحو الجوهر،كما يتطلب ترتيبا للأولويات وفقها للموازنات"[2].

لذلك كان القرآن حين يخاطب عقل الإنسان ليتأمل ويفكر في مظاهر الكون العديدة وسننه المبثوثة فيه، يطلب من العقل التجرد في تفكيره من تأثير البيئة المحيطة به والتخلي عن الهوى الذي يعمي بصيرته، ويمحص الأفكار الخارجية تمحيصا دقيقا ولا يقبل بالغثّ، فهذه العوائق تعطل فطرته الملهمة بالصواب، وهذا التجرد ينبني على خطوتين أساسيتين هما :" أحداهما يطرح فيها الإنسان جانبا آراءه السابقة عن الكون، أو إن شئت قلت يطرح فيها التقليد ليتحرر فكره من قيوده، ويكون أكثر استعدادا للبحث الموضوعي، والثانية يكوِّن صورة عن الكون، وعن علاقته به ودوره فيه "[3].

وهذا ما وضحه الله سبحانه وتعالى في آية سبأ، قال تعالى :" ﴿**قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ**﴾ [4] ، وهي آية وردت في القرآن المكي لتبين المنهج المتكامل للوصول الى الحقيقة، أين

كانت العوائق الداخلية والخارجية تسيطر على نفوس المشركين، وأفكارهم ومعتقداتهم، وفي هذا يقول الشيخ القرضاوي معلّلا طلب القرآن من الرسول ص وعظ المشركين بالتحلي بخصلة واحدة والتي تتمثل في انتهاج الموضوعية سبيلا : "هذه الخصلة الواحدة المطلوبة مكونه من خطوتين:

---

[1] بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق-سوريا، ط4، 2005م، ص 14.

[2] المرجع السابق، ص92

[3] حامد قنيبي، الكون والإنسان في التصور الاسلامي ، مرجع سابق، ص 26

[4] سورة سبأ ، الآية 46.

أولى وثانية. الخطوة الأولى: أن يقوموا لله مثنى وفرادى، والقومة تعني: النهوض والعزيمة. والخطوة الثانية: أن يتفكروا، أي يعمِلُوا عقولهم ولا يجمدوها"[1].

وفي هذا الأمر حث على إلتزام الإخلاص والقيام لوجه الله بغية معرفة الحقيقة، بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية، والأفكار والآراء السابقة، والمشاعر والعواطف، ثم يختار أن ينعزل لوحده أو يختار شخصا يثق في رجاحة عقله، ويعملا على إطلاق العنان لعقولهما مع استخدام الوسائل المعينة لذلك ليصلا الى الهدى والرشاد، و"بدأ بقوله مثنى دلالة على أن الحوار والأخذ والرد الثنائي هنا قد يكون أجدى، لأن المرء يسمع مع جليسه وصديقه، ولا يأبى أن يسلم له إذا أقنعه، ولكنه قد يرفض الهزيمة إذا كان أمام الجمهور"[2].

من هنا يتبين مكانة العقل في المنظومة الفكرية حيث أنه يلعب دور المحرك الأساسي للحواس والمترجم لها، يبحث بواسطتها عن الحقيقة ، فيحلل الأدلة بكل موضوعية، متحررا من عدة أغلال تَحُدُّ من البحث العقلي، وتوقع المتفكر في شباك النظر القاصر، والتقدير الخاطئ. ويمكن تصنيف هذه العوائق إلى عوائق داخلية، تخص النفس البشرية وما يعتريها من حالات وصراعات داخلية تؤثر في عملية التفكر، وعوائق خارجية تتصل بالواقع المعاش لها دورها في التأثير على نتائج التفكر .

الفرع الأول: العوائق الداخلية

البند الأول: الكبر

من أهم العوائق التي تسيطر على النفس البشرية وتمنعها من أداء مهمتها التفكرية على أكمل وجه، وتعود في أصلها الى تلوث الفطرة البشرية وغلبة الران عليها، الكبر فهو يعتبر من الأدواء الخطيرة التي تورد صاحبها النار، وقد عمل القرآن على محاربته والتنبيه على دوره في تغطية على العقل والبصيرة، ومنع الخير والحق عن الإنسان،ذلك أنه صفة تمنع صاحبها من التمعن والتأمل في آيات الله سواء الكونية أو القرآنية، ولأنها تضرب على قلب صاحبها حجابا يصرفه عن الرشد وإدراك ما فيه من الحق، يقول تعالى﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ**

---

[1] القرضاوي، يوسف، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبه،القاهرة–مصر، ط1،1996م، ص40،41.

[2] المرجع السابق، ص41.

﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[1]. قال الإمام السعدي: "سأصرفهم عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية والفهم لآيات الكتاب".

والكبر معناه "إعجاب المرء بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره ...يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم"[2].

وهذا الإعجاب ينعكس على سلوكياته مع غيره وحتى مع نفسه، فيعتقد الكمال في نفسه، وأنه ليس بحاجة إلى من يدله على الطريق المستقيم، فهو أدرى بمصلحته وأعرف الناس وأحكمهم، ما يزرع في نفسه الغرور والعجب "فالمتكبر عنده اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده، وعز في نفسه بسبب ذلك "[3] ، فقلما تجده ينصاع للحق ويأخذ به، لأنه يرى نفسه أفضل من غيره. كما أنه يثير في نفس المتكبر حب الانتصار والغلبة، حتى ولو كان مخطئا، فالكبر يمنعه من الإعتراف بالحقيقة.

فالكبر هو ذنب إبليس، وكان سبب حصوله على اللعنة الإلهية إلى يوم القيامة وخروجه من الجنة واستحقاق الكفر، قال تعالى﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4]، وهو سبب كفر الأقوام السابقة وبعدهم عن الإيمان والتوحيد، فإستكبارهم في الأرض وفرحهم بما عندهم وإصرارهم على أفكارهم معتقداتهم، جنى عليهم، قال تعالى عن قوم نوح:﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾[5] وقال تعالى عن عاد قوم هود : ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[6]

ويعمل الكبر على تعطيل وسائل الإدراك ، من خلال توجيه عملها لخدمة الذات ومصلحتها، فيكون صاحبه قادرا على إمتلاك الأدوات الخاصة بالعملية التفكرية، لكنه بعيد عن

---

[1] سورة الأعراف الآية 146

[2] الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت-لبنان،دط، دت ط، ص 421.

[3] أبوحامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج 3، ص344.

[4] سورة البقرة، الآية 34

[5] سورة نوح، الآية 07.

[6] سورة فصلت، الآية 15.

الإنتفاع بهذه الأدوات، ومن التفكر والإدراك. قال تعالى﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. وهذه كانت حال الوليد بن المغيرة حين استولى الكبر عليه ومنعه من التفكير المثمر والنظر الصائب المؤدي للإنصياع للحق بالرغم من أنه حاول التفكير الجاد في موضوع القرآن والرسول. قال تعالى﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[2]. وكلها هيئات حاول أن يظهر فيها عمق تفكيره لكن كانت نتيجتها الإدبار ،"ويجوز أن يكون مستعاراً لتغيير التفكير الذي كان يفكره ويقدّره، يَأساً من أن يجد ما فكر في انتحاله، فانصرف إلى الاستكبار والأنفة من أن يشهد للقرآن بما فيه من كمال اللفظ والمعنى"[3]. فتعاظم أن يعترف بالحق ما جعله يصدر أحكاما خاطئة.

فالكبر داء يمنع من التفكر في آيات الله ومخلوقاته ويجعل الإنسان يستعلي على نعم الله وخلقه، ويظن أن هذه الدنيا حيزت له ليتمتع بها ويعيش فيها كما يشاء، فينصرف عن التفكر في دلائل الآيات وعواقب الأمور، والخضوع إلى الحق إذا استبان له ، وينقاد إلى أهوائه وشهواته، ويعمل على مواجهة الآيات والدلائل حتى لا يخضع للحقيقة.

البند الثاني:الغفلة

وتعتبر الغفلة من العوائق التي تتعلق بالنفس البشرية، وذلك أنها "إدراك الشّيء مع وجود مايقتضيه"[4]. وعند الرّاغب هي: "سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ "[5] وتحدث الغفلة إما لكثرة الشواغل، أو بسبب الألفة والإعتياد على الشيء فلا ينتبه لحقيقته، أو جمود في استعمال العقل، بحيث لا يبالي ولا يهتم بما يوجد حوله وما يدور في محيطه من أحداث، فيمر عليها من دون

---

[1] سورة الجاثية، الآية07.

[2] سورة المدثر، الآية 18- 24.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج29، ص309.

[4] الكفوي، كتاب الكليات، مصدر سابق، ص 800.

[5] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2،ص 156.

أن تثير في نفسه شيئا. وهي بذلك عندما تعتري العقل البشري، يصبح معرضا عن كثير من الدلائل الكونية ، أو الأحداث الإنسانية والتاريخية .

وقد عمل القرآن على محاربتها، وذم أصحابها لدرجة تشبيههم بالأنعام بل هم أدنى من ذلك، يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1]. كما وصم الله بها الذين يفضّلون ملذات الدنيا وينسون العمل للآخرة فكان جزائهم الطبع على وسائل الإدراك، فهي موجودة لديهم لكن لا تؤدي عملها قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[2].

هذا الحب الشديد للدنيا جعلهم يميلون لها ميلا كبيرا حتى أن "أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مُغَفّل لا ذهن له ولا فكرة"[3]. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[4]. فظاهر هذه الدنيا الفانية التي يتنافسها الناس ويتسابقوا بتحصيلها هو "ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها، وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة"[5]، فكان لابد من التنبيه على غفلتهم التي صاروا ملتبسين بها، لا ينفكون عنها. ولهذا جاءت صيغة الغفلة جملة إسمية لتدل على استمرار

---

[1] سورة الأعراف، الآية 179.

[2] سورة النحل ، الآية 107،108.

[3] تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص 305.

[4] سورة الروم، الآية 07.

[5] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص 487.

غفلتهم ودوامها[1]، وتكرير ضمير (هم) ثانية لتؤكيد أن الغفلة منهم وأن أسباب التذكر موجودة فالكون كله مجال تفكر وتذكر. لكن الغفلة تمكنت من قلوبهم وضربت حجابا على عقولهم لذا "وقفهم على جهة التوبيخ على أنهم قد فكروا فلم تنفعهم الفكرة والنظر إذ لم يكن على سداد"[2]، قال تعالى﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم** ﴾وفي هذا إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ظاهر الحياة الدنيا ونسيان الآخرة. ولو أن الإنسان أزال الغشاوة عن عينيه وركز فيما يحيط به ابتداءا بالتفكر في النفس وانطلاقا إلى ربوع السموات والأرض وما بينهما، و لم يكتف بهذه الحياة الدنيا وعمل للآخرة لأدرك حقيقة الأجل، وأن خلقه ما كان باطلاً وعبثاً "بغير غرض صحيح حكمة بالغة، ولا لتبقى خالدة إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب "[3].قال تعالى﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[4] لكن أكثر الناس غافلون عن نهاية الدنيا وحساب يوم القيامة.

ومن أسباب الغفلة أُلفة الأشياء بسبب تواجدها الدائم وتكرارها اليومي "فالتكرار الرتيب يفقد أعظم ظواهر هذا الكون روعتها وعظمتها، وإلا فكيف لا تهتز مشاعرنا لرؤية الشروق كل صباح بما فيه من الآيات البينات، وكيف لا تمتلئ أنفسنا بالخشوع ونحن نستعرض صباحا مساء الخلائق التي تعمر أرضنا من نباتات و حيوانات وطيور في جو السماء وأسماك في البحار والأنهار" .

وهذه الألفة الشديدة تزداد حتى لتمنع الإنسان من التفكر في نفسه وتركيبه وما صوره الله عليه ، وهذا الإختلاف الحاصل بين البشر من أجناس وأشكال وألسنة وألوان، بل إن تنوع الحيوانات والنباتات والكائنات الأخرى ليبعث في النفس الفضول للبحث عن سر هذا الإختلاف، لكن العقل استحسن هذه الكائنات وأصبحت عنده لوازم يجب أن تكون على هذا النحو، وأهمل التفكر فيها

---

[1] أنظر: الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج21، ص22.

[2] ابن عطية، تفسير المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج4، ص382

[3] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص 487.

[4] سورة المؤمنون، ص 115.

لأن غشاوة التعود ضربت بشباكها على الأبصار. فكان الأمر الإلهي للإنسان بترع حجاب الغفلة عند التفكر في الأشياء، وأن "يزيح الغشاوة عن عينيه وعن قلبه وينظر بعد ذلك إلى الكون وإلى نفسه نظرة فاحصة وكأنه يشاهد ذلك لأول مرة، فإذا فعل ذلك فستصيبه الدهشة والروعة من عجيب ما يرى، وستنطلق جوارحه كلها بتسبيح الله وتوحيده وسيخر ساجدا لله تعالى شاكرا حامدا" [1].

البند الثالث: اتباع الهوى

والهوى في اللغة مأخوذ من الخلو والسقوط[2]، وقيل سمّي بذلك لأنّه "يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية وفى الآخرة إلى الهاوية" [3]

ويعرفه الجرجاني بأنه "ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"[4] وغالبا ما يكون الهوى مختصا بالأداء والأفكار والاعتقادات، بمعنى إتباع شهوة النفس من غير التثبت والعلم بموافقة الأمر للشرع والتفكير في عواقبه.

فاتباع الهوى خلل في نفس الإنسان يورده المهالك، يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى (يتّبعون أهواءهم) قال :أي" آراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان"[5] لذلك حرص القرآن على ذم الهوى واعتبره "خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب الحق والعلم، ذلك لأن العالم يجب أن يستبعد كل ما يتعلق بذاته في مقابل ما يسمى "الموضوعية[6]". فالبعد عن الذاتية وأهوائها ميزان دقيق ومعيار مضبوط وضعه الله تبارك وتعالى، من أجل وقاية الإنسان من الوقوع في الضلال والإبتعاد به عن الأوهام والخرافات.

---

[1] الفاداني،زهرية محمد بن صالح، تسخير ما في الكون للإنسان في ضوء سورة النحل وآثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل ،إشراف أبو ضيف مجاهد حسن، رسالة ماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية، 1988م، ص 4

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج6، ص16.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ج2، ص486.

[4] الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص 320.

[5] تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج13، ص 295.

[6] عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، مرجع سابق، ص45

ولطالما كان اتباع شهوات النفس من أقوى عوامل انحراف الإنسان في الدين والتفكير والسلوك، فإن صاحب الهوى تابع لشهوات نفسه، همه أن يرضي نفسه وإن كان على حساب معتقداته ومبادئه وقيمه، فلا تجد له رأيا سديدا ولا حكما صائبا خاصة إن كان الحق ليس في صفه ـــ حتى يجني الضلال والشقاء لأنه ظلم نفسه بانصياعه لطلبات هذه النفس، قال تعالى﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[1].

لذا عمد القرآن إلى بناء منهجية عقلية تقوم على استبعاد كل ما كوامن وشهوات وظنون النفس البشرية، ذلك أن النظرة الموضوعية للوجود يجب أن تقوم على اليقين والعلم، لذا عاب القرآن على الكفار والمشركين استعمالهم الظنون والأوهام والخرافات للتبين من القضايا التي كانت تواجههم، قال تعالى ﴿**وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ**﴾[2]، و"الظن اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم"[3]، لأنه يوافق إطلاق العنان لهوى النفس وإضمار النية السيئة ما ينتج عنه سوء التقدير للأمور، وتشويش الأفكار والإبتعاد عن الحق قال تعالى ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾[4]. ويستفاد من هذا الخطاب الرباني أن على الإنسان بذل الجهد والاجتهاد في طلب الحقيقة بتمحيص الآراء والأفكار، ومطابقتها للواقع ليكون فكره على سداد.

وذُكر اتباع الهوى كعائق في موضوع التفكر، في قصة الذي أوتي الآيات في سورة الأعراف ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ**﴾[5]. فبالرغم من التفضيل الإلهي

---

[1] سورة القصص، الآية 50.

[2] سورة الجاثية ، الآية 24.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، مصدر سابق، ص 317.

[4] سورة النجم الآية 28

[5] سورة الأعراف، الآية176.

والتكريم الرباني له، بمنحه دلائل الإيمان، وتسهيل طريق الحق له، لكن غلبة الهوى على نفسه، واتباعه لنزوات النفس، وعدم قمعها، جعله يبتعد عن الصواب، ويلتصق بالأرض وتأبى روحه الصعود إلى بارئها في معراج الهداية،لأنه انسلخ من العمل بالآيات الكريمات، ويقال لكل شيء فارق شيئاً على أتم وجه انسلخ منه، فسلط الله عليه الشيطان بإغوائه، فصار في زمرة الضالين، فحاله في السعي وراء الدنيا لاهثا كلُهاث الكلب لا يقنع بما حصل منها أبدا لأن لجام نفسه تمزق. واستعمل في ذلك الجملة الإسمية "للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره عليها "[1]، فهي حالة دائمة ملازمة له ، فإذا وعظت هذا الرجل،أو لم تعظه يبقى على حاله من الضلال وإتباع الهوى.

ويذكر أن هذه الآية هي أشد آية على العلماء، فقد ذكر الألوسي في تفسيره عن الطيبي قوله:" أن من تفكر في هذا المثل وسائر الأمثال المضروبة في التنزيل، في حق المشركين والأصنام من بيت العنكبوت والذباب، تحقق له أن علماء السوء أسوأ وأقبح من ذلك، فما أنعاه من مثل عليهم وما هم فيه من التهالك في الدنيا مالها وجاهها، والركون إلى لذاتها وشهواتها، من متابعة النفس الأمارة وإرخاء زمامها في مرامها .

كما أوصى الله أنبيائه قبل عباده بضرورة كبت النفس وعدم الخضوع لها، ليكونوا في ذلك قدوة لغيرهم ،قال الله تعالى: ﴿**يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ**﴾[2].

وإتباع الهوى عامل أساسي في الركون إلى بالدنيا، يعمل على طمس الحقيقة في الرؤية والطرح، وتزيل عن الإنسان قدرة التركيز الجاد، والتمعن في تفاصيل ودقائق الأمور، من أجل هذا ضرب الله مثلا للذي سرته الدنيا بملذاتها، وافاضت عليه من خيراتها، ومنحته بستانا زاخرا بأنواع النباتات والأشجار والأنهار ،حتى إذا عظم رجاؤه في حصاد هذا البستان، أرسل الله عليه جنوده، فأهلكته فبقي مذموما محسورا.

لهذا وجب على من أراد أن يكون تفكيره سليما صائبا أن يحاول التحصن من هذا العائق، بقدر الإمكان وإلا فإن نتائجه لا تحمد عقباه.

الفرع الثاني: العوائق الخارجية

---

[1] الألوسي، تفسير روح المعاني، مصدر سابق، ج9، ص115.

[2] سورة ص، الآية 26

لم يهمل القرآن الكريم دور البيئة كعامل مؤثر في تحديد سبيل التفكر، وقد تكون عائقا في وجهه بما تحمله من أفكار وأوهام وضلالات انتشرت فيها عبر تراكمية السنين، وسيطرة الجهّال، وغلبة الموروث التقليدي والعادات عليها. والوقوف صفا إلى جانب رأي القبيلة وعظيمها بجهل وعن غير قناعة بلا هدى ، ما يسبب تشنجا لعملية التفكر يوقف عملها، أو يقود خطاها إلى طريق الضلال. ومن أهم العوامل الخارجية التي تعمل على طمس الحقيقة:

البند الأول: التقليد الأعمى

فمن تلك الضوابط التي حرص القرآن على بثها في عقول تالي الكتاب رفضه للتقليد الأعمى لما كان عليه الآباء والأسلاف، دون التوثق من أفكارهم ومعتقداتهم وصحة أفعالهم، وذلك أن من أساليب تفعيل العقل منحه الحرية المطلقة للانطلاق بين أفياء المعرفة، وبساتين العلم، يحلل ويقيس ثم يستنبط ويستنتج ،ليصل في الأخير إلى إدراك معالم الحقيقة .

والمقصود هنا بتقليد الآباء هو الخضوع لسلطان العادات والأعراف التي يتوارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم، "ولعل تسفيه أحلام الآباء والأجداد كان من أكثر ما يثير أهل الجاهلية، ويبعث فيهم الحنق والغضب"[1]. ومن ثمّ كان على الإنسان التثبت والتروي في الأخذ بها وامتلاك ميزان دقيق "يمكنه من تقديم تركه أسلافه وإنزالها في المنزلة اللائقة بها لئلا يقدس ما كان عاريا عن كل مقومات البقاء سوى ميزة القدم"[2].

وعمل القرآن على محاربة التقليد الأعمى في العقيدة لأنها "تصورات وأفكار فاسدة لا دليل عليها ولا برهان، يتوارثها الناس أحيانا فتكتسب شيئا من التقديس، وبمرور الزمن تصبح أمورا مسلمة لا تحتاج إلى نظر أو تفكير، وتصبح مخالفتها والخروج عليها أمرا صعبا"[3].

وقد شن القرآن حملة عنيفة على الجمود والتلقيد في كل صوره، وسائر أشكاله، حيث يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ**

---

[1] العقاد، عباس محمود، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر، مصر، القاهرة–مصر،دط، دت ط، ص 19 .

[2] عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، مرجع سابق، ص53.

[3] الهيشان، محمود محمد عواد، جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، إشراف د.محمد احمد الملكاوي، أ.د شادية التل، رسالة ماجستير بجامعة اليرموك – الأردن ، 1996، ص 90

﴿ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[1]، ويقول أيضا:﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾[2].

وسبب نبذ القرآن لعامل التقليد كونه يجمد العقل ويوقفه عن العمل، ويؤدي إلى إنكاره للجديد على مستوى كل مجالات بكل صوره وألوانه، ومعارضة الحق وإن كان فيها الخير له. فيصبح الإنسان إمَّعة لا يدرك معاني تصرفاته وسلوكياته ولا يتبين حقيقة اعتقاداته، مع أن الله خلق الإنسان وجعل له الحرية المطلقة لإتخاذ قراراته وإعتناق أفكاره ومعتقداته، ليتم على أساسها حسابها يوم القيامة، ولهذا السبب كان تمييز الإنسان بهذه الوسيلة وحفظها وإحاطتها بقرارات العقل كإحاطة بالجمجمة به، حتى لا تتأذى أو يمكن للغير المساس بها أو التأثير عليها. وإن حدث وحصل هذا التأثير فيكون برضا هذا الإنسان وعن غير قناعة منه لتوقفه عن استعمال عقله.

وكانت دعوة القرآن الكريم في نبذ هذا العائق للتفكر نابعة من آياته فقوله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[3] بمعنى: فكّروا في أنفسكم بعيداً عن ضجيج الناس وجدالهم ومِرائهم، فحين يكون الإنسان لوحده يكون قادرا على إتباع الأصوب، والنظر الدقيق في معتقدات السلف ونقد أفكارهم وتمحيص توجهاتهم، من دون أدنى خجل أو خوف. وبذلك يتبين الإنسان بساطة الطريق ويسرها فيتبعها عن قناعة.

وقد يكون التقليد ناتجا عن مجاراة رأي الأغلبية حتى وإن لم يكن على قناعة به، أو خشية الخروج عن المنهج السائد في المجتمع، لذا جاء القرآن يبين أهمية الخلوة في التفكر حتى يتبين للإنسان من حقيقة الأمور والقضايا ويتمكن من النظر إليها من كل الزوايا، فإن لم يسعفه فكره، لجأ إلى صاحب عقل رشيد نوّر له طريقه بالحق.

يقول العقاد في بيان موقف الإسلام من هذا العامل "وإن الإسلام ليأبى على المرء أن يحيل أعذاره على أبائه وأجداده، كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا من أولئك الآباء والأجداد، وإنه لينعى على الذين يستمعون الخطاب أن يعفوا أنفسهم من مؤنة العقل لأنهم ورثوا من آبائهم

---

[1] سورة البقرة، الآية 170.

[2] سورة هود، الآية 109.

[3] سورة الروم، الآية 08.

وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها"[1]. لذا يعتبر د محمد عمارة أن جوهر أزمة الفكر الإسلامي المعاصر "هو إسراف العقل العربي والإسلامي في المحاكاة والتقليد وفقره إلى الإبداع والتجديد" [2]. تقليدا للموروث الإسلامي السابق أو للعقلية الغربية في التفكير، والإنسلاخ عن الهوية الإسلامية. وهو ما أصاب الأمة بالجمود والحضارة بالإنحطاط والعقل بالإنزواء بعيدا عن ميادين العلم والمعرفة.

لقد حرر الإسلام الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء المقيتة، ورباه على حرية الفكر، واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك عقله، ويستقيم تفكيره، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته، فإن كمال العقل، واستقامة التفكير، واستقلال الإرادة، هي أسس صحة العقائد، واستقامة التدين، ورقي الأخلاق، ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع، ومعرفة الباطل الذي يجب أن يجتنب، فلا سبيل للمسلمين للعودة إلى ما كانوا عليه إلا أن ينبذوا عنهم الأفكار العقيمة المقدسة ويطلقوا العنان لعقولهم للتفكر في الكون والوحي، فيدركوا سر الخلق ويعوا دورهم الريادي في الحياة.

البند الثاني: التعصب

يميل الفرد في العادة إلى السير وراء الكثرة ويستظل بظلها لذلك ينجر ويأخذ آراءها ويعتقد أفكارها. لذا جاء في آيات التفكر التحذير الأكيد من الركون لهذا العائق، وذلك حين جاءت الموعظة الربانية لأهل قريش بالإختلاء فرادى أو الإجتماع الثنائي فقط ، والتفكر في أمر الرسالة والرسول بكل موضوعية وبعد للهوى والعصبية "لأن الجماعة يكون مع اجتماعهم تشويش الخاطر والمنع من التفكر، وتخليط الكلام، والتعصب للمذاهب، وقلة الإنصاف ...وأما الاثنان، إذا نظرا نظر إنصاف، وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له، فلا يكاد الحق أن يعدوهما. وأما الواحد، إذا كان جيد الفكر، صحيح النظر، عارياً عن التعصب، طالباً للحق، فبعيد أن يعدوه...وقدم مثنى لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة ، إذا انقدح الحق بين الاثنين ، فكر كل واحد منهما بعد ذلك ، فيزيد بصيرة. "[3].

---

[1] العقاد، التفكير فريضة اسلامية، مرجع سابق، ص 19

[2] عمارة،محمد، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ،دار الشرق الأوسط، القاهرة- مصر،دط،دت ط، ص 55.

[3] أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج7، ص 277.

وقبل هذا دعاهم لتحقيق القيام لله تعالى، هذه القومة لله يجب أن تكون" بعيدة عن التأثير الغوغائي، وتأثير العقل الجمعي كما يسيميه علماء النفس، والتحرر من عوطف المجاملة ومراعاة الخواطر، ومشاعر الخوف والطمع، والخجل من مخالفة الأباء، أو مخالفة الكبراء، أو الخروج عن الخط العام، والخشية من الذم أو الانكار، وحب المحمدة والثناء...إلى آخر هذه العوائق، بل الأغلال التي تكبل الناس، وتحول بينهم وبين التفكر الحر المستقل .[1]

والإبتداء بـــ" مثنى "فيه دلالة على فتح باب الحوار، والأخذ والرد، والمناقشة والنقد، ما يُسهم في إنضاج رأي الفرد أكثر حتى إذا اختلى بنفسه يتأمل ويتدبر كان أكثر وعيا، كما أن الوصول إلى الحقيقة بين شخصين أضمن في الإعتراف بها من أن يكون النقاش في جماعة فيرفض الفرد الإعتراف بها ويعتبرها هزيمة له

ومن أشكال التعصب التبعية التامة والطاعة العمياء للسادة والكبراء، فهي مفسدة للعقل وتعطيل له، من أجل هذا بسط القرآن قصص الأمم السابقة التي كان سبب ضلالهم إتباعهم لقادتهم سواء القيادة الدينية وسيطرتها على أفكار الناس وعقولهم، الذين تاجروا بالدين والعقيدة، وأحلوا وحرموا كما شاءت أهوائهم، وتحقيقاً لمصالحهم الدنيوية، قال تعالى : ﴿**اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾[2] ، أو القادة السياسين والحكام ، أو أصحاب الأموال والوجاهة قال تعالى في قصة هود: ﴿**وَتِلۡكَ عَادٞ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ**﴾[3]، كأمثال فرعون وتأثيره في قومه قال تعالى﴿ **فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ**﴾ [4] .

فالتعصب حجر عثرة في طريق النظر الواعي، والتفكير السليم، فهو يجمد قدرات الإنسان الفكرية، وطاقاته الإبداعية، ويجعلها راكدة، آسنة غير متحركة أو متطورة. فإذا نزع الإنسان عنه حجاب التعصب ومنع نفسه التقليد الأعمى بهو بكل تأكيد سينظر للكون والحياة نظرة أخرى يبحث فيها عن الحق، بتوفير أسباب البحث الموضوعي، فيكون الإيمان هو سبيله الاخير للإجابة عن كل تساؤلات طريقه.

---

[1] يوسف القرضاوي، العقل و العلم في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 39-40.

[2] سورة التوبة ، الآية 31

[3] سورة هود، الآية 59.

[4] سورة هود، الآية 97.

إنّ حرية التفكر التي جعلها الإسلام رائدا للتفكر السليم والصحيح ، ونبراساً للعقول والأفهام في الاهتداء إلى معالم الحق والخيرية، هي الحرية التي تطلق عقولنا وأفكارنا من أغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتحررها من سيطرة التقليد الأعمى، وتنبذ عنها غطاء التعصب والتبعية العمياء وتجلي لها معالم الحقائق التي كانت محجوبة عنها.

المطلب الرابع :حسن التقدير

يشير القرآن الكريم إلى أن من أهم ضوابط العملية التفكرية، هو حسن التقدير، حيث يجعله نتيجة ومعيارا للتفكر السليم نتبين من خلاله مدى التزامنا بالضوابط الموضوعية للتفكر، وينبني هذا التقدير على حسن النظر في المعطيات الحسية والمجردة، مع دقة تحليلها، والتركيب بين عناصرها، للوصول إلى نتيجة جقيقية واقعية يقينية .

ونلمح التركيز على هذا الضابط في قصة الوليد بن المغيرة، التي بسطها القرآن في صدر سورة المدثر، حيث بدأ بعرض نعم الله ومِننه عليه، وما حازه من المكانة و السيادة بين قومه، وهو الذي عرف عنه سداد رأيه ورجاحة عقله، لكنه في أمر الوحي خانه حسن التقدير وغلبت عليه أهواءه وتعصبه لقومه، وخوفه على مصالحه، فضلّ عن السبيل وغوى، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ**﴾[1]، وما فعله كان مجانبا للصواب، يستنكره أصحاب العقول و الألباب، فقد ردد فكره ونظر فيه، ما أنتج تقدير للأمور بما يوافق هواه ويستجلب رضا قومه، فكان الطعن في القرآن والنبوة.

فقد أخرج الحاكم في مستدركه[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم ؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له قال: و ماذا أقول فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، و لا أعلم برجز و لا

---

[1] سورة المدثر ، الآية 18،19.

[2] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1990م، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، ج2، ص 550.وقال فيه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه

بقصيدة مني و لا بأشعار الجن، و الله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة و إن عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم فاتحته. قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[1]

ويلاحظ أن الوليد بن المغيرة كان على قناعة قلبية بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه كابر نفسه وعاند الحق، و لم يلتزم بإتباع المنهج الصحيح في تقديره لأمر النبوة، ما جعله يقع في التقدير الخاطئ، ويحصر عقله في تفكير دنيوي، و لم يمنح نفسه الفرصة لبلوغ درجة التفكر كونه تمسك بالدنيا وملذاتها، واعتمد على الذاتية وخدمة مصالحه الشخصية في الحفاظ على هيبته داخل قبيلته، ولما كان التقدير غاية التفكير ، "وكان التفكير ينبغي أن يهديه الى الصواب فقاده الى الغي عجب منه فقال منكرا عليه معبرا بأداة الاستفهام إشارة إلى أنه مما يُتعجب منه ويُسأل عنه (كيف قدر) أي على أي كيفية أوقع تقديره هذا".[2] هذا التقدير قد أوقع غيره في الهلاك بمنعهم من إصابة الحق واليقين وأصيب هو بذلك أيض فهلك وأهلك.

والنظر العميق إلى منهج الوليد في التثبت من أمر النبوة لوجدناه قد سلك الطريق الصحيح من خلال اتباعه منهج التفكر وإعمال العقل، لا كما فعل قومه من إنكار أمر القرآن جهلا وعصبية وخوفا على قداسة موروث الأجداد دون النظر الدقيق في شأن القرآن والرسول، لكن هذا التفكر انتهى بقرار سقيم عجب القرآن فيه من كيفية تقديره للأمر النبوي والقرآني وأعقبها باستفهام استنكاري مرتين للدلالة على عظم الجرم الذي اقترفه بنفسه وبغيره، وجاء الإنكار عليه في مطلق الكيفية التي قدر بها الأمر لأنها باطلة كونها لم تنضبط بضوابط التفكر السليم والتقدير الصحيح مع ظهور الحقيقة له

وفي مقابل هذه الصورة المذمومة لهذا النوع من التفكر، يعرض القرآن الكريم صورة أخرى يتجسد فيها معنى حسن التقدير، هي صورة أولي الألباب، الذين ألموا بقواعد وشروط التفكر ـــ فأحسنوا التقدير ووصلوا الى الغاية المنشودة، واستراحت أرواحهم بعد عناء الرحلة الفكرية في

[1] سورة المدثر، الآية 11.

[2] البقاعي، تفسير نظم الدرر، مصدر سابق، ج7، ص9.

رحاب الحقيقة الإيمانية المتجلية في أفاق الكون، قال تعالى : ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾[1].

ويلاحظ أن الآية لم تفصل بين عملية التفكر وبين نتيجته حتى بكلمة يقولون، ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾[2] فبعد خشوع القلب بالذكر وخضوع العقل بالفكر لهج اللسان بالشكر المتضمن التنزيه عن الباطل والعبث في خلق الوجود "فالتفكير ونتيجة التفكير شيء واحد متصل متلاحق ثم إن أولي الألباب لا يقفون عند النتيجة العقلية التي انتهوا إليها وعرفوها فالمعرفة ليست غاية في ذاتها لأن المعرفة إذا لم تؤد إلى نتيجة هامة في حياة الإنسان فوجودها وعدمها سيان .وإلّا فكم من حقيقة موجودة في الكون ولكنها ليست موجودة بالنسبة للإنسان حتى يتفاعل معها وينتج عن هذا التفاعل شيء مهم في حياته الواقعية[3]

ومن هاتين الصورتين نتبين أن لحسن التقدير عوامل داخلية وخارجية يخضع لها وتؤثر فيه، وتنعكس على نتائج التفكر نجملها في:

الفرع الأول: شمولية النظر

من الأمور المساعدة على حسن التقدير والخروج بقرارات سليمة حول المواضيع المتفكر فيها، هو الإحاطة الموضوعية بتفاصيل القضية أو الموضوع، مع إمتلاك نظرة شمولية حولها، هذه النظرة تتمثل في "توجه العقل في بحث القضايا توجها شاملا بتناولها من جميع جوانبها، واستجماع جميع المعطيات المتعلقة بها ضمانا في ذلك للوصول إلى الحق فيها، فان تقصي المعطيات في موضوع البحث، واستجماع كل ما له علاقة به عند النظر فيه من شأنه أن ينير السبيل في كشف حقيقته. اما النظر الجزئي المقتصر على بعض المعطيات والجوانب فانه يفضي في الغالب إلى الرأي المنقوص، ولا يكشف الحقيقة الكاملة"[4].

ويظهر هذا العامل جليا في معظم آيات التفكر الواردة في القرآن، فعملية التفكر عملية دقيقة تشمل أرجاء الكون كافة، ابتداء من خلق السموات وما فيها من كواكب سيارة ونجوم وأقمار وما خفي منها كان أعظم، نزولا إلى الأرض وتيسيرها لمصالح الإنسان، وما حوته من جبال راسيات وأنهار جاريات من

---

[1] سورة آل عمران ، الآية 191.

[2] سورة آل عمران ، الآية 191.

[3] رضوان، إسماعيل سعيد و الحولي، عليان عبد الله ، العقل في السنة النبوية- دراسة تحليلية تربوية-، الجامعة الإسلامية – غزة- فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثالث عشر- العدد الثاني، ص 286

[4] النجار، عبد المجيد، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1992م، ص33.

عجائب عبر عوالمها من عالم النبات على اختلاف أشكاله وأثماره الى عالم الحيوان بما فيه عالم الحشرات الذي قد تحقره النفس البشرية، إلى النفس الإنسانية وبدائع خلق الله فيها وأسرار تركيبها. فكل صغير وكل كبير في هذا الوجود مدعاة لإرسال البصر، والتفكر في أسرارها.

وشمول النظر يكشف للإنسان حقيقة الترابط الموجود في هذا الكون، وأصول العلاقات التي تربط الكائنات بعضها ببعض، وهذا ما جاءت لتكشفه آيات التفكر، فلا نجد القرآن يتحدث عن ظاهرة مخصوصة ويفصلها عن باقي الظواهر الطبيعية، بل يسرد عدة ظواهر مترابطة في آية واحدة، ويختمها بإشارة ملكة من ملكات العقل، "لتكون بكثرتها وتكرارها سبباً للإيمان الثابت، الذي لا تزعزعه الشكوك.

كما أنه يجعل الإحاطة بالموضوع نقطة أساسية لإصدار الاحكام عليه، لمن كان هدفه الحقيقة حتى ضربه الله مثلا على لسان الطير في قوله تعالى ﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾[1] فهي صورة حية توحي بضعف الإنسان ومحدودية علمه، بجانب العالم المجهول الذي يسكن بين جنباته، وتؤكد على أهمية الإلمام بكافة عناصر الموضوع، وماكان تكذيب الأقوام السابقة إلا لجهلهم بالكثير من الحقائق، أو عدم استحضارها في وقتها، ما جعلهم يخطئون التقدير ويجنون ظلما على أنفسهم. قال تعالى: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[2]. من أجل ذلك فإنّ القرآن يمزج بين الآيات الكونية والآيات التشريعية والآيات الإنسانية مستعملا في ذلك بديع دقة التعبير القرآني، ما يوحي باتساع مجال عمل العقل، ورحابة في حرية التفكر، و عدم قصره على هذه الدنيا "ذلك بأن التفكر المحدود بالدنيا لا يكون إلا تصورا جزئيا للكون والوجود.

كما يأمرنا القرآن الكريم ونحن نتعامل مع الأمور والقضايا الجوهرية في حياة البشر، أن ننظر إلى جوهرها وأن نتجاوز ظاهرها إلى ما وراء ذلك من غايات وأهداف، كمثل قوله تعالى في آية الزوجية ، فبعد الحديث عن أصل خلق البشر ، أشار إلى أنه من أعظم آيات الله في الكون هذه العلاقة التي الرجل والمرأة، والتي تبدو في ظاهرها شيءا بسيطا ، لكن لو تأملنا هذا التشاكل وما ترتب عن رابطة الزواج من

---

[1] سورة النمل، الآية22.

[2] سورة يونس، الآية 39.

الأسباب الجالبة للمودة والرحمة كونها نشأت من نفس الجنس، وما تولد عنها من نسل وتكاثر"، لتراءى لنا أنها من العلاقات الأساسية التي يقوم عليها الترابط الكوني.

ولو تفكر الناس في إرسال الرسول وإنزال القرآن الكريم لهم لوجدوا أنه ليس من العبث ولا هدف منه، بل هو سبيلهم للنجاة في هذه الدنيا وطريقهم لأداء مهمتهم عليها، والرسول الكريم ما هو إلا مرشد هادي إلى هذا الطريق وناصح أمين للسير في جنباته ونذير مبين لمن حاد عنه بتذكيره بيوم الحساب، لذا فالآيات التي ارتبطت بالتفكر في قضية إرسال النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجهة للكافرين تحثهم على إدراك المغزى من هذا الوحي وإرسال الرسول بشرا منهم نشأ بينهم و في أشرف بيوتهم، وامتاز بأجمل الأخلاق يحمل في يديه البشرى لمن آمن ، والإنذار من العذاب الشديد لمن خالف وكفر. ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى ساق في القرآن من الحجج ما يؤكد على النظرة الشمولية لإصدار الأحكام ففي قوله تعالى ﴿ **قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، فهي تكاليف أسقطها الله تعالى عن نبيه ليبرز أنه ماهو إلا بشر مهمته التبشير والإنذار، وليس في إمكانه أن يقوم بما ليس في مقدوره، وإذا كانت هذه حاله فإنه أقرب للرسالة منها إلى الألوهية .

ويأمرنا القرآن "أن نصحح النظر إلى الظاهر نفسه، حيث يكون في بعض الأحيان خادعا، أو يكون بحاجة إلى مزيد تأمل حتى لا نخرج بانطباعات خاطئة "[2].فما آية يونس إلى إبراز لحقيقة الدنيا الفانية، وهذه الآية جاءت بعد آيات ذكر الله فيها فضله على الإنسان من تسخيره البحر للسير فيه وتسخير الرياح لتسيير الفلك فيه حتى إذا هاج البحر عليهم أخلصوا الدعاء لله كي ينجيهم ثم يكونوا من عباده المخلصين، فلما أنجاهم بغوا في الأرض ونسوا ما عاهدوا الله عليه، وما هذا البغي إلى متعتهم في الدنيا وظنِّهم أنهم مخلدون فيها ولا رجوع إليه سبحانه وتعالى، فضرب الله لهم مثل الدنيا كي ينظروا ببصرهم ويتفكروا ببصيرتهم، في حقيقة هذا المتاع والزخرف فما هو إلا متاع الغرور، قال تعالى﴿ **وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ** ﴾[3]. فالحياة الدنيا سبيل المؤمنين إلى طريق الجنان، إن عملوا جدوا، وهي دار اللهو واللعب وسبيل الغافلين إلى نار جهنم.فالآية بيان لجملة

---

[1] سورة الأنعام، الآية 50.

[2] بكارعبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي، مرجع سابق، ص94.

[3] سورة الحديد، الآية 20

"متاع الحياة الدنيا"[1] المؤذنة بأن تمتعهم بالدنيا قصير إلى زوال. وبعدها يوم الحساب ولقاء الآخرة، فكل شيء في هذا العالم يدل على أن له نهاية والتفكر يكشف للناس ذلك. قال تعالى ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ**﴾[2]، كما أن التفكر في النفس وأحوالها وخاصة حال النوم والذي في أصله موت صغير ينبئ عن الموتة الكبرى ففي كل يوم يجرب الإنسان هذه الحقيقة فينام ويغيب عن هذه الدنيا رغما عنه ولا يستطيع الرجوع إليها بملك إرادته، لكنه لايصدق بيوم البعث والحساب

الفرع الثاني: التركيز

من العوامل التي تؤثر في حسن تقدير الأمور، قدرة المرء على التركيز في القضية المتفكر فيها، وذلك بتوجيه انتباهه توجيها مقصودا نحو الموضوع الذي يود أن يفكر فيه، وأن يستجمع كل طاقته الفكرية مع توفير الجو الهادئ المعين على التركيز؛ فيكون في مكان خال من الصوارف والمشاغل أو المؤثرات الخارجية التي تعمل على توجيه فكره ورأيه، ويرى مالك البدري أن مقدرة الإنسان المؤمن أكبر على التركيز الذهني، ذلك أنها تتعلق "ببعض خصائص المؤمن وسمات شخصيته

[1] سورة يونس، الآية 23.

[2] سورة الروم، الآية08

وبقدرته الفطرية على التركيز الذهني دون أن يشعر بالتعب والملل السريع، وهذه الخاصية تعتمد إلى حد كبير على خصائص الجهاز العصبي الذي وهبه الله اياه "[1].

وهذا القدرة من التركيز تتوفر للإنسان بدرجة كبيرة وهو يسيح في عوالم الطبيعة ويتأمل جمالها ويستكشف أغوارها، ما يعزز صفاء الذهن ويجعل النفس ترتاح وتهدأ، فتنطلق في رحاب عالم الجمال والإبداع الرباني لتصل إلى مرحلة الخضوع أمام قدرة الخالق، هذا الجو تبعث عليه طبيعة هذا الكون الصامت، لكن في قضايا جوهرية التي تمس حياة الإنسان وتوجهه ومصالحه، قد يفتقد الأغلبية هذا النوع من التركيز؛ فقضية النبوة وتغيير الدين والإعتقادات وتعامل الناس فيما بينهم ، أو التفكر في حقيقة الدنيا وادراك فناءها وزوال شهواتها في مقابل التفكر في الموت وسكراته واليقين بالآخرة وأحوالها، ثم التشمير على ساعد الجد لها وتحصيل الأعمال الصالحة، هذا النوع من التفكر يحتاج إلى أن يوفر المتفكر فيه الجو المساعد على التركيز، وهي قضية لم يمهلها القرآن الكريم، بل جاءت كدعوة ربانية للمشركين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفكر في أمر النبوة مثنى وفرادى، بعد القومة الخالصة لله تعالى المتجردة عن الأهواء والتعصب والتقليد، وفي تحديد هذا العدد تنبيه على أن كثرة العدد في المسائل التي تحتاج إلى اتخاذ قرار مصيري غير مجدية ذلك أن الإجتماع يكثر فيه اللغط وتغيب الحجة وتغلب العصبية ، فيظهر فيه الميل الجماهيري، وتطغى عليه الغوغائية والنظرة المصلحية العامة، فهو "يشوش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول؛ ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب، ولا يسمع إلاّ نصرة المذهب"[2] .

فالإنزواء اثنين اثنين ومناقشة الأمر وعرضه بجدية يوصل إلى نظرة موضوعية حول القضية، حتى إذا عاد وأدار كل واحد الأمر في نفسه على انفراد تبين له الحق، لذا تمّ تقديم الاثنين على الواحد "لأن تفكير الاثنين فى الأمور بإخلاص واجتهاد وتقدير، أجدى فى الوصول إلى الحق من تفكير الشخص الواحد و لم يأمرهم بأن يتفكروا فى جماعة، لأن العقلية الجماعية كثيرا ما تتبع

[1] مالك البدري، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، مرجع سابق، ص 88.

[2] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص 599.

الانفعال الطارئ، وقلما تتريث في الحكم على الأمور". إضافة إلى أن "المرء يسمع من صديقه وجليسه ولا يأبى أن يسلم له اذا أقنعه، ولكنه قد يرفض الهزيمة إذا كانت أمام الجمهور" [1].

كما أن التركيز الجيد في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يكشف للمتفكر "أن هذا الأمر عظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا، لا يتصدّى لادعاء مثله إلاّ رجلان: إمّا مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز ، بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب. وإمّا عاقل راجح العقل مرشح للنبوّة، مختار من أهل الدنيا، لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه...وقد علمتم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم ما به من جنة، بل علمتموه أرجح قريش عقلا، وأرزنهم حلماً وأثقبهم ذهناً وآصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأنزههم نفساً، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به؛ فكان مظنّة لأن تظنوا به الخير ، وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب؛ وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية ، فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين" [2]

ودعا القرآن الكريم الإنسانية برمتها إلى استعمال هذا المنهج القرآني، لما فيه من بعد في النظر، وموضوعية في الطرح، وصدق في التوجه، وهي من القواعد الأساسية في المنهج القرآني نلمحها في صورة الخطاب الجماعي الذين تحمله جل آيات القرآن الكريم، ليغرس صورة الإرتقاء الفكري الجماعي التي" تخرج الإنسان من ظلمة الأنانية وحب الذات والتفكير الفردي المقيت، ليتألق ويشمل جماعته فيزداد ارتقاء ليشمل كل البشر، في حالة إنسانية إبداعية في ظلال القرآن الكريم". لكن راعى في ذلك أن يكون التفكر شاملا لكل الضوابط ومحققا لجل المعايير المناسبة للتفكر. ذلك أن إلتقاء مجموع الأفكار مع ما فيها من اختلاف وتدارس وتناقح وتحليل عميق لها، يعطي الكثير من النتائج المذهلة للفكر الإنساني، مايسهم في خلق أفكار مبدعة و يحصد نتائج مفيدة ومذهلة، تكون معطيات تقوم عليها أفكار أخرى، وبهذا النوع من التراكمية الجماعية تزدهر العلوم وترتقي الحضارات. وهي الطريقة التي تطورت بها العلوم والمعارف منذ بدء الخليقة إلى اليوم.

ومبادئ هذه المنهج قريبة من مبادئ المنهج العلمي الحديث، وتعتمد على نفس الأسس تقريبا، لكن الفرق البارز بين العالم المتفكر المسلم في مختبره، والعالم المتفكر الغير مسلم، هو مقدرة

[1] يوسف القرضاوي، العقل و العلم في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 40.

[2] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص 599.

الأول على العبور من الظواهر الكونية المرئية التي يصادفها أو يعالجها بالتجربة، إلى عالم الغيب، أين تغيب هذه المرحلة عند العالم الغير مسلم، فهو يقتصر على الملاحظة المجردة للظاهرة، وتحليلها وتركيبها وكشف العلاقات بينها إن أمكن، لتبقى نظرته قاصرة على الإطار المادي للظاهرة أو المادة محل التجربة فقط، دون الخوض في مجال البحث عن غائية وجود هذه المادة، وعلاقتها بالكون كله. ما يكون نظرية علمية محدودة في هذا المجال. وفي هذا يقول سيد قطب: "والمنهج الإيماني لا ينقص شيئا من ثمار "المنهج العلمي" في إدراك الحقائق المفردة. ولكنه يزيد عليه ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض، وردّها إلى الحقائق الكبرى، ووصل القلب البشري بها، أي وصله بنواميس الكون وحقائق الوجود، وتحويل هذه النواميس والحقائق إلى إيقاعات مؤثرة في مشاعر الناس وحياتهم؛ لا معلومات جامدة جافة متحيزة في الأذهان لا تفضي لها بشيء من سرها الجميل"[1].

وكخلاصة لهذا الفصل، نرى أن القرآن الكريم سعى في طرح موضوع التفكر مستعينا بكل الأساليب البلاغية والعقلية والعاطفية، لحث الناس وترغيبهم للسير في هذا الطريق العقلي، فاستعمل أسلوب مخاطبة العقل وشحن العواطف، وإثارة الهمم بنصب المثل، والتذكير بالنعم، مع بعث الحكم والعبر من خلال القصص والأمثال، لكن ضبط السير بعدة ضوابط تمنع من الإنزلاق إلى هاوية الضلال، بنبذ كل ما من شأنه أن يقف حجر عثرة في طريق التفكر، فكانت الدعوة للتفكر دعوة للقيام "لله بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله. بعيداً عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة. والمؤثرات الشائعة في الجماعة.دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس؛ والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة "[2].

فسياقات القرآن في موضوع التفكر تعددت وتنوعت لتساير الأفكار والعقول، وتفتح المُهج والقلوب، وتحصنت بضوابط تمنع الزيغ عن الطريق القويم، ليصل التفكر إلى أهدافه المنشودة، وفق المجالات التي حددها له القرآن الكريم والتي ستكون في الفصل الآتي.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج6 ، ج26، ص 3360.

[2] المصدر نفسه، مج5 ، ج22، ص 2914.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: مجالات التفكر ومقاصده

المبحث الأول: مجالات التفكر

المبحث الثاني: مقاصد التفكر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: مجالات التفكر ومقاصده

بعد التعرض للسياقات القرآنية لموضوع التفكر من خلال بيان أساليب القرآن في الدعوة إليه، وتحديد ضوابطه، أصبح واضحا للعيان تعدد المجالات التي يسمح القرآن بإطلاق العنان للتفكر فيها والتي من خلالها نتبين الأهداف المرجوة من التفكر وهو ما سيأتي بيانه في هذه المباحث

المبحث الأول: مجالات التفكر

اختلف المفكرون في تحديد مجالات التفكر، وإن اتحدت تفاصيل كلامهم فيها، فهناك من جعل مجالاته دائرة حول الجوانب المادية، والمعنوية، والآيات التنزيلية[1]، وهناك من خصها بالتفكر في آيات الآفاق والتفكر في النفس ثم التفكر في الوحي[2]، ونعمد نحن في هذا الفصل إلى تقسيمه إلى مبحثين يجمعان المعاني العامة لموضوع التفكر، هما التفكر في كتاب الله المنظور(الكون)، والتفكر في كتاب الله المقروء.

المطلب الأول: التفكر في الكون

يعتبر الكون مجالا واسعا ورحبا تدور فيه أنظار الناس ويعملون فيه عقولهم لما يحويه من آيات عظيمة وأسرار خفية تدل على حكمة الخالق، وآيات الله في الكون بحسب القرآن تخص ثلاثة جوانب هي آفاق الكون بما تحويه من سماء وأرض وما بينهما، النفس الإنسانية وأسرارها، ظاهرتي الحياة والموت والحكمة منهما.

الفرع الأول: التفكر في الآفاق

استدعى القرآن الإنسان ودعاه لتفعيل التفكر في آفاق الكون، وجاء ذلك في ستة آيات، ما جعل ميدان الآفاق أوسع مجالات موضوع التفكر حتى غلب عليه، وأصبح إذا أطلق مصطلح

[1] القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص31-38

[2] تمزغين، محمد بن داود، مجالات التفكر وجوانبه في آيات القرآن الكريم، مجلة دراسات،العدد9، جوان2008، ص 08-14.

التفكر أريد به آيات الله المنظورة المنتشرة في الكون. فكان مجالا تنوعت فيه الصور والمظاهر، وتعددت الآيات والدلائل، وكثرت الأسرار والحكم.

وغالبا ما يحذف متعلق التفكر في الحديث عن الكون، لأن المولى أراد من الإنسان أن يُعمل طاقة فكره في كل ما يراه ويعاينه ويسمعه، فيُفعِل حواسه وملكات عقله على اختلاف مستوياتها كي يصل إلى حقيقة الأشياء، لذلك نرى آيات الكون العظيمة تتكرر في القرآن الكريم مع كل عملية من عمليات العقل ، وكل ذلك لكي يجتهد الإنسان ويكتشف الكون وقوانينه وأسراره، فلا يبقى هامدا ساكنا امامه، بل يتحرك ويعمل وينطلق في رحابه يقوم بمهمته ودوره عليه.

والتفكر في الكون يكون من جهة دلالته على خالقه عن طريق خَلْقه، لهذا اُستعمل لفظ "خَلْق" في قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] .فالتفكر ليس مقصودا لذاته بل الهدف منه بيان سر الإعجاز والقدرة ومعرفة عظمة الخلق والخالق. كما جاء الحديث مجملا و لم تفصل فيه الدلائل بخلاف ماورد في سورة البقرة [2] من التفصيل ذلك أن آية البقرة كانت أول آية تصادف قارئ القرآن فتفصيل الظواهر مفيد فيها ليستحث العقل وينبهه، لهذا ختمت بقوله تعالى يعقلون، فهي أول العمليات العقلية. وبعد نظر العقل في هذه الآيات جاءت عملية التفكر لتسير على نفس نهج الدعوة للتعقل، ولأنها عملية دقيقة أُبهمت الدلائل كي يقوم العقل بالبحث عنها ثم البحث فيها، يقول ابن عاشور: "جيء في التفكر بالصيغة الدالة على التكلف، وبصيغة المضارع للإشارة إلى تفكير شديد ومكرر"[3].

والتفكر في خلق السموات يكون من جهة ارتفاعها بغير عمد ورحابة آفاقها، وإحكام صنعها وشدة إتقانها ودقة نظامها وثبات نواميسها بما يوافق حياة الإنسان، وما حوته من كواكب كالشمس والقمر وغيرها، ونجوم مسخرات، كله آية على صنع القدير، فلو أن الشمس تبعد عن

[1] سورة آل عمران، الآية 191.

[2] سورة البقرة، الآية 164.

[3] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص85.

الأرض لتجمد كل شيء، ولو أنها تقترب منها لاحترق كل شيء. فكل قوانين الكون مبنية على نسب كمية وكيفية تناسب وجود الإنسان وتسهيل مهمته على الأرض، ففي اختلاف الليل والنهار من جهة الظلام والنور مراعاة لتحقيق الراحة والهدوء في الليل، والحاجة للضوء في النهار للسعي والعمل، ومن جهة الطول والقصر والتوسط مراعاة لحال الجو وقدرة الإنسان، فالليل أطول في الشتاء لشدة البرد.

والتفكر في الأرض وما حوته من آيات عجائب تعجز الألباب عن حصرها فمن تنوع الكائنات إلى عظم الجبال وشق الأنهار واتساع البحار وفي كل منها عالم كبير من الغرائب والعجائب، لم تستطع العقول إدراكه، وفيها من المعادن الكثير ويخرج منها نبات مفيد وشجر كثيف يملأ الأرض زينة وبهجة.

وخص الله سبحانه وتعالى ما في الأرض بالتفصيل لأنه عالم دقيق كثير الآيات كبير المعاني، هو أقرب للإنسان من عالم السماء، التي لا يستطيع معرفة كنهها عوام الناس. قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِى وَهُوَ مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣**﴾[1]

فالأرض بسيطة للإنسان يسير فيها ويتقلب بين جنباتها منها خلق وفيها يعاد، وبها معاشه، جعلها الله قرارا للإنسان، وسخر له ما فيها ليقيم شؤونه عليها، فمدُّها فيه تسهيل لعمل الإنسان من إقامة الزراعة على سطحها، والتي تعتبر من أسس الحياة عنده، وبسطها طولا وعرضا بحب يسهل افتراشها أو الانتقال فى أجزائها شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، وقد ثبّت تربتها بالجبال الرواسي "والاستدلال بخلق الجبال على عظيم القدرة لما في خلقها من العظمة المشاهدة بخلاف خلقة المعادن والتراب فهي خفية"[2]، وشق الأنهار فيها، وجعل فيها المياه الباطنية قريبة من سطح الأرض ليسهل

[1] سورة الرعد، الآية03.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص82.

على الإنسان استغلالها، فلو كان على الإنسان احضار المياه من البحار لما قامت زراعة ولا تجارة ولا حضارة، وذكر الأنهار بعد الجبال لأن ماء النهر عادة ما يكون من ذوبان ثلج الجبل، فهذه آيات عظيمة على الإنسان الانتباه لها.

وبعد توفير الأسباب بقي على الإنسان القيام بسنة العمل والتوكل على الرازق، لتصبح هذه الأرض جنة فيها من كل الزروع والثمار، لأن الإنسان بطبعه يكره البقاء على نمط واحد فكان تنوع الثمار وكثرتها آية أخرى، وجعل من هذه الأنواع زوجين إثنين الحلو والحامض، الأبيض والأسود...كما أنه فيه إشارة إلى وجود الذكر والأنثى في كل نبات، فبهما يتحقق معنى الزوجية ويتكاثر النبات. "ومن هذا يتبين أن كلمة زوجين تتضمن. التقابل الذى يعم التقابل بين الذكر والانثى، والتقابل في الألوان، والتقابل في الطعم، والتقابل في الصغر والكبر، وهذا كله فى أرض واحدة، وكان في اتحاد الأرض واتحاد الماء أن تكون شيئا واحدا في لونه أو طعمه ...ولكن تعددت وتخالفت، فدل هذا على وحدة الصانع الحكيم العليم المريد الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"[1].

ثم عاد بعدها ليذكر بآيتي الليل والنهار التي بهما انتظام مصالح الإنسان والحيوان والنبات، وذكر الليل والنهار في هذه الآية الخاصة بذكر آيات الأرض لأنهما ظاهرتان تنتجان من دوران الأرض حول نفسها. وإن كان ذكرهما في آيات أخرى يأتي بعد السموات والأرض. لعلاقتهما بالشمس والأرض "ففي هذا آيات عظام توحي بانتظام وتدبير وتسخير، تنبهر له العقول، وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول، ما يدل ذلك على قدرة مصرفها، وعلمه وحكمته، ورحمته الواسعة...مما يوجب أن يؤله ويعبد، ويفرد بالمحبة والتعظيم، والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابه ومراضيه"[2].

ومن أساسيات الحياة على الأرض وسر تكوينها وجود الماء، هذه النعمة التي لا يستطيع أي كائن حي الإستغناء عنها، لهذا كانت مجالا خصبا للتفكر، من جهة ما تنتجه من عناصر للحياة،

[1] أبو زهرة، زهرة التفاسير، مرجع سابق، ص 3895.

[2] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص78.

لهذا تفرد القادر بإنزاله من السماء، فلا توجد قوة يمكنها التحكم في هذا الإنزال إلا بإذن الله لأنه من مفاتيح الغيب. وفائدة الماء كما يبدو جليا لأي متفكر أنه شراب الإنسان والحيوان وبه تقام الزراعة فتتكون الغابات الخضراء والمراعي التي يتغذى بها الحيوان، كما أن فيه إنتاجا لغذاء الإنسان من النبات، ولم يعطفه على الشراب والشجر "لأنّه ليس مما يحصل بنزول الماء وحده بل لا بدّ معه من زرع وغرس"[1].

وتدرج في ذكر أنواع النبات فبدأ بالزرع أولا لما فيه من ضرورة حياتية للإنسان ،ثم مرّ بالفواكه لأنها تعتبر من المكملات الغذائية، ومنها ما يُتَخذ غذاءً هي الأخرى وتفي بالغرض، ليعمم الحال إلى كل الثمار كل بحسب موطنه وبلده وتنوعها فيه.

كما أن من الآيات التي جعلها الله مدعاة للتفكر السنن التي بثها في أفاق الكون والتي أعظمها سنة التسخير وهي سنة لها إرتباط وثيق بموضوع التفكر لأنها تدخل ضمن إطار مهمة الإنسان على الأرض، وجاء البيان الإلهي ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[2] ليطلب من الإنسان "أن يحلّق في فضاء السموات وأن يغوص في أعماق الأرض بفكره. ولما تفيده"ما" من الإبهام، فإنها تدفع الإنسان إلى التعمق في اكتشاف أسرار ما في السموات وما في الأرض، فهي شاملة للباطن المخفي، وللظاهر المشاهد من أسباب التسخير، لإستثماره في نفع الإنسان"[3].

وذلك شامل لكل ما في السماء والأرض من نعم مسخرة يعود نفعها على الإنسان، وجميع هذه النعم هي من قدرة المولى جل وعلا. وجب على الناس شكر مقدرها. يقول الشيخ ابن عاشور[4]

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج14، ص14.

[2] سورة الجاثية ، الآية 13.

[3] الدغامين، زياد خليل، منهج القرآن في صياغة تفكير الإنسان مجلة الفرقان، العدد ص 205.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج25، ص338.

"أوثر التفكر بالذكر في آخر صفات المستدلين بالآيات، لأن الفكر هو منبع الإيمان والإيقان والعلم المتقدمة في قوله : ﴿ لَّأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]،﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[2]،﴿ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[3]"

وإبهام الآيات يشير إلى كثرتها وتنوعها "وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين ويقنع المتفكرين ويجذب أفئدة الصادقين وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية"[4] ، كما أن في تنكيرها دلالة على الكثرة والتعظيم، فكل ذلك يتناسق مع العموم المدلول عليه بقوله﴿ مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فإن فيهما من المسخرات، مافيه من الآيات العظيمة التي لا يحصيها إلا الله تعالى. ولأن التسخير بعيد الإدراك والمشاهدة جيء بالتفكر الذي يغوص في معاني الأشياء. وكلٌ على قدر علمه وفهمه وتركيزه يصل إلى إدراك المطلوب.

وبالمقابل من ذكر التفكر في الأمور الكبيرة في الكون جاءت الإشارة إلى الأمور الصغيرة والتي قد يغفل عنها كثير من الناس، والتي تمثل في حد ذاتها معجزة من معجزات الخلق، وجاء لفت الانتباه في القرآن إلى عالم قد يرى الإنسان أنه غريب التفكر فيه. وهو عالم النحل، هذه المملكة الحصينة التي تحكمها قواعد وأركان يستحق أن يعي الإنسان نظامها ويحتذي به، والعجيب من أمرها أنها تسير بدقة متناهية لا ترى فيها عوجا أبدا، فتختار مكانا آمنا لتبني فيها خليتها وذلك في الجبال وعلى الشجر حتى لا تصلها الحيوانات ولا تطالها الأيدي، هذا البناء العظيم في شكله السداسي بحيث يضمن عدم وجود فراغات واستغلال تام للمكان يساعدها على وضع البيض والاعتناء به، وتعيش في مجموع معا وخلية واحدة تحكمها ملكة واحدة، وكل فرد في هذه الخلية مكلّف بمهام يدركها منذ خلقه، والطاعة قانون أساسي والذي يحيد عن قوانينها يعاقب ويخرج من الخلية.

---

[1] سورة الجاثية، الآية 03

[2] سورة الجاثية، الآية 04

[3] سورة الجاثية، الآية 05

[4] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص 161.

كما يضرب بها المثال في التفاني في الجد والنشاط، ودليله ذلك الشراب المعجز الذي جاء ذكره في القرآن الحكيم. وأودع الله في النحل "إدراكاً لصنع محكم مضبوط منتج شراباً نافعاً لا يحتاج إلى حلب الحالب"[1]، فالنحل يخرج منه أشربة كثيرة من الغذاء الملكي، العسل، الشمع..ولكل منها فائدة عظيمة في الشفاء.

فمملكة النحل ذات نظام دقيق معقد يحتاج إلى مزيد إعمال فكر ونظر ،يقول الآلوسي:"إن من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة التي مرت الإشارة إليها وخروج هذا الشراب الحلو المختلف الألوان وتضمنه الشفاء جزم قطعاً أن لها رباً حكيماً قادرًا ألهمها ما ألهم وأودع فيها ما أودع، ولما كان شأنها في ذلك عجيباً يحتاج إلى مزيد تأمل ختم سبحانه الآية بالتفكر"[2].ومن حكم المولى أنه بين أن التفاضل بين الخلق ليس من جهة الفضل والإستحقاق؛ إذ أن لا ميزة للنحل في الطول أو العرض أو الجمال، لكن بعمله وجهده وإتقانه نال صفة العسل وفوقها اختصاصه بسورة تتلى إلى يوم القيامة. وفي هذا لفت لعقول الناس، ألا يحقروا خلق الله ، أو يحقروا أنفسهم فكل ميسر لما خلق له.

فالتفكر إذا يشمل كل ما حواه الكون من أمور عظيمة وصغيرة ، وكلها آيات تتميز بالدقة "فإن التفكر بما يتضمنه من عمق في النظر والتحليل والتأمل هو الكفيل بكشف ما في تلك من الآيات العظيمة الكثيرة التي يؤدي كشفها الى الاستفادة منها وادراك شيء من إنعام الله تعالى على هذا المخلوق الضعيف "[3]

فنظرة القرآن للكون مضادة تماما "للتصورات الكونية الميثولوجية القديمة التي جعلت الإنسان البدائي يستشعر الخوف من الكون، ويعتبره خارجا تماما عن نطاق عمله وقدرته، ويفسر ظواهره

[1] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج14، ص 204.
[2] الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج14،ص 187.
[3] زيلعي هندي، مفهوم التفكر في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 85

المختلفة بعلل وهمية خيرة أو شريرة، أو آلهة يسترضيها بألوان الطقوس البدائية"[1]. بل جعل منها دلائل على قضايا مصيرية ليكون ذلك أزيد في إيمانه بالإعتماد على العلم واليقين ، فيحسن التصرف في هذا الكون.

الفرع الثاني: التفكر في النفس

إنّ النفس البشرية مجال صغير من مجالات التفكر في الخلق، لكنه عظيم عِظم ما يحويه من آيات ودلائل على قدرة المولى جل وعلا. ودعوة القرآن للتفكر في النفس تعمل على إثارة العقل للبحث في آفاقها وتجلية كنهها واكتشاف أسرارها، وجاء الحديث عن النفس في قوله تعالى﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ**﴾[2]، وفيه توبيخ للكفار الذي قصرت مداركهم على الحياة الدنيا وشواغلها ونسوا العمل للآخرة. وفي خضم هذه الحياة تكون النفس البشرية مجالا قريب التأمل، فلو تفكر الإنسان في أصله ونشأته[3] ومراحل خلقه، أطوارا في بطن أمه يتقلب مابين النطفة والعلقة والمضغة، ليتشكل جنينا ويخرج من الرحم وليدا؛ لا قدرة له على الإدراك أو التعقل ولا طاقة له بأي عمل، ثم يصير طفلا فشابا يافعا ثم شيخا هرما، نفذت قوته وساءت حاله ليستقبله بعدها القبر، لأدرك قصر هذه الدنيا وفناء لذاتها، ما يبعث على إعادة النظر في حياة الإنسان وتصرفاته، ليجعل منها دربا موصلا إلى الجنة.

وجاءت آيات كثيرة تنبئ الإنسان بحقيقة نشأته وتذكره بأصله، حتى لا تأخذه العزة بنفسه وقوتها وجمالها وينسى فضل الخالق عليه وما أمره به من تكاليف، وتفرقت آيات الخلقة في القرآن وتشعبت الدلائل في كل آية بما يخدم السياق القرآني في كل سورة، وليعظم الأثر في القلب ويحصل الإدراك الواعي بالمعجزات البينات فيعترف القلب والعقل بقدرة الخالق وإعجازه. فالتأمل في شكل

---

[1] أبو الوفا التفتزاني، الانسان والكون في الإسلام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع-مصر، دط، 1995م ، ص38.

[2] سورة الروم، الآية 08.

[3] أنظر :إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي،مصدر سابق،ج 4، ص 435-440. ومفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ج1،ص 196- 255.

الإنسان وجمال صورته واستواء أعضائه ووظائفها على هذه الهيئة المعتدلة "أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجّم، والحب لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الخلقة تفضلاً منه ورعاية ومنة. ...وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل ما يراه حوله"[1].

كما أن هناك من الحقائق التي تعيش في داخل الإنسان وهو غير قادر عن إدراكها كماهية العقل والروح والنفس ولا يمكنه الإستغناء عنها، "فهي وإن كانت من مكونات الإنسان التي بها صار إنسانا، إلا أنها ليست مادية ولا يمكن حصرها بين فكي الزمان والمكان الذّين لا قدرة للعقل البشري على الإدراك خارج نطاقهما. فهذا في حد ذاته أكبر تحد يدعو الإنسان للتواضع والإذعان"[2]. وعدم قدرته للوصول إلى حقيقة الأشياء نابعة من كونه بعيد عن منهج الحق والإيمان.

والتفكر في النفس ينبه إلى التفكر في صفاتها وأعمالها، فالنفس كما يقول ابن القيم :"النفس دنيئة وطبيعتها أنها أمارة بالسوء"، وأمّارة من صيغ المبالغة الدالة على الكثرة والإستمرار.فإذا عرف الإنسان طبيعة النفس حاول تغييرها ومجاهدتها وعدم الخضوع لطلباتها قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ**﴾[3] . لذا يبين ابن القيم أن أصل أفعال الإنسان نابع من أفكاره وخواطره التي تركها تجول في نفسه و لم يمحصها ويدافعها وفي هذا يقول: "دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة، ودافع الفكرة فإن لم تفعل صارت شهوة، فحاربها، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلا، فإن لم تتداركه بضده صار عادة فيَصعب عليك الانتقال عنها "[4]. وقوله تعالى ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم**﴾[5] .فيه دعوة للنظر في النفس من

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 6،ج 30، ص 3848 .

[2] مالك البدري، التفكر من الشهود الى المشاهدة، مرجع سابق، ص 69

[3] سورة النازعات، الآية 40-41.

[4] ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان،دط، دت ط، ص 31

[5] سورة الروم، الآية 08.

جانبين: جانب خَلقها وعجائب صفاتها وسيرورة أجهزتها، وجانب: النظر في أفعالها ومقاربتها للصواب، وصفاتها وكيفية تهذيبها.

وجعل أبو حامد الغزالي مجاري الفكر تصب كلها بما يزكي النفس ويهذبها، فهي أربعة عنده: الطاعات، المعاصي، الصفات المهلكات والصفات المنجيات. ثم يفصّل في كيفية استشعار هذه المعاني الروحية بواسطة التفكر في كل نوع على حدى، نذكر مثالا منها يقول فيه: "فليتفكر كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة إلى الله، فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم، وإن العلوم لا يثمرها إلا أفكار،فإذا أراد أن يكتب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش في ذنوبه أولا، وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه، ثم لينظر في الوعيد الشديد الذي ورد في الشرع فيها، وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم"[1]

وقلّما ينتبه الإنسان إلى فضل المولى عليه في منحه نعمة الزوجية، وكونها من نفسه ليسهل التقارب والتوافق، وجعل في تلك العلاقة التي بين الجنسين" سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء"[2] .

وجاءت هذه الآية في معرض تفضل الله على البشر بآياته الحكيمة، وابتدأ الحديث بتذكير الناس بأصل الخلقة والتي كانت من تراب قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ** ﴾[3]، وهي حديث عن خلق سيدنا آدم من تراب وكيف أن هذا التراب الذي لا يشم فيه رائحة الحياة، يصبح بشرا يتحرك، ثم تصبح ظاهرة التزاوج سبيل البشر للتناسل. وسنة تحيا به

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج4، ص 430.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج 5، ج،21، ص 2763.

[3] سورة الروم، الآية 20.

المخلوقات بصفة عامة. قال الله تعالى ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾[1]. ففي هذه الآية يجعل القرآن السكينة والمودة والرحمة أسس بناء الأسرة السعيدة، وأركانها القويمة التي تقف بها سدا منيعا في وجه المشكلات التي تعصف بها، فوجود هذه الأسس لا يعني إنعدام المشاكل الزوجية، لأن الإختلاف حاصل بين البشر خاصة بين الزوجين من جهة التركيب والوظيفة والتفكير.

واختلفت أقوال العلماء في المراد بالمودة والرحمة "فعن ابن عباس ومجاهد : المودة الجماع ، والرحمة الولد ؛ وقاله الحسن. وقيل : المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض. وقال السدي : المودة : المحبة ، والرحمة : الشفقة ؛ وروي معناه عن ابن عباس قال : المودة حب الرجل امرأته ، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء"[2]. وكلّها حالات يتجسد فيها معنى المودة والرحمة وليس بينها تعارض" فتفسير المودة بالجماع هو بداية ومؤشر على السكن القلبي، والجماع غالباً لا يحدث إلا بعد وجود طمأنينة وسكينة بين الزوجين، فهذا هو الاستقرار الجسدي المؤقت يتبعه استقرار دائم، هو وجود التراحم والرحمة بين الزوجين فهذه المودة والرحمة مدعاة لحصول التناسل وإيجاد الولد"[3].

وفي الأصل تكون هذه المودة والرحمة ناتجة عن إدراك كل طرف لمهمته ودوره في الحياة، ومعرفة سر التزاوج الذي يتكون به النسل البشري. وما يحققه من استمتاع وقضاء شهوة وحصول الولد، وتمام الإنعام ناتج عن التلائم والتوافق الحاصل بنفس الجنسية قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾[4].

---

[1] سورة الروم، الآية 21.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج14، ص17.

[3] قلجة، ميساء كمال، البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم-دراسة موضوعية-، إشراف: زهدي محمد أبو نعمة، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2009م، ص 67.

[4] سورة الأعراف، الآية 189.

ونلاحظ أن هذه الأسس المتينة هي في حقيقتها أسس عاطفية لبناء اللبنة الأساسية في المجتمع والحضارة وهي الأسرة، فقد رُوي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لم ير للمتحابين مثل الزواج "[1]. ما يدل على أن الإسلام لم يهمل هذا الجانب المتأصل في الإنسان، وراعى فيه تكوينه النفسي والروحي، وجعلها آيات يتعمق فيها العقل بالتفكر، ليكتشف مدى دلالتها على مبدع هذه النفس البشرية.

فالمودة بين الزوجين تمحو آثار الأخطاء والزلات الواقعة في الحياة، وتنمي روح المشاركة بينهما في مصاعب الحياة بالتعاون والتكافل في الأفراح والأتراح، والرحمة بينهما تجعلهما يغضان الطرف عن التقصير الوارد منهما.وتحمل بعضهما في حال المرض أو الكبر، يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله: " وأمّا الودّ فهو خالص الحبّ وألطفه، وأرقّه وأصفاه، وهو من الحبّ بمنزلة الرأفة من الرحمة"[2].

والمقصود من السكينة السكن القلبي لأنها ارتبطت بحرف الجر (إلى) والتي تأتي بمعنى الغاية. في حين تأتي(عند) بمعنى المكان، لأنه "يقال سكن (إليه) للسكون القلبي ويقال سكن (عنده) للسكون الجسماني "[3].وهي من السكون، والذي يكون بعد الحركة والنشاط .

وتعلقت السكينة بالمرأة لحاجة الرجل لها وطلبه لها حتى إذا وجدها هدأت نفسه واستقرت حياته، واستطاع أن يحقق النجاح في حياته. وهذه السكينة هي خصيصة في المرأة ووظيفتها الأساسية، بما ركب الله فيها من العواطف والحنان، لتكون ملاذ الرجل الآمن ومحضن الأولاد الحصين وفق فطرة الله التي فطرها عليها، وبالمقابل يعمل الرجل على مبادلة المرأة مشاعر المودة والرحمة، وذلك لحاجة المرأة لهما، فطبيعة المرأة العاطفية تجعلها تنظر للأمور بمقياس العواطف ونقصها

[1] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، دار الفكر، دط،دت ط،كتاب النكاح، حديث رقم (1847) ج2، ص93. وأخرجه الحاكم في المستدرك، عن ابن عباس في كتاب النكاح رقم 2677.

[2] ابن القيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، دط، 1992، ص 46.

[3] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج25، ص 93.

في العقل والدين يجعلها تحتاج دائما إلى الرحمة..وبمعنى أشمل فالسكينة والمودة والرحمة مطلوبة في كل طرف. ثم تأتي الرحمة في آخر هذه الأسس"لأن البشر عامة أبناء أغيار، وكثيرا ما تتغير أحوالهم، فالقوي قد يصير إلى الضعف، والغني قد يصير إلى فقر، والمرأة الجميلة تُغيِّرها الأيام أو يهدّها المرض"[1]

وبهذا الرباط المتين تتوثق عرى البيت النموذجي ويلاحظ في الآية أن الله سبحانه وتعالى جعل السكينة هدفا للتزاوج ومقصدا له فهي هبة ربانية، في حين أن المودة والرحمة ربطهما بفعل الجعل والذي يقتضي إحداث الشيء بعد تكوينه فهما أمران بيد الإنسان، ذلك أن الرجل لا تربطة بالمرأة أيّة معرفة أو رابطة، لكن بفطرته يميل إليها ويسكن لها. حتى إذا تم الزواج يحدث الله بينهما المودة والرحمة بعد أن لم تكن.

من أجل هذه المعاني أُستدعي التفكر في آية الزوجية لاحتوائها على عدة آيات يفصلها الطاهر بن عاشور بقوله: "منها أن جُعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جُعل تناسله بالتزاوج و لم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه و لم يجعلها من صنف آخر لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنساً بين الزوجين و لم يجعله تزاوجاً عنيفاً أو مهلكاً كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة"[2].

فالذكورة والأنوثة ضرورتان متكاملتان كتكامل الليل والنهار...لذلك تأمل دقة الأداء القرآني حينما جمع بين الليل والنهار، وبين الذكر والأنثى، وتدبّر هذا المعنى الدقيق في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾[3] فهذا الإختلاف

[1] تفسير الشعراوي، مصدر سابق، مج 18، ص11360.

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج21، ص71.

[3] سورة الليل، الآية 1-4.

ناتج لأن لكُلٍّ منكما مهمته، كما أن الليل للراحة، والسكون والنهار للسعي والعمل، وبتكاملهما تمضي الأيام، وفي هذا إشارة إلى التكامل بين الرجل والمرأة فكما أن الليل لا يساوي النهار في العمل المؤدى في كل منهما، فلا مجال لمساواة وظيفة الرجل بوظيفة المرأة في الحياة، فلكل منهما خصائصه الجسدية والعقلية والنفسية، التي تمنحه القدرة على أداء مهمته. ومن أجل ذلك كان المناسب لآية الزوجية لما تحتويه من آيات عدة وأسرار في خلق الله تعالى وحكمه أن يربط تحصيلها بالتفكر.

الفرع الثالث: التفكر في الدنيا والآخرة

وهذا المجال هو أحد مجالات التفكر التي أمر الله عز وجل بها، فالدنيا دار ابتلاء وعمل، والآخرة دار راحة وقرار، وجاء التفكر في الدنيا والآخرة كفاتحة خير للآيات التي دعت للتفكر،قال تعالى﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ لأنها وردت في سورة البقرة، وفيها دعوة لتحصيل الخير الكثير وتحقيق لمصالح الدارين. ومعرفة لفضل الآخرة على الدنيا.

وجاءت الآية بعد بيان حكم الشرع في أمور شديدة على النفس وهي الخمر والميسر والإنفاق. وهذا البيان يوضح لكم الخير لكم لتقبلوا عليه وتبتعدوا عن الشر، ولتفرقوا بين الصالح والطالح، وتعملوا لأخراكم وتنجحوا في دنياكم. وختمت الآية بالتفكر تحريضا على استحضار العقل دائما، في كل ما يخص أحكام الحياة، ومعرفة الغاية منها.

والآيات في بيان حقيقة الدنيا وزوالها وسرعة انقضائها كثيرة معلومة، وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يحث الصحابة والمؤمنين في الزهد فيها وبيان حقيقتها والعمل للآخرة فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنكبي فقال «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[1]، وعند مسلم عن أبي سعيد الخُدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إنّ الدنيا حلوة خضرة وإنّ اللّه مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون**

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، ج5، ص2358، رقم الحديث: 6053.

فاتقوا الدنيا واتقوا النساء »[1]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند البخاري: "أن النبي صلى الله عليه و سلم جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال « **إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»[2] .

كما جاءت الدعوة للتفكر في الدنيا من خلال ضرب الأمثال في قوله تعالى في سورة يونس ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ**﴾[3] ففي هذه الآية يضرب تعالى مثلا للحياة الدنيا التي يتنافس عليها الجاهلون ويتكالب عليها الغافلون، حتى ينسون العمل للآخرة، فهي في حقيقتها كأرض أنبتت نباتا فنما وازدهر وافتتن به الناس ظانين إحاطتهم بثمره حتى جاء أمر الله بالإهلاك فغذت الجنة حصيدا خامدا من يمر بها لا يظنها قد عمرت وكانت مثل الجنانفي الحسن والجمال، وهذا لاغترار أهلها بها ونسيانهم فضل الله عليهم.

وجاء تشبيه الحياة الدنيا بالنبات لعدة وجوه[4] ملخصها: " أحدها أن عاقبة هذه الحياة التي ينفقها المرء في هذه الدنيا، كعاقبة هذا النَّبات، الذي حين عظم الرجاء في الانتفاع به، وقع اليأس منه؛ لأنَّ المتمسك بالدنيا، إذا عظمت رغبتُه فيها، يأتيه الموت...وثانيها: أنَّه – تعالى – بين أنَّه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد، فكذلك المغترُّ بالدنيا المحبُّ لها، لا يحصل له عاقبة تحمد. وثالثها: ..لما صار سعي هذا الزَّرع باطلا بسببِ حدوث المهلك، فكذلك سعي المغترَّ بالدنيا. ورابعها: أنَّ مالك هذا البستان لما أتعب نفسه في عمارته...وعلّق قلبه بالانتفاع به، فإذا حدث السببُ المهلكُ صار العناء الشديد...سبباً لحصول الشقاء الشَّديد له في المستقبل..فكذلك حالُ من أحبَّ الدنيا وأتعب نفسه في تحصيلها، فإذا مات...صار العناء الذي تحمَّله في تحصيل الدنيا، سببا لحصول الشقاء

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب (أكثر أهل الجنة الفقراء...)، ج4، ص2098، رقم الحديث 2742.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، ج2، ص 532 رقم 1396.

[3] سورة يونس، الآية 24.

[4] ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1998 م، ط1، ج 10، ص303.

العظيم له في الآخرة. وخامسها: لعلَّه تعالى إنّما ضرب هذا المثل لمنْ لا يُؤمن بالمعاد؛ لأنَّا نرى الزَّرْع الذي انتهى إلى الغاية في الحسن ثمَّ إنّ ذلك الحسنَ يزول بالكلّية، ثم تصير تلك الأرضُ موصوفة بتلك الزينة مرة أخرى، فذكر تعالى هذا المثال؛ ليدل على أن من قدر على ذلك، كان قادراً على إعادة الأحياء في الآخرة؛ ليَجَازيَهُم على أعمالهم".

وفي هذا معنى أن الدنيا ما هي إلا شهوات من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأولاد والأموال، والآخرة هي دار القرار والفوز الأكيد قال تعالى: ﴿**اَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ**﴾[1]. وهذا يجب أن يكون من العلم اليقيني في القلب، وفيها نفس صورة المثل في آية يونس مع زيادة ربطها بالعاقبة السيئة لمن كفر والعاقبة الحسنة لمن أحسن، وخلاصة ذلك أنها متاع الغرور أي: "إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور"[2]. فهي غرور إذا ألهت عن الآخرة ، ونعم المتاع إذا كانت سبيل الجنة.

والتعبير بالأكل عن التمتع بالحياة تعبير "سخي جدا يجسم في الخيال صورة حسية لهذا التمتع، يشارك في إدراكها الحس والذوق وهو أبلغ في الإحساس، مما يؤدي الى تعميق هذا في النفس الحية، ومن ثم ترغيبها عنه" .[3] فهو يوحي بالحركية في الوصف ، كصورة الناس وهم يتهافتون في يومهم، وهمّهم كسب القوت وتحصيل لقمة العيش، كل ذلك والغفلة تغمرهم والشهوات محيطة بهم يتسابقون نحوها. وعند تأمل المثل يلاحَظ" أن المثل يحكي قصة مضت وانتهت ويتحدث عن

[1] سورة الحديد، الآية 20.

[2] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص 841.

[3] ملك بخش، أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص23.

حياة قامت ثم بادت، ولكن هذه اللقطة ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ تظل تنبض بالحركة ترى فيها الناس والأنعام لا يزالون يأكلون"[1].

وفي تصوير زينة الأرض وزخرفتها كالعروس إبراز لحقيقة الدنيا في عيون الغافلين والمفتتنين بها، وفي ظن أهلها تصوير لجهالة الإنسان بتمكنه من نعيمها، لظنه أنه أصبح أقوى وأنه وصل إلى كل ما يتمنى في الدنيا، فكلما رأى لذة أو زينة أو منصبا أو مالا سعى ليكون صاحبها.

وارتباط التفكر بحقيقة الدنيا ينبئ على أن معرفة سرها من الأمور العظيمة التي لا يجب أن يذهل العقل عنها لكونها دار بناء ومزرعة للآخرة، فعدم إدراك هذه الحقيقة يعني الخسران في الدارين، ولكون هذه الحقيقة قد تغيب في لحظات النشوة الدنيوية ،فينسى الإنسان حقيقة الموت ويغرّه أمل الحياة، لكن التفكر في سرعة تقلب حالها قد يشي للإنسان بحقيقتها فلا دوام لحال ولا لبشر أو لذة فيها, لهذا لابد من تعميق الفكر فيها والتبصر بأحوالها والاعتبار بأحوال السابقين فيها، ليزيد الإيمان ويتنور القلب ويزهد فيها، لذا خص أهل التفكر بالنظر، لأنهم "أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُّبَه في الصدور"[2].

واستعمل القرآن الكريم المثل كأسلوب لما فيه من بلاغة الصورة، وتحريك الحس وإعمال الفكر، رجاء الفهم والاستيعاب، والحفظ في الذهن لاستحضاره الدائم، بخلاف الكلام المجرد الذي يعبر في الذهن ثم ينسى، فيثير في النفس الإقبال على الآخرة والتأهب ليوم الحساب .

وفي المقابل من بسط الأمثال للتزهيد في حال هذه الدنيا والترغيب في الآخرة، جاء التفكر في موضوع عظيم فيه من الدلائل على قدرة الله وتفرده بالملك والحكمة، وهو الموت هذه الحقيقة

[1] المرجع نفسه، ص23.

[2] الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج 15، ص 55.

الربانية التي وضعها الله سبحانه وتعالى فيصلا بين الدنيا والآخرة، لتنتهي دار الفناء وتبدأ دار البقاء وتجازى كل نفس بما كسبت.

والموت هو أعظم المصائب في الدنيا قال تعالى: ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾[1] لأنه انقطاع عن الدنيا ونفاذ للأجل المكتوب لكل إنسان فيها. وأعظم منه الغفلة التي تنسي صاحبها فيه، فكان الموت من أقوى الدلائل التي ضربها الله دعوة للناس للإيمان بيوم البعث، هذا اليوم الذي كفر بها الناس منذ خلق البشرية، ما جعل الله يقيم عليهم الحجج بتسليطه عليهم، كآية لهم لعلها تثير الإيمان فيهم .

كما أنه جاء معجزة من معجزات الأنبياء؛ فقد جعله ابراهيم عليه السلام دليلا على وحدانية الخالق حين حاجّ به الملك الظالم. ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[2]. وموافقة الحاكم له وعدم منازعته أو اعتراضه، دليل على أن الإنسان حتى الكافر منه يؤمن بأن الحياة والموت من خصائص قدرة الإله، ولذلك طلب سيدنا ابراهيم عليه السلام من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى لا عن شك بل لينتقل من مرحلة علم اليقين التي حاجّ بها الملك، إلى مرحلة عين اليقين التي يرى بها صورة البعث ماثلة أمام ناظريه من خلال إحياء الطير بعد موتها.

كمااستعمل كشاهدٍ لبني اسرائيل في قصة البقرة التي ضرب ببعضها قتيل فأحياه الله وأخبر عن قاتله، هي صورة تجسد فيها معنى البعث بأتم صوره قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[3].

[1] سورة المائدة، الآية 106.

[2] سورة البقرة، الآية 258.

[3] سورة البقرة، الآية 73.

وجاء معجزة بين يدي سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ **وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾[1]. ودليلا في عدة قصص قرآنية منها: قصة أهل الكهف وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه ، والقوم الذي خرجوا من بيوتهم خائفين من الموت حتى أماتهم الله ثم أحياهم،ومع بني اسرائيل حين أرادوا رؤية الله فأخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله من بعد موتهم، فيلاحظ أنه في كل عصر يجعل الله سبحانه وتعالى الموت والإحياء دليلا يسوقه للمكذبين من بني البشر بيوم البعث والحساب لعلّهم يستفيقون من غفلتهم.

كما أن تذكير الله للناس بهذه الحقيقة التي هم عنها غافلون جاء بطريق التمثيل بظاهرة متكررة في حياة الناس يمرون عليها كل يوم وهم ساهون، ألا وهي النوم، قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2] .ففي هذه الظاهرة يقبض الله الأنفس كلّها، فيتوفى التي انتهى أجلها ويرسل الأخرى حتى يحين أجلها. وفي قبض الأرواح منع للنفس عن التصرف أو الإدراك مع بقاء الجسد حيا تسير عملياته البيولوجية بصفة عادية، فمن كان قادرا على قبضها وإمساكها كل يوم ثم بعثها للحياة من جديد هو أقدر على قبضها إلى يوم القيامة ومن ثَمَّ بثها لتحاسب على أعمالها.

ولهذا جاء في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال"**إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**"[3]، وهذا تأكيد على حقيقة القبض والإمساك وتربية للمؤمن على تذكر الموت حال نومه وطلب المغفرة في حال موتها وتعهدها بالحفظ والرعاية حال إرسالها للحياة من جديد. وجاء عن حذيفة بن اليمان قال: **كان النبي صلى**

[1] سورة آل عمران، الآية 49.

[2] سورة الزمر، الأية 08.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والإستعاذة بها، ج6، ص2691 رقم6958.

الله عليه و سلم إذا أوى إلى فراشه قال: (باسمك أموت وأحيا). وإذا قام قال (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[1] وفي هذا إشارة إلى ربط نعمة الإستيقاظ بوقت المعاد الأكبر وحقيقة البعث .

وقد سمى الله تعالى النوم وفاة في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾[2] وذلك لأن النوم غياب عن حركة الحياة ونشاطها.

ويذكر صاحب التحرير والتنوير أن في الآية تشبيه النوم بحالة الموت "وهو تشبيه نُحِيَ به منحَى التنبيه إلى حقيقة علمية فإن حالة النوم حالة انقطاع أهم فوائد الحياة عن الجسد وهي الإدراك سوى أن أعضاءه الرئيسيّة لم تفقد صلاحيتها للعودة إلى أعمالها حينَ الهبوب من النوم"[3]. فالنوم في أصله موت صغير، فيه تحضير الناس لموعد الموت الأكبر، فكما أنكم تنامون كل يوم ولا تفيقون إلا بإذن الله تعالى فكذلك الموت هو نوم بإذن الله لا عودة بعده إلى هذه الحياة إلا إلى يوم الحساب لأنه نهاية الطريق في عالم الشهادة ونقطة البداية في عوالم الآخرة.لذا وجب على كل نفس التزود له فمن يدري في أي لحظة يحل أجله إلا خالقها، قال تعالى ﴿**وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَىِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ**﴾[4]. ويقول أيضا: ﴿ **أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِى بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ**﴾[5].

ووفي استعمال لفظ (آيات) في قوله تعالى﴿ **إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[6] دليل على ما تحويه آيتي النوم والموت من أسرار لا يفقهها إلّا "من كان مكينا في علمه ومعرفته، قديرا

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، ج5، ص 2326 رقم 5953.

[2] سورة الأنعام، الآية 60.

[3] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج24،ص24.

[4] سورة لقمان، الآية 34.

[5] سورة النساء، الآية 78.

[6] سورة الزمر، الأية 08.

على البحث والتمحيص، بصيرا بخُطا الفكر والأنحاء التي قد تفضي إليها نتائج البحث والتقصي.."[1].
لهذا كانت الخاتمة بالتخصيص لقوم تتوفر فيهم هذه الصفات فيتفكرون فيها. فمن تعرف على أسرار النوم وما يتخلله من أحلام مرعبة ورؤى طيبة مبشرة استطاع أن يتصور الموت وما يصاحبه من أحوال القبر والبرزخ [2]

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم الحث على زيارة القبور " **زوروا القبور فإنها تذكر الموت**" [3] .بعد النهي عنها مخافة دخول الشرك للقلوب. لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام " هذه الزيارة هدفها الأول التذكير بالموت وترقيق القلب بتذكر الذنوب ما يجعل الإنسان يعتبر بمن قبله وما كانوا فيه من نعيم وصحة ثم صاروا إلى قبور تأويهم و لم يغني عنهم مالهم ولا جاههم ويسارع بالتوبة قال تعالى: ﴿**كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ وَنَعْمَةٖ ۝٢٦ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ**﴾[4].

فهي حقيقة لا يمكن الهروب منها قال تعالى ﴿**قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[5]. ولا حتى العودة بعدها لتصحيح الخطأ وتصليح العمل، قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[6].
ومع كل هذه الحقائق إلا أن كثيرا من الناس على كفرها بالبعث واللقاء، مع أن كل ما في الكون سائر

---

[1] حجازي، محمد عبد الواحد، القرآن ومنهج التفكير، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1993، ص129.
[2] مالك البدري، التفكر من الشهود الى المشاهدة، مرجع سابق، ص 77.
[3] أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الجنائز،باب باب استئذان النبي صلى الله صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل في زيارة قبر أمه ، ج 2، ص 671، رقم الحديث 976.
[4] سورة الدخان، الآية 25-28
[5] سورة الجمعة، الآية 08
[6] سورة المؤمنون، الآية 99-.100

إلى أجله المحدد، وفيه دليل على أنّ من بدأ الخلق قادر على إعادته، لأن الإعادة أسهل من الخلق الأول، قال تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾[1]. بل قدرته على إخراج الحي من الميت والميت من الحي وإحياء الأرض الميتة دليل دامغ على البعث قال تعالى﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[2]. فبنفس صورة الأرض الميتة التي يتزل عليها الماء فيخرج النبات، كذلك يخرج الإنسان من قبره يوم البعث.

ويلاحظ أن القرآن قد خاطب الناس في هذه القضية بأدلة عقلية وأمثله واقعية، لأنها من دلائل عالم الغيب الذي لا يستطيع الانسان التكهن به، واستحضار التفكر كعملية عالية من عمليات العقل يشير إلى أهمية الموضوع وأثره في حياة الإنسان وآخرته لتعلقه بدار الإبتلاء ودار الجزاء.

المطلب الثاني: التفكر في الوحي

إن المجال الثاني الذي استدعى القرآن فيه ملكة التفكر للعمل، هو مجال الوحي الإلهي بما يشمله من حقائق الرسالة ودعوة الرسول، والتدبر في آي القرآن الكريم، كذا البحث في أسرار التشريع. فهو مجال خصب يستحق التدقيق في معانيه وسبر أغواره نكتشف بعض آفاقه في المطالب التالية.

الفرع الأول: التفكر في النبوة والرسالة

إن قدرة الانسان على تحصيل المعرفة واكتساب العلم محدودة، فهو غير قادر على الإحاطة بجميع الحقائق العلمية، ولا الوصول منها إلى نتيجة نهائية تفسر له ظواهر الكون وما يجري في الحياة، أو التعمق في الغيبيات، لذلك كان العقل بحاجة إلى دليل يقود خطاه

[1] سورة القيامة، الآية 3-4.

[2] سورة الروم، الآية 19.

إلى الطريق المستقيم، فبعث الله الرسل وأنزل معهم الكتب، وأيدهم بالمعجزات لهداية الناس وبيان معاني الوحي الرباني.

وجاء المنهج القرآني في الدعوة للتفكر في حقيقة الرسالة والرسول كموعظة ربانية للناس، سبيله الوعظ والذي يعني" تذكير الغير بالخير والبِر بكلام مؤثر رقيق"[1] فلم يكن فيه أمر أو حكم جديد، بل هو تذكير بأمر أو حكم منسي لعل صاحبه يستجيب له.

هذه الموعظة كانت واحدة لا بديل عنها، هدفها الإقبال على الناس وعدم الإطالة عليهم لكي لا ينفروا من طول الحديث خلاصتها تتمثل في القيام الخالص لله تعالى وذلك بالتشمير "عن ساعد الجد، وتلقّى ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم بقلب مفتوح وعقل واع، ونفس خالية من التعصب والحقد والعكوف على التقليد "[2]. ففي هذه العملية جهاد واجتهاد، جهاد لدواخل النفس ومؤثرات البيئة ، واجتهاد في إعمال الفكر والتمحيص والبحث في ثنايا دعوة الرسول ومعجزاته، وفي حياة هذا النبي الذي عاش بين ظهرانيكم متفرقين ومجتمعين، فهل ترون من براهين لما وصمتموه به من صفات شنيعة كالجنون والكذب والسحر والشعر، فإذا تبدت الحقيقة أمام ناظريكم فهلّا أسلمتم لدعوته، وأعلنتم توحيدكم، فما هو إلا نذير للعذاب الأليم الذي سيحل بكم قريبا، وجيئ بالإنذار في هذا الموضع لأنهم يعلمون يقينا مدى صدق الرسول في دعواه ولكن الكبر والهوى يمنعهم من الإذعان له، ويدركون أنهم على خطأ في ما وسموه به وأنهم هم الظالمون له ولأنفسهم، ومن المعلوم أن من ظلم وكذب وافترى فجزاؤه العقاب فكان لفظ النذير أنسب في التحذير "وهوّل أمر العذاب بتصويره صورة من له آلة بطش محيطة بمن تقصده فقال ﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾"[3]، فكأن لا فاصل بين دعوة النبي وبين حلول العقاب، وأجزل في الوصف بكونه شديدا تعظيما للجرم

[1] سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج11، ص 306.

[2] المرجع نفسه، ج11، ص 306.

[3] البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ج6، ص 193.

الذي فعلوه لعلّ النفوس تخاف فتتوب وتأوب عند إدراكها لخطأها. فهي "لمسة تصور العذاب الشديد وشيكاً أن يقع، وقد سبقه النذير بخطوة لينقذ من يستمع"[1].

و بهذه الآية تحققت أصول الإيمان التي كان كفار مكة يحاجون الرسول فيها وهي وحدانية الخالق وتصديق النبوة المحمدية والبعث في يوم القيامة "فقوله﴿ **أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ**﴾ إشارة إلى التوحيد وقوله﴿ **مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ**﴾ إشارة إلى الرسالة وقوله : ﴿ **بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾إشارة إلى اليوم الآخر"[2].

وقدم المثنى لأن الإنسان ناقص برأيه فإذا اعتضد برأي آخر صار أوثق وأكمل فما لم يره أحدهما يكمله الآخر، لكن"من وثق بنفسه في رصانه عقله وأصالة رأيه قام وحده ليكون أصفى لسره، وأعون على خلوص فكره، ومن خاف عليها ضم إليه آخر ليذكره إن نسي ويقومه إن زاغ"[3].

وفي هذه الصورة اكتمال لمعاني التدقيق والتحليل والنقد البناء بخلاف الصورة الجماعية العامة أين يكثر اللغط ويغيب الدليل ويظهر التعصب الهوى، فالتجمع مقيت في تقدير الأمور. كما أن صورة التفكير الأحادي مذمومة في القرآن لما قد يعتري صاحبها من دواخل النفس الأمارة بالسوء وطغيان الأهواء والشهوات وتمكن الشيطان من صاحبها، فكلها عوامل تبعد التفكر عن منهجه القويم، وهو محصلة قصة الوليد بن المغيرة الذي هزته معاني القرآن الكريم، ولهج لسانه بالقول الحكيم، لكن خوفا على سيادته ومكانته أبى إلا أن يظل على كفره القديم. فكل عملية قام بها هي مرحلة دقيقة من مراحل التفكر، فعرضه للوقائع ثم النظر فيها يشعر بأنه كان قريبا من الهدى لكن خانه حُسن التبصر والتقدير للأمور فضلّ وأضلّ. لذا جاء التعجب من إصابته التقدير الذي أراح

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن ، مصدر سابق،مج 5،ج 22، ص2914.

[2] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج25، ص216.

[3] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج6، ص 193

نفوس قريش ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[1]، أو كان "ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به، أو هي حكاية لما كرروه من قولهم"[2]

لهذا وجب على من سلك درب التفكر أن يتسلح بسلاحي المنهجية والموضوعية، إذا أراد الوصول إلى بر الحقيقة واليقين القلبي فعندما "يطلب الحق منا التفكر والتذكر والتدبر إنما يوقظ فينا المقاييس الحقيقية التي نصل بها إلى المطلوب الذي يريده الله"[3]. فلو أنه وقومه سلكوا هذه الطريق لسهلوا على أنفسهم الابتعاد عن باب الضلال، فلقد كانوا يسألون الرسول أسئلة هم أنفسهم يؤمنون بإستحالتها، ورد ذكرها في سورة الأنعام. فلقد سألوه: "إن كنت رسولاً فاسأل الله حتى يوسع علينا خزائن الدنيا، والثاني جواب لقولهم إن كنت رسولاً فأخبرنا بما يقع في المستقبل من المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه، والثالث جواب قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق"[4]، فجاء الجواب الرباني عن هذه الشبه ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[5]

فالنبوة مهمة البشر المصطفين من الله، لا أمر ولا فعل لهم من دون إذن الواحد الجبار، وليس لهم من قوى زائدة ولا وسائل خاصة إلا بالقدر الذي يؤيد دعوتهم، وبفضل من الله، ولأنهم يعلمون هذا فقد جاء الحديث في هذه الآية عن نفي الإدعاء عن الإحاطة بما سألوه، و لم ينفي المسؤول عنه من الأصل فقال ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُم﴾ فهم يعلمون أنه لوكانت له خزائن الرزق والملك لأغنى نفسه وهو الفقير، وذلك لزهده في الدنيا، كما أنهم على يقين من بشريته، وكونه مثلهم وليس ملَكا ذو

[1] سورة المدثر، الآية 19،20.

[2] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق، ج5، ص651.

[3] تفسير الشعراوي، مصدر سابق، مج 7، ص3648

[4] أبو حيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص137.

[5] سورة الأنعام، الآية 50.

قدرة خارقة، أو له صفات تنزيهية، ونفى علم الغيب من أصله ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ تنصيصاً على أن ما أخبر به من مغيبات ماضية وحاضرة ومستقبلية، هي وحي صادر من الموحي إليه ولا طاقة له بنفسه قال تعالى﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[1]، فكان في الرد على هذه الشبهات تدرج وترقّي "فنفى أولاً ما يتعلق به رغبات الناس أجمعين من الأرزاق التي هي قوام الحياة الجسمانية، ثم نفى ثانياً ما يتعلق به وتتشوف إليه النفوس الفاضلة من معرفة ما يجهلون وتعرّف ما يقع من الكوائن ثم نفى ثالثاً ما هو مختص بذاته من صفة الملائكة التي هي مباينة لصفة البشرية فترقى في النفي من عام إلى خاص إلى أخص"[2].

ليؤكد في النهاية عمله المنوط به وهو اتباع الوحي، بتلقيه من رب البرية وتبليغه للناس ودعوتهم للإيمان به، فمن تأكد في نفسه من هذه الحقائق وعرف الحق وضل معاندا مستكبرا، فمثله كمثل الأعمى له عينان لكن لا تبصران، فهكذا مثل الضال الذي يعلم الحقائق لكنه لا يؤمن، وبالمقابل فالمستهدي بنور الحق كالبصير الذي له عينان يرى بهما النور ويتبع الحقيقة، ويصل إلى حيثما يريد.

ومن أعجب ما واجهته النبوة من شبهات هو استحالة نزول الوحي على بشر، فقد أورد القرآن في كثير من الآيات استعجاب الكفار لبشرية الرسول قال تعالى:﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾[3]. لذلك جاءت آية النحل تؤكد أنها بشرية الرسل من قبله، فليسألوا من سبق الوحي إليهم من أهل الذكر والكتب السابقة ليتأكدوا من ذلك، بعدا عرّج على وظيفة الرسل في البيان لما أبهم وأشكل على فهوم الناس وتأييد دعواهم بالمعجزات البينات والكتب السماوية.

[1] سورة الأعراف، الآية 188.

[2] أبو حيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص137.

[3] سورة يونس، الآية 02

والتفكر هو دليل الإنسان لتمحيص هذه الحقائق والتأكد من صحيحها عن سقيمها، لذا جاء التوبيخ عن الإعراض على هذه العملية المهمة، وإهمال دور العقل في وزن الأمور الدقيقة، فإنّ مجرد التفكر البسيط يبعث في النفس اليقين بأن هذه الرسالة حق وصاحبها رسول، لما عهدوه عليه من صفات رشيدة وأخلاق كريمة وتصرفات حكيمة، تنبذ عليه صفة الجنون الموسوم بها من قِبلِهم قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] . وأورد الطبري[2] عن قتادة في سبب نزول هذه الآية: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصَّفا، فدعا قريشًا، فجعل يفخِّذُهم فخذًا فخذًا: "يا بني فلان، يا بني فلان!" فحذّرهم بأس الله، ووَقائع الله، فقال قائلهم: "إن صاحبكم هذا لمجنون! باتَ يصوّت إلى الصباح أو حتى أصبح!" فنزلت الآية

وصفة الجنون نسبت إليه من وجهين: فعله وزهده في الدنيا وإقباله على الآخرة وهذا مخالف لعادة العرب في إقبالهم على الدنيا وحبهم لها، إضافة إلى ماكان ينتابه حين يتغشاه الوحي من حالات، من أجل هذا أثبت الله تعالى نبوته صلى الله عليه وسلم بنفي أخس صفات البشر وإثبات أعظم صفاتهم .وقد نفى عنه صفة الجنون "وخصها لأنها مما يمكن طروءه، و لم يعرّج على الكذب لأنه مما لا يمكن فيمن عاش بين أناس عمراً طويلاً "[3] قال تعالى ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4]. فمن كان هذا شأنه بشهادة قومه، وهو الملقب عندهم بالصادق الأمين كيف له "أن يتصدى لإدعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويلقي نفسه إلى الهلاك، فكيف وقد انضم إليه معجزات كثيرة"[5].

[1] سورة الأعراف، الآية 184.

[2] الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج13، ص 289.

[3] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج6، ص 193

[4] سورة يونس، الآية 16.

[5] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، دت ط، ج4، ص406.

وبهذا تحقق التصور الكامل عن حقيقة النبي والنبوة، وكل هذا بفضل استخدام عملية التفكر بضوابطها والتدرج عبر مراحلها.

الفرع الثاني: التفكر في آيات القرآن

إن القرآن العظيم هو معجزة الله الخالدة على الأرض والمتحدى بها كل البشر، أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نورا وهداية للخلق، معجز بألفاظه ومعانيه، لا تنقضي عجائبه لمن يمعنون التفكر في رحاب آياته، ويجيلون العقول والقلوب في أسرار كلماته ونظمه، يقول الإمام السعدي: "ولعلهم يتفكرون فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه"[1].

وارتبط التفكر في آيات الذكر بآيتين هما ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾**﴾[2] .وقوله تعالى ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3]

فالآية الأولى واردة في معرض بيان وظيفة الرسل و تأكيد بشريتهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بما كان يتهمه به المشركون، وردّ واضح على افتراءاتهم وشبهاتهم التي كانو يثيرونها حول الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر لما تميزت به دعواتهم من الحجج الداحضة والكتب الدامغة، لتنتهي ببيان دور هذا القرآن في كونه ذكرا للإنسان لما فطر عليه وموعظة وتنبيه للغافلين وأن الرسول الكريم موضح لما جاء فيه مفصل لأحكامه وتحصيل هذا باستخدام التفكر فيه والتدبر لمعانيه. فجاءت الغاية بالبيان وأسندت للرسول، توضيحا للمهمة الاساسية له كون الناس غير قادرين على فهم مقاصد الشرع وحكمه بأنفسهم لقصور مداركهم عن ذلك، وتسهيلا لهم بالأخذ به.

والآية الثانية جاءت تتحدث عن عظم تأثير القرآن في النفوس وتمثيل أثره بصورة محسوسة لعل القلوب تأوب له، فتخشع عند تلاوته وتتدبر معانيه، وتعمل بأحكامه فتتخذه دستور حياة. قال السعدي "فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طريق الخير والشر، ويحثه على

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مصدر سابق، ص 441

[2] سورة النحل، الآية 44.

[3] سورة الحشر، الآية 21

مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه"[1] .

ومن موارد التفكر في القرآن التفكر في الأمثال المضروبة فيه، والتي فيها حكم جليلة وعبر عظيمة، لا يصل إليها الواصل إلى بطريق التفكر والتمحيص الدقيق والإعتبار. قال ابن كثير:"أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتتزلوها على المعنى المراد منها"[2].

كما أن من التفكر في آيات القرآن التفكر في عاقبة من لا يتعظ بها أو يعمل بها، وفي هذا تنبيها لعظم الجرم المقترف. فالهدف من إنزال القرآن هو العمل به في ميادين الحياة، وإهمال هذا مخالفة للقرآن الكريم وللمقصد منه، وجاء الحث والترغيب على ذلك بتصوير حال المهمل لأحكام القرآن بحال خسيسة ليهب كل فرد ويغير حاله ، والمطلوب التفكر العميق في هذه القصة، للإعتبار والإتعاظ فلعل هذا التصوير يحملهم على العودة للنظر والتفكر في الآيات .

ومن النظر في القرآن النظر في نظمه، فقد جاء حسن التنسيق محكم الترتيب قوي الأثر سهل الفهم موسع التفسير،متلاحم النسيج مترابط الأفكار دقيق المعاني، يجعل لقارئه ملكة تمكنه من "تقييم أقواله وأفعاله وحركاته وخطراته وأفكاره ونواياه وجل تصرفاته ووزنها بذلك الفرقان ...فالقرآن يكون بمثابة النموذج المعرفي الكلي للإنسان"[3].

وإعمال العقل وتدبر القرآن يجعل الإنسان يتلذذ بمعانيه ويكسبه الإحساس بالأمان والطمأنينة القلبية والسكون النفسي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة**

[1] المصدر السابق، ص 792.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص696.

[3] طه جابر العلواني الجمع بين القراءتين، مرجع سابق ، ص 32

وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "[1]. والتفكر فيه باعث على الخشية الإلهية لما فيه من أوامر ومواعظ وزواجر. فقد أخرج ابن المنذر عن الضحاك في تفسير قوله ﴿**لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ..**﴾ قال: "لو أنزلت هذا القرآن على جبل فأمرته بالذي أمرتكم وخوّفته بالذي خوفتكم به إذاً يصدع ويخشع من خشية الله، فأنتم أحق أن تخشوا وتذلوا وتلين قلوبكم لذكر الله"[2]. وفي هذا حث على تأمل آيات القرآن وتحريك الفكر فيها بما يزعزع العقول ويلين القلوب، وبيان لعظمة أثر القرآن وهدايته في النفوس، فإذا كانت الجبال على صلابتها وقوة تحملها تذل وتخشع لمواعظه وحكمه وتتصدع وتتشقق لأوامره ونواهيه، وفي هذا تنبيه للإنسان الغافل المعرض عنه كي يتفطن لقسوة قلبه وغلظة طبعه، كما أن فيه إشارة إلى ثبات النبي صلى الله عليه وسلم وقوته التي امتن الله بها عليه وجلده في تحمل تبعات التنزيل والبيان قال تعالى ﴿**إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا**﴾[3]، فهو مدح للنبي لتحمله ما لا تطيقه الجبال الرواسي. ﴿**وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ**﴾[4].

ويقول تعالى في وصف عباده الذين أدوا حق القرآن وأعظموا شأنه ﴿**ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ**﴾.[5] والتلاوة لها معنيان:قراءة آياته بتحقيق حروفه وصفاتها والتمكن من أحكام تجويده، وإتباع آياته بالإستجابة لأوامره وتحليل حلاله وتحريم حرامه والعمل به في الحياة، وذلك معنى أداء التلاوة بحقها-وليس مجرد تحريك اللسان والقلب لاهٍ والعقل ساهٍ- كما كان عمل الصحابة؛ فقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتابالذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج4، ص2074، رقم (2699).

[2] السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 1993م، ج8، ص121.

[3] سورة المزمل، الآية 05.

[4] سورة الرعد، الآية 31.

[5] سورة البقرة، الآية 121.

وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: **"فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً"** .

لذا ينبه ابن تيمية قارئ القرآن أن يظل "دائم التفكر والتدبر لألفاظه واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئاً من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قَبِلَهُ وإلا ردّه"[1] .لأن قراءة القرآن بالتفكر أصل صلاح القلب، ففيه حياة القلوب والأبدان، "فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، ومقامات العارفين ، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله ...فإذا قرأه بتفكر ومر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة ، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم "[2]

وتختلف درجات الناس في الفهم عن القرآن بحسب درجات عقولهم واختلاف تخصصاتهم، فالنحويون يعلمون سر اعجازه البيانيوبلاغته الفصيحة، والفقهاء يدركون أحكامه وتشريعاته، و علماء الطبيعة يجدون تشدهم آيات الكون والطبيعة، والعقليون تبهرهم أدلته العقلية، لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله و النور المبين و الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به و نجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب و لا يعوج فيقوم و لا تنقضي عجائبه و لا يخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول : ألم حرف و لكن ألف و لام و ميم** "[3]

ويُعَّد القرآن قائدا للعقل ودليل له في معترك الحياة، يأخذ بناصيته إلى النور المبين والطريق المستقيم، فالعقل ذو رؤية محدودة لا تجاوز الواقع المرئي أمامه، والقرآن هو التفسير السليم الوحيد

[1] ابن تيمية الحراني، التفسير الكبير، ، تح: عبد الرحمان عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت ط، ج 6، ص71.

[2] ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج1 ص 187 .

[3] أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن،باب أخبار في فضائل القرآن جملة، ج1، ص741، رقم 2040.

لحقائق الكون والكاشف للسنن الإلهية فيه، يخاطب العقل على حسب مستواه ويوقظ الفطرة بأسلوبه السلس ليحفز النفس على النهوض بتكاليف الأمانة الربانية. وكل ذلك لأنه "جمع في نصوصه البليغة عجائب العلوم، وأسرار التشريع، وبدائع النظم، وكل ذلك في نص موجز، ونظم محكم، لا يخرج كنوزه إلا المتفكرين الذين يكررون الفكرة فيه، ويعيدون النظر مرة بعد أخرى، ويتعاملون معه بالتدبر الطويل...اذ أن التفكر بما يتضمنه من عمق النظر وتكرار الفكر والتأمل هو الكفيل بإخراج شيء من كنوزه المخبوءة "[1].

وثمرات التفكر في آي القرآن كثيرة، فبه زيادة الإيمان ونيل شرف محبة الله له، كما أنه يزرع اليقين ، ويرفع الهمم ويزكي النفوس ويهذب الأخلاق، وكل هذا إذا صحّ طريق التفكر وأخلص القلب التوجه لله، فيفتح له الله أبواب المعارف ويمده بأنوار الحقيقة.

الفرع الثالث: التفكر في مقصد التشريع

ومن مجالات التي يعرضها القرآن الكريم محلا للتفكر؛ التفكر في مقاصد الوحي والتشريع، بل يجعلها هدفا ساميا له، لأن هذا الوحي دستور الله على الأرض وضع فيه قواعد الحياة وأسسها ، فكل أحكامها سليمة موافقة لفطرة الإنسان وطبيعته، تعمل على بناء إنسان متكامل نفسيا وجسديا وعقليا قادر على الاضطلاع بمهمة الاستخلاف والعبادة.

ولأن عملية كالتفكر أساسية في حياة الإنسان لتحقيق هذا التوازن، ارتبط موضوع التفكر بتحقيق مقاصد الشرع وكشف أسراره وذلك في آية البقرة التي نزلت كأول تحذير للمؤمنين من شرب الخمر والإستمرار في الميسر عند استفسار القلوب الرقيقة عن حكمه، وسورة البقرة مليئة بالأحكام الشرعية لأنها سورة مدنية جاءت لتوضح تشريعات الحياة للمسلمين بعد تعمق الإيمان في قلوبهم، وابتدأت الآية بسؤال جاء بين مجموعة أسئلة سألها المؤمنون لرسول الله تخص الجهاد والحج

[1] زيلعي هندي، مفهوم التفكر في القرآن الكريم ، مرجع سابق، ص 77.

والأهلة فهي أحكام تشريعية أراد بها المؤمنون استوضاح دينهم ومعرفة حق ربهم عليهم. وكان من بينها السؤال عن قضية الخمر والميسر ومسألة الإنفاق، وهما موضوعان يمثلان عصبا حيا في حياة العرب في الجاهلية، فالخمر والميسر عادة متأصلة في نفوس العرب واقتلاعها بقوة يجعل النفوس تنبذ هذا الدين، لذلك كان من حكمة المولى التدرج في تحريمه من خلال الأسلوب الذي تميل له النفوس فجاء بيان إثمهما الكبير على العقل والمال والجسد، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ...﴾[1]. هذه الحكمة وهذا التدرج هما من الأمور الخفية التي تحتاج إلى كثير إعمال عقل وفكر حتى يصل الإنسان بهما إلى إدراك مقصد القرآن من تشريع هذه الأحكام، وتسهيل مصالح الدنيا والآخرة.

والخمر أصله من خَمَر بمعنى سَتَر وغطى، و"الخمر كل شراب خمَّر العقل فستره وغطى عليه"[2]. ويحجبه عن عمله والتفكير السليم، وأصل الميسر من اليُسْر الذي يعني وجوب الشيء لصاحبه والياسر اللاعب بالقداح ثم أطلق على كل مقامر .

واختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية ، فقد روى الترمذي أن عمر رضي اللّه عنه قال: اللهمّ بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ...﴾[3] الآية، فدعي عمر فقرئت عليه. فقال : اللهم بيّن لنا في الخمر بيانَ شفاءٍ، فنزلت التي في النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[4]. فدعي عمر رضي اللّه عنه فقرئت عليه، ثم قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء. فنزلت التي في المائدة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

[1] سورة البقرة، الآية 219،220.

[2] الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج4، ص320.

[3] سورة البقرة، الآية 219

[4] سورة النساء، الآية 43.

﴿ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1] .فدعي عمر رضي اللّه عنه فقرئت عليه، فقال : انتهينا انتهينا."[2]

وقد ورد في السنة النبوية ما يدل على تحريم الخمر أيضا، فقد روى مسلم عن ابن عمر أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: "**كلّ مسكر خمر، وكلّ مسكر حرام**"[3]، وروي عن عائشة أنها قالت: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عن البتع وعن نبيذ العسل فقال صلّى اللّه عليه وسلّم: "**كلّ شراب أسكر فهو حرام**"[4].

وآية التفكر هذه ليست الآية المحرمة للخمر والميسر، بل هي في بيان الإثم الكبير الناتج عنهما مع الإشارة إلى النفع الحاصل منهما، ودعوة لدرء الإثم والضرر عن جلب المنفعة منهما لمن استطاع، فالضرر الناتج عن الخمر يتمثل في ما تجره على صاحبها من ذهاب عقله فلا يعود مدركا لتصرفاته وأقواله، ما ينجر عنه كثرة الشجار وظهور العداوة والبغضاء بين الناس، كما أنه يصد عن الصلاة وذكر الله، وفيه تعريض للنفس للإذلال والسخرية، وتبذير للمال، وإهلاك للجسد بكثرة الأمراض، وهي سبيل لكل الجرائم التي أعلاها الزنا والقتل، فهي أم الخبائث بحق.

وأما أضرار الميسر أنه "يؤدي إلى اليسار والغنى الطارئ من غير تعب ولا جهد، ويلحق الضرر بالخاسر، فهو غرم مجهد ثقيل، ويثير العداوة بلا سبب، ويزرع الحقد والكراهية من غير مسوغ، ويضيع الوقت من غير فائدة، ويصرف العقل عن جادة التفكير النافع، ومع ذلك فهو مدعاة للكسل والخمول، واصطياد الثروة والمال من غير عناء ولا مشقة، فلا يكون فيه بركة"[5]

---

[1] سورة المائدة، الآية 91.

[2] الترمذي، أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، كتاب تفسير القرآن،تفسير سورة المائدة، ج5، ص253، رقم (3049).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر، ج3، ص1585، رقم 2001.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب الخمر من العسل ج6،ص 302، رقم 5585.

[5] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط ، ، دار الفكر، دمشق-سوريا، دط، دت ط،ج1،ص114.

وقد استعمل لفظ الإثم بدل الضرر " للدلالة على أنه يعود على متعاطي شربها بالعقوبة في الدنيا والآخرة" [1]، لأن الإثم بمعنى الذنب فهو ليس ضد المنفعة بل ضدها هو الضر، إذًا فخطر الخمر والميسر يتعدى الضرر في الدنيا ليشمل الذنب في الآخرة، فمن نجا من ضررها في الدنيا فلا محالة واقع في عقابها في الآخرة.

وبمقارنة بسيطة بين المنافع والآثام يجد صاحب العقل الواعي والسليم، أن الآثام أكثر عددا وأكبر خطرا من المنافع الحاصلة بموجبهما، بل يمكن تحققها بطرق أخرى. لهذا جاءت خاتمة الآية تدعو الناس للتفكر في مقصد القرآن الحكيم من النهي عنهما، لعل الناس تدرك الصلاح في الدنيا والآخرة .ويقول الإمام الطاهر ابن عاشور في بيان مقصد التشريع لهذه الآية "فالفائدة في ذكر المنافع هي بيان حكمة التشريع ليعتاد المسلمون مراعاة علل الأشياء، لأن الله جعل هذا الدين ديناً دائماً وأودعه أمة أراد أن يكون منها مشرِّعون لمختلف ومتجددِ الحوادث، فلذلك أشار لعلل الأحكام في غير موضع...وتخصيص التنصيص على العلل ببعض الأحكام في بعض الآيات إنما هو في مواضع خفاء العلل، فإن الخمر قد اشتهر بينهم نفعها، والميسر قد اتخذوه ذريعة لنفع الفقراء فوجب بيان ما فيهما من المفاسد إنباء بحكمة التحريم، وفائدة أخرى وهي تأنيس المكلفين فطامهم عن أكبر لذائذهم تذكيراً لهم بأن ربهم لا يريد إلاَّ صلاحَهم دون نكايتهم...وهنالك أيضاً فائدة أخرى وهي عذرهم عما سلف منهم حتى لا يستكينوا لهذا التحريم والتنديد على المفاسد" [2]. وذكر التفكر في مصالح الدنيا والآخرة، ارتبط بذكر المنافع والمضار والآثام. لأن الفكر هو الملكة التي توازن بين المنافع والمضار بالتمحيص النظر في الأشياء، وإدراك محاسنها ومفاسدها.

ولأن الآية بينت وجه الإنفاق المذموم بالتبذير والإسراف غلى الخمر والميسر، أعقبته ببيان وجه الإنفاق العظيم عند بيان جواب السؤال عن كيفية الإنفاق في سبيل الله وسعته، فكان الجواب بكلمة واحدة ﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾، لتتيح للناس في كل مكان وزمان الفوز بالأجر العظيم، فهي تشير إلى

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص344.

[2] المصدر السابق،ج 2،ص 350.

ما التصدق بما فضل عن نفقة الإنسان، مما ليس له فيه حاجة بعد أداء حق الله عليه، وحق نفسه ثم حق أهله ومن يعولهم. وفي هذا تحفيز للنفوس الباذلة في الخير للمسارعة في الإنفاق وربح الاجر. وفي هذا يقول رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم :"**يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى** "[1].

وقد شرع الإنفاق مطلقا في أول الإسلام "لأن المسلمين كانوا فئة قليلة بين أمم وشعوب تناصبهم العداوة وتبذل في سبيل ذلك الأموال والأرواح، فلا تستقيم لهم حال إذا لم يتّحدوا ويكونوا كرجل واحد ويجودوا بالمال لخدمة المصالح العامة"[2]. فكان هذا السبيل الوحيد لبناء إقتصاد الأمة والقيام بشؤونها وتوحيد صف أبنائها؛ بزرع بذور الأخوة والتعاطف والإحساس بالآخرفي النفوس.

ويقول الشيخ المراغي في بيان الحكمة من الجمع بين السؤال عن الخمر والسؤال عن الإنفاق في آية واحدة في أنها نوع "من الموازنة بين حال فريقين من الناس: فريق ينفق المال بغير حساب في الإثم تفاخرا ومباهاة فيما لا خير فيه، أو لمجرد اللذة وإن ساءت العاقبة، وفريق ينفقه في سبيل اللّه يزيل به ضرورة إخوانه ذوى الحاجة، أو يرفع به شأن أمته بالإنفاق في مصالحها العامة وأعمال الخير فيها كالتعليم وإنشاء الملاجئ والمستشفيات"[3]. ولإقامة المصالح العامة يشترط توفر دخل دائم للمال للقيام بالأمور، وهذا لا يحدث إلا اذا أنفق كل واحد الزائد عن حاجته، فلا ينضر هو ولا يوقف عن الانفاق فتتوقف المصالح العامة، واتباع المسلمين لهذا النهج يعمم الإنفاق على الناس ويحدث التوازن ويرفع الاقتصاد ويساهم في الإعمار وتلبية حاجات المجتمع.

كما أن السعي في الإنفاق يكثر الحسنات ويضاعف الأجر ما يحصل به الفوز في الآخرة، فلأجل هذه الحكم الجليلة ختم الله الآية بالدعوة للتفكر تعظيما للتشريع وبيان علله، وذلك ليسهل

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من السفلى، ج2 ، ص718، رقم (1036).

[2] رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج2، ص 268.

[3] المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ،مصر،ج2، ص 146.

للأمة تلقيه ويدركوا حكمة التشريع قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[1]، فتطمئن النفوس وتتبع التكاليف عن تبصرة ويقين.

وإتماماً لبيان مقصد التشريع من الإنفاق ارتبط موضوع التفكر بعواقب إنفاق المرائي الذي يتصدق ويبذل ماله ، وهو لا يبتغي وجه الله فيضيع جهده هباء منثورا، ولا يجد يوم القيامة ما ينفعه من حسنات وهو أشد الناس حاجة لها. قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. وهو أشد الامثال على النفس وأقساها عبرة، لأنه يصور حال المنفق المرائي والحسرة تملأ قلبه على الاموال التي ظل يخرجها، وهي لا تساوي عند الله شيء، وفي عبرة وحكمة تستلزم أنه لا يهم مقدار ما تنفق بقدر ما يهم الإخلاص لوجه الله تعالى ولو كان المال المنفق بسيطا.

فالتفكر في حكمة التشريع أمر ضروري في الإسلام، لأنه يؤهل الإنسان لأن يكون قادرا على استوعاب مضمون الوحي، والعمل الجاد به، ويبعث اليقين في القلب بسماويته وقدسيته ، وأحقيته لأن يكون منهجا ودستورا تحيا به الأمم، فلو تعود الأمة الإسلامية إلى التفكر في الوحي، وتسبر منه درر العبر ولآلئ الحكم، كما كان الصحابة يفهمونه ويدركون مقاصده، لعاد للأمة مجدها وشبابها ، ولحكمت العالم بدستور السماء.

وكخلاصة لهذا المبحث يلاحظ أنّ القرآن قد فتح الباب على مصرعيه لإعمال العقل فقد شمل العالم العلوي والسفلي، المنظور والمقروء، فتعددت آفاقه لتشمل آلاء الكون على رحابته وسعته، وأسرار النفس ودواخلها وأحوالها الجسمية والروحية، مرورا بالنظر الدقيق في حقيقة الدنيا والإستعداد الدائم للآخرة. كما أن الوحي السماوي كان مجالا خصبا لإعمال التفكر فيه بما يحمله من حقائق عن الرسالة التي هي سبب النجاة، وما يكشفه من هدايات القرآن، ومقاصد التشريع. فلم يدع القرآن الكريم مجالا إلا وكان التفكر سبيلا له. مع حجره على عالم الغيب إلا ما كان منه

[1] سورة البقرة، الآية 185.

[2] سورة البقرة، الآية 266.

بواسطة الوحي، وفي هذا دعوة لاصطحاب التفكر في كل مجالات الحياة، فمن تفكر فيها بعقل واع، ونظر دقيق كان حريّا لأن يصل إلى أهداف التفكر التي سيأتي بيانها في المبحث القادم.

المبحث الثاني :مقاصد التفكر

بيّن الله للإنسان منابع الشهود الحضاري المتمثلة في القرآن والكون، بحيث جعل القرآن مفتاح الكون؛ بما بيّنه فيه من نواميس وسنن، وحقائق عن بدايات الأشياء ونهاياتها، والعلاقات المترابطة فيما بينها ، وجعل الكون تفسيرا حيا للقرآن وقدرة خالقه بما يحمله من دلائل القدرة، تنوع المخلوقات، وانتظام القوانين، وتسخير الموجودات لتسهيل مهمة الاستخلاف البشري على الأرض. هذه الثنائية بما تحمله من حقائق هي خلاصة أهداف التفكر والتي تتمثل فيما يلي:

المطلب الأول: إثبات وحدانية الخالق وجلال صفاته

لقد كانت دعوة القرآن الكريم للتفكر والتدبر في آفاق الكون ذات أهمية بالغة، كونها تهدف إلى ترسيخ معنى حقيقة خلق هذا الوجود ومعرفة خالقه، وإدراك عظمة جلاله وبديع قدرته وعجيب خلقه ولطيف حكمته، لذا فقد عني القرآن ببلورة العقيدة الإيمانية وزرعها في النفس بحيث تكون القاعدة التي ينطلق منها الإنسان في رحلته في الكون والحياة، قاعدة تحكم أهدافه وتصوراته وقراراته، وهي أول مبادئه في الحياة، فإذا حسنت علاقته بخالقه استطاع أن يحسن علاقاته بكل ما في الكون.وكلما عظم اكتشافه لما في الكون عظمت معرفته بخالق الكون.لذا يقول ابن رشد: "وكلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم"[1].

وأساس هذه القاعدة نفي الشركاء والأنداد في عبادة الخالق قال تعالى : ﴿**قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ**

[1] ابن رشد، أبو الوليد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تح: مصطفى عبد الجواد، المكتبة المحمودية، القاهرة-مصر،ط3، ص2، 1968م، ص25.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[1]. فاختصاص الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والقدرة، يجعل غيره داخلا ضمن إطار خَلقه وعباده .لهذا تنوعت الآيات في القرآن الكريم الدالة على مظاهر وحدانيته عز وجل.

فكان منهج بناء العقيدة في القرآن قائما على أساسين متينين: أولهما ابطال عبادة غير الله ونقض الأوهام والخرافات التي تدعو إلى اتباع معتقدات الآباء، وترفع هالة التقديس عن الأفكار والمعتقدات المتوارثة،ببيان الآيات الدالة على ضعف تلك الآلهة. وثانيها: إثبات وحدانية الله عن الدعوة إلى التفكر والنظر الدقيق في آفاق هذا الكون وعجائب النفس، والإنطلاق من بديع صنعها ودقة نظامها للوصول إلى وحدانية خالقها وفاطرها.

قال ابن العربي:" أمر الله تعالى بالنظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن، أراد بذلك زيادة في اليقين وقوة في الإيمان، وتثبيتا للقلوب على التوحيد...بل إن الله يقرر في القرآن أن خلق الإنسان والسموات والأرض إنما هو حق لأمر عظيم"[2]. فقد جعل الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما آيات وعلامات واضحة على بديع صنعه وباهر قدرته، لا يراها إلا من أعمل عقله ونظر إليها بنظر البصر والفكر.

هذه الحقيقة تمثل أحد مقومات التصور الإسلامي عن هذا الكون والصلة الوثيقة بينه وبين فطرة الإنسان. فقد كان القرآن يستعمل السموات والأرض كدليل وبرهان، ذلك أنها أجلّ وأعظم من دليل النفس كما قال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3] وفي هذا يقول الكندي: "إن في نظم هذا العالم وترتيبه وفعل بعضه في بعض، وانقياد

[1] سورة الرعد، الآية 16.

[2] ابن العربي الاندلسي، محمد، أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت ط، ج1، ص351.

[3] سورة غافر، الآية 57.

بعضه لبعض، وتسخير بعضه لبعض، واتقان هيئته على الوجه الأصلح في كون كل كائن، وفساد وثبات كل ثابت وزوال كل زائل، لأعظم دلالة على أتقن تدبير ومع كل تدبير مدبر، وعلى أحكم حكمة ومع كل حكمة حكيم."[1]

والقرآن لا ينفك يوجه الأنظار والعقول والقلوب إلى كتاب الدنيا المفتوح، ويأمره بتفعيل وسائل إدراكه لتتبدى له آفاق الجمال والجلال، وتريه الكون محرابا كبيرا للعبادة. ويتيقن بأن الدليل على وجود الله هو نفسه الدليل على وحدانيته سبحانه وتعالى، ذلك أن حقيقة وجود الرب الخالق المدبر لهذا الكون كامنة في نفوس البشر ومرتكزة في أذهانهم، وتعود في أساسها إلى الميثاق الذي أخذه الله على البشر عند خلقه لهم ، لذا يقول تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ**﴾[2]. فلا يمكن لأي أحد أن ينكر وجود الله لأن دليل الفطرة يثير بداخله الفضول للبحث عن موجد هذه الكائنات ومسيرها والمسيطر عليها، ومن ثَمّ يهديه إلى الله في ساعات الخطر أو الحاجة الشديدة إليه، فتراه يعود مستعينا به، متوسلا داعيا راجيا رحمته وفضله.

والكون في المنهج القرآني عبارة عن جامعة مفتوحة يرتادها الناس لغرس بذور التوحيد، واستنبات الإيمان وترسيخ العقيدة من خلال الإسترشاد بنور الوحي فيها لكشف حقيقته والتمكن من استغلاله الإستغلال الأمثل. وبالرغم من هذا الإختلاف والتنوع الموجود في الكون، إلا أنه في حقيقته ذو رباط واحد ويسير وفق منهج متآلف منتظم يبرهن على وحدانيته خالقه وتفرده بالملك، وهي ركيزة عقدية أساسية تهدف إلى رؤية الوحدة الكونية في كل شيء، واستبيان وحدة الخالق من خلال الكثرة والتنوع والإختلاف.

وهو ما جاءت آيات التفكر تدعو إليه فسورة الرعد بآياتها الكونية تزرع في النفوس بذور التوحيد من خلال عرضها لبراهين الإيمان، بالنظر في الأرض وما عليها من آيات، فذكر انبساط

[1] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تح، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، دط، 1950.ص215.

[2] سورة الأعراف، الآية 172

الأرض ومدها للعيان طولا وعرضا، وانتصاب الجبال فيها وانشقاق الأنهار من خلالها، ثم خروج النبات والثمار وتنوعها واختلافها، وتأصيل الأشياء إلى زوجين اثنين، ثم انتقال إلى ما به بقاء الحياة على هذه الأرض من تعاقب لليل والنهار ليختمها بالحث على التفكر، وكل آية من هذه الآيات "تتضمن آيات عظيمة يجلوها النظر الصحيح والتفكير المجرد عن الأوهام. ولذلك أجرى صفة التفكير على لفظ قَوم إشارة إلى أن التفكير المتكرر المتجدد هو صفة راسخة فيهم بحيث جعلت من مقومات قوميتهم" [1].

ومن العوالم الدالة عليه سبحانه تعالى عالم النبات هذا العالم البديع بألوانه، العجيب في أشكاله، المتنوع في مذاقاته، عالم صامت لكن يحمل في طياته ما به حياة الناس على هذا الكوكب. والماء هذه النعمة العظيمة التي تعتبر سر الحياة على الأرض فلا يمكن لأي كائن على الأرض الإستغناء عنه، فوجوده هو سر وجود الناس لذلك جاء في عدة آيات لينبه الإنسان على قدرته العظيمة في ايجاده وتفرده بإنزاله قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ [2] فمصدر حياة الإنسان بيد خالقه، كي لا يدع للبشر امكانية السيطرة عليه، وبالتالي ادعاء الملك والقدرة لأي منهم. هذا الماء الذي يدل على ملك الله له وتصرفه فيه ،يدل أيضا على بديع خلقه يقول تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. فكان به نمو الزرع الذي يأكل الناس منه والفاكهة التي يشتهونها وينتفعون بها، "والتي تختلف في أنواعها، وأشكالها، وألوانها، مع أن الماء الذى سقيت به واحد، والأرض التى نبتت فيها واحدة . وذلك مما يدل أيضاً على حكمة المولى وبديع صنعه. فعظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص85.

[2] سورة لقمان، الآية 34.

[3] سورة النحل ، الآية 10-11.

وكما جاءت الإشارة إلى عالم النبات جاءت الإشارة إلى عالم الحيوان وما فيه من أدلة بسيطة تنبأ بوحدانيته تعالى. واُختير عالم الحشرات مثلا لذلك، لشدة ما يحويه من عجائب وما ينظمه من قوانين، يقف العقل عاجزا عند بحثها بالرغم من صغر حجمه مقارنة بعوالم الكون الأخرى، وإليه تمت الإشارة في القرآن بمملكة النحل، تلك المملكة التي تحويها خلية صغيرة لكن فيها نظام يعجز البشر عن وضعه، وكذا اتباعه، نظام قائم على معرفة كل فرد لدوره في هذه الحياة فيسارع للقيام به بجد وتفان، نظام أساسه التعاون والعمل والإتقان، فمن عَلّم النحل هذه القوانين ومن يسّر لها طعامها وهي أضعف خلق الله، ومن يخرجها كل صباح تطوف في الحقول والبساتين، وتنتقل من زهرة لأخرى لتعلم زميلاتها بوجود الرحيق، فتجمعه وتحفظه ثم تعود إلى خليتها من نفس طريق الذهاب ولوكان على بُعد أميال، ثم تصنع منه شرابا متنوعا، شهد له القرآن بالشفائية. فهذا دليل على عناية الله بمخلوقاته وحسن تدبيره ودعوة للتمعن والتفكر فيها وفي عالم الحشرات أيضا ليزيد إيماننا بأن خالق النحلة ومدبر شؤونها هو نفسه خالق السموات والأرض وما بينهما . يقول أبو حامد الغزالي: "يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته، وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم".[1]

ومن العوالم التي طالب الله سبحانه وتعالى الإنسان بالتفكر فيها هو نفسه،﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم**﴾[2]. فالتعمق في أسرارها يجعل الإنسان يؤمن إيمانا جازما بالله لعلمه أنه غير قادر على الإحاطة بكيفية عمل أجهزته الحيوية ولا التحكم فيها أو تسيير عمليات الحياة فيها وفق هواه، بل هو عاجز حتى على شفاء نفسه في حال المرض. أو إمساك نفسه عن الموت فيتأكد أن كما لنفسه أجل محدد فلهذا الكون أجل آخر تنتهي به الحياة على هذه الأرض، ويجازى على أفعاله فيها، ما يقوده للإيمان بالبعث والجزاء. وبحسب هذه المعرفة الألهية تعظم درجة المتفكر في الآخرة " وبحر

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص447.

[2] سورة الروم، الآية 08.

المعرفة لا ساحل له؛ والإحاطة بكنه جلال اللّه محالٌ، وكلما كثرت المعرفةُ باللّه تعالى وصفاتِه وأَفعاله وأسرار مملكته وقويت ؛كثر النعيم في الآخرة وعظم"[1] .

وفي آية الجاثية يخبر الله تعالى بأحد أعظم قوانينه في هذا الكون وهو قانون التسخير ويستدل به على وحدانيته تعالى، فمقدرة الإنسان على تطويع الطبيعة والإستفادة من ثرواتها والسيطرة على قوتها، تؤكد استحالة أن تكون هي مسيرة نفسها، وكان اهتداء الإنسان إلى هذا التسخير بفضل ما أكسبه الله له من وسائل تعينه على ذلك بما فيها العقل ومَلَكاته، وضعف الإنسان أمام قوة المخلوقات الأخرى ، ثم تطويعها له بفضل الله تعاى لدليل أكيد عليه جلا وعلا.

ويأتي قانون الزوجية في هذا الكون ليبين التفرد الإلهي، فكل شيء في هذا الكون أصله من ذكر وأنثى إلا خالق الكون، والتفكر في هذا القانون والبحث عنه في أرجاء هذا العالم يجعل القلب يصدق بوحدانيته تعالى .

وبهذه النظرة الإجمالية للآيات وبهذه الدعوة للتفكر عبر عالم السموات وأفلاكه، والأرض وما عليها من عالم النبات، وعالم الحيوان 'النحلة '، وعالم الإنسان "النفس البشرية"، والسنن الكونية، نتبين أنها كلها مجالات تدل على أن خالقها ومدبرها واحد. إلا لمن عاند واستكبر وأبى الإعتراف، فإذا كانت كان الكون بما فيه من "آفاق السماء وفجاج الأرض، تسبح بحمد ربها، فلماذا نشذ نحن ولا نصطبغ بما اصطبغ به الكون كله "[2].

كما أن التفكر يزرع في النفس الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات الذي هو الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته التي وصف بها نفسه في القرآن الكريم أو وصفه بها نبيه عليه الصلاة والسلام، فتجزم العقول عندما ترى المخلوقات التي توجد بأن لها موجداً، وأنها لم يخلقها العدم . كما تستنبط العقول السليمة صفة الحكمة عندما ترى أثر الإحكام في المخلوقات، وصفة الخبرة عندما ترى الإتقان ، وصفة العلم عندما ترى أثر العلم موجوداً فيما تشاهده من المخلوقات، وصفه الرزق عندما ترى عمليات تدبير الأرزاق. وصفة الرحمة عندما ترى آثار رحمة الله في مخلوقاته. وصفة الوحدانية عندما

[1] المصدر السابق، ج4، ص315.

[2] الغزالي، محمد، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة –مصر، ط1، 2000م ، ص 29.

ترى التكامل في بناء الكون والثبات الذي لايهدده الفساد. فتكون المخلوقات التي تملأ الأرض والسموات بذلك آثاراً مشاهدة تدل على صفات أفعال الله سبحانه .

ويمكن الإستفادة من التفكر في هذا العصر لمواجهة موجهة الضلال المنتشرة في العالم اليوم، فبالرغم من كل التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل، إلا أن الإنسان اليوم بات أكثر بعدا عن الفطرة السليمة، وعن إكتشاف العلاقة بينه وبين خالقه وبين الكون. وقد يكون أقرب الناس إلى التوحيد هم العلماء كونهم أكثر الناس اكتشافا للحقائق والتعامل معها وإعمالا للعقل والدخول في التفكر، فهم أقرب الناس للإيمان والتوحيد، لذا نسمع بين الفينة والأخرى عن دخول عالم من الغرب إلى الإسلام نتيجة ما أوصلته إليه بحوثه، التي تلخص له مفهوم الخالق الواحد القادر المبدع، وفي هذا يقول أحد العلماء "إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الإستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكن نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته"[1].

كما يقول لورد كيافي: وهو من علماء الطبيعة البارزين في العالم هذه العبارة القيمة "إذا فكرت تفكيرا عميقا فإن العلوم سوف تضطرك إلى الإعتقاد في وجود الله "[2]

والمؤمن بالله حقا المتفكر في آياته تجده يهتم بهذه الآيات، ويعمل على كشف أسرارها، والبحث في خفاياها، ما يجعله يبرع في مجال العلوم الكونية والإنسانية، "فان تلك العلوم تزيد في ايمان المؤمن وتفتح في ذهنه صفحات من العلم بعظمة الجبار. وينبغي للمؤمن الموهوب صلاحا في تفكيره وسلامة في بصيرته، أن يستعمل التفكير الجاد الهادف لما وراء ذلك من الحكمة والعلم "[3].

بهذا يتبين أنه لا يوجد طريق يسير وآمن ومقنع مثل التفكر للإهتداء إلى خالق الكون والإيمان بوحدانيته، والعمل بمقتضى أوامره.

المطلب الثاني : تزكية النفس وتهذيبها

---

[1] جون كلوفر مونسيما، الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ترجمة عبد المجيد سرحان الدمرداش، دار القلم، ص21.

[2] المرجع السابق، ص22.

[3] العبد الله، عبد العزيز بن خلف، الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، مكتبة دار البيان ، دمشق–سوريا، ط1، 1969م، ص09.

إن من أهداف التفكر السامية، بعد ضرورة الإيمان بالله خالقا وربا لهذا الكون، هو ضرورة تعزيز القوة الإيمانية في القلب، وتحصينها من كل ما يمكن أن يؤثر فيها، بفضل التفكر فيما تحويه آيات الكون في طياتها، ترشد الضال إلى الإيمان بالله، وتزيد من قوة هذا الإيمان في القلب، فكما نعلم أن الإيمان أسس وأركان، دعامته الدليل والبرهان. فتفكر المؤمن في آلاء الله يوثق رابطته بالله تعالى، ويزيد من عزيمته وهمته لنشر هذا النور والطمأنينة ليعم كل البشرية، وأثناء هذه العملية يدرك المؤمن وظيفته الدنيوية في إقامة شرع الله على هذه الأرض، عن طريق التفاعل الإيجابي مع مخلوقات الله في الكون ، فيعمد إلى استغلالها واستخراج منافعها، ومعرفة الحكمة منها ومن خلقها، ودلالتها على صانعها وخالقها، ومدى تحقق صفات الجمال مما يعكس حكمة التقدير و دقة الإبداع، ويبرز كمال الصفات الإلهية. فالتفكر في خلق الله "هو العمود الفقري للإيمان الذي ينبثق عنه كل عمل خير"[1]

وتتجلى لنا الصياغة القرآنية للروح الإنسانية عبر مداخل التفكر في تكوين الصفات والأخلاق والرقائق التي تحيا بها الأرواح، وإستثارتها وإيقاظها إذا أُسدل عليها غطاء الغفلة، فالإحساس الذي يشعر به المتفكر وهو يجول في ملكوت الله سبحانه وتعالى، مستحضرا المعية الربانية والتسبيح الكوني لمخلوقات الله، يجعله يعيش حالة من الصفاء الذهني، والإشراق القلبي، تُفيض عليه من المعارف والمواهب الربانية، ما كتبه الله له، وتكون حاصلة هذه الرحلة اكتسابا لمفاهيم جديدة، ومعارف غير مسبوقة، تهيمن على روحه، وتصبغها بصبغة الإيمان، وتثمر أعمالا صالحة تملأ الأرض عدلا وصلاحا.

وأول ما يناله المؤمن من التفكر هو لهج اللسان بالشكر والذكر لما يشاهده ويحسه من آثار جلال الله في الكون وفي حياته، ليمتلأ القلب حياءً من الله سبحانه وتعالى، فكلما تمعن المتفكر في نعم الله عليه وأحس بفضل الله عليه، وتقصيره بجانب ما منحه الله وتعاظمت ذنوبه أمامه أحس بمدى غفلته، يقول الجنيد رحمه الله:" الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى

[1] مالك البدري ، التفكر من الشهود الى المشاهدة، مرجع سابق، ص 31

الحياء" [1]. ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:"وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان بربه في تتميمه وتكميله وإتقانه ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره فإن ذلك يوجب له الحياء لا محالة".[2]

ومن الصفات التي تنتج عن التفكر الخشية والخوف من الله تعالى فإدراكه لعظمة المُلك وبديع الصنع وجلال القدرة تجعل القلب يهتز خوفا وخشية لله تعالى، فهي ثمرة الإيمان وعلامة على لين القلب ونقاء السريرة، وغالبا ما تكون هذه المعرفة متعلقة بجلال الله تعالى، لهذا يقول تعالى في وصف المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[3].

فهنا يربط الله تعالى بين الخشية له وبين الإيمان بالآيات سواء الكونية أو القرآنية التي تجعلهم موحدين غير مشركين، يبيعون الدنيا في مقابل الآخرة والفوز في يوم المعاد، ما يجعل هذه الخشية والإيمان تنقلب سباقا في ميدان الأعمال الصالحة . وإلى هذه الخشية أشار القرآن في سورة الحشر يقول تعالى﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]، يقول الألوسي: وفي هذا "تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر ، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر ما فيه من القوارع وهو الذي لو أنزل على جبل وقد ركب فيه العقل لخشع وتصدع"[5].

---

[1] النووي، محيي الدين، شرح النووي على صحيح مسلم، دار حياء التراث، بيروت-لبنان، دط،دت ط، ج2، ص5.

[2] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص853 .

[3] سورة المؤمنون، الآية 57-61.

[4] سورة الحشر، الآية 21.

[5] تفسير روح المعاني، الألوسي، مصدر سابق، ج28، ص68.

فهو حث لاستشعار الخشية والخوف عند قراءة القرآن، وهذه الخشية لا تنبع إلا إذا أدرك الإنسان مكانة هذا القرآن وعظمة الخالق، ومن هذه الخشية تحدث التقوى، والتقوى هي عمل بطاعة الله خوفا من عقاب الله. فيصبح همّ الإنسان العمل الصالح بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ليستقيم سلوكه ويتحسن خلقه.

وكل هذا يشع في النفس يقينا بالله واطمئنانا بسلامة الطريق إليه، مع استصحاب المعية الإلهية، ويبعث فيه زهدا لملذات الدنيا، ويستنبت في قلبه بذور الذل والتواضع والرحمة والرقة والإنكسار بين يدي مولاه، ويحس حقارة نفسه بجانب خضوع مخلوقات الله له. مايعظم حب الله تعالى في قلبه، فيلهج لسانه بالشكر والثناء ويكثر الطاعات تقربا إليه، حتى لا يكون شيء أحب إليه في الوجود منه تعالى "فالأثر النوراني لهذا التفكُّر يعرقل عمل الشهوات في القلب ويدفع أهواءها على حسب قوة الوارد من أنوار التفكُّر؛ فتُسْلَب الشهوة من عاجل لذتها فما يتبقى منهـــــا ســـــوء عاقبتهـــــا[1]. لذا قال بِشْر الحافي: "لو تفكَّر الناس في عَظَمَة الله تعالى ما عصوه"[2].

وهذا بفضل عملية المداومة على التفكر، وهذا التغير السلوكي والأخلاقي للنفس البشرية بتأثير التفكر يؤكده علماء النفس فالتفكير التأملي لدى الأفراد "يساهم في تنمية: الاحساس بالمسؤولية- العقل المتفتح- والاخلاص، والفرد المتأمل أكثر قدرة على توجيه حياته، وأقل انسياقا للآخرين واستخدام التفكير التأملي لا يعني أن يكون لدينا فكر واضح ولكن أيضا إمتلاك السلوك الذكي" [3].

[1] محمد عادل، التفكُّر عبادة ربانية وضرورة دعوية، مقال من مجلة البيان على الانترنيت، 1430ه.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج2، ص185.

[3] محمد عبد الوهاب، فاطمة، فعالية استخدام بعض استراتيجيات ما وراء المعرفة في تحصيل الفيزياء وتنمية التفكير التأملي والاتجاه نحو استخدامها لدى طلاب الصف الثاني الثانوي الازهري، مجلة التربية العلمية ،القاهرة –مصر،ديسمبر 2005، المجلد الثامن،العدد الرابع ،ص 177

لذا يعتبر البدري التفكر وما يصاحبه من ذكر لله تعالى "هو العمود الفقري لتصور المسلم عن نفسه واستعداده بعد ذلك لتغيير سلوكه وعاداته، فبدون التغيير لا يمكن تعديل السلوك والعادات"[1] . وهذا يؤكد الترابط العجيب بين أفكار الإنسان وأخلاقه وسلوكه ودور التفكر فيه، الذي سبقه إليه الإمام ابن القيم حين قال: "فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد، فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له، وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها، وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله، وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه ...وكذلك إذا فكر في عواقب الأمور، وتجاوز فكرُه مباديَها وَضَعَها مواضِعَها، وعلم مراتبها. فإذا ورد عليه وارد الذنب والشهوة، فتجاوز فكرُه لَذَّتَه، وفَرَحَ النفسِ به إلى سوءِ عاقبتِه، وما يترتب عليه من الألم، والحزن الذي لا يُقاوِمُ تلك اللذةَ، والفرحةَ، ومن فكَّر في ذلك، فإنه لا يكاد يُقْدِم عليه"[2].

هذه الصفات النبيلة وغيرها تثمر في القلب حكمة تزين المتفكر، فلا تجد المتأمل في آلاء الله، والمتدبر للقضايا الأساسية في الحياة، ذا فكر سقيم أو رأي عديم، بل له من نفاذة البصر وسداد الرأي ما يوجه به حياته إلى بر الأمان، كونه يتعمق في أسرار الأمور، ويدرك بدايتها وغايتها، ويميز بين النافع والضار.

كما يعتبر التفكر طريقا للعمل، فلا معنى لإنسان يقضي ساعات يومه ينظر في ملكوت السموات والأرض، ويقلب بصره بين عوالم المخلوقات، دون أن يجعله هذا الأمر يشمر على ساعد الجدّ والعمل، والاجتهاد في التقرب إلى الله بالطاعات، وبالقيام بمسؤوليته تجاه هذا الكون في القيادة والتسيير على منهج الرسل الكرام بما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

[1] مالك البدري، التفكر من الشهود الى المشاهدة، مرجع سابق، 31.

[2] ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مصدر سابق، ج1،ص180.

وذكر التفكر في مضرب التمثيل لغرور الدنيا يوجه العقل إلى إدراك أسرار هذا المثل ومعرفة حقيقة الدنيا وتربية الزهد في النفس. إضافة إلى أن ربط التفكر بظاهرة الموت، يزرع في النفس حقيقة الأجل المسمى لكل نفس، فيهرع الإنسان للتزود بالطاعات، والعمل الحثيث للآخرة قصد النجاة فيها. يقول الشيخ المراغي في تفسير قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] يقول: "أي لتتفكروا في شؤونهما معا، فتجتمع لكم مصالح الروح والجسد وتكونوا أمة وسطا، لا كمن ظنوا أن الآخرة لا تنال إلا بترك الدنيا وإهمال منافعه فخسروها وخسروا الآخرة، إذ الدنيا مزرعة الآخرة، ولا كالذين انصرفوا إلى اللذات، ففسدت أخلاقهم، وأظلمت أرواحهم، وصاروا كالبهائم، وخسروا الآخرة والدنيا، وهذه الآية وما مثلها ترشد إلى أن الإسلام هاد إلى سعة الفكر واستعمال العقل في مصالح الدارين معا "[2]

ويزيدنا بيانا حجة الإسلام حين يوضح لنا بالمثال كيفية تغير أحوال القلوب والنفوس بمفاهيم الفكر:" فان الفكر يعرفنا أن الآخرة أولى بالإيثار، فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وهذا ما عنيناه بالحال، إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها ، والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها ".[3] وفي كل هذا زاد إيماني ورقي روحي، يعلو بالنفس المؤمنة المتفكرة إلى رحاب الآخرة فتنفلت من ربقة الحياة الدنيا، ليسمو بها عملها إلى الجنان .

والتفكر عموما فيه تهذيب للأخلاق وتليين لقسوة القلب وترويح عن النفس وزاد للعقل وحفظ للجوارح عن الحرام، وفي الخلوة يستشعر الإنسان مراقبة الله ويتذكر ذنوبه فيها فتحلو المناجاة وتعظم محاسبة النفس ومعاتبتها، وبهذا يتمكن المتفكر من تقوية إيمانه، وتحصين نفسه وسمو أخلاقه فتشرق أنوار المعرفة الإلهية في قلبه ويسير في مدارج السالكين إلى الله تعالى . ويصبح قادرا على الانسجام في توليفة التسبيح الكونية التي تتجلى في أسمى معانيها في اليقين القلبي برسالته، وإلمامه بزمام العلم والمعرفة، وحسن تسخيره وتسييره لهذا الكون.

[1] سورة البقرة، الآية 219

[2] تفسير المراغي، ج 2، ص147

[3] أبو حامد الغزالي، التفكر في خلق الله، مصدر سابق، ص 42

المطلب الثالث : معرفة السنن الإلهية في الكون :

يتمثل دور الإنسان في هذا الكون في القيام بأمره كخليفة لله فيه، وذلك بإعماره وبناءه والمحافظة عليه، عن طريق السعي الحثيث وطلب الأسباب المؤدية لتحقيق ذلك، وتسخير الكائنات ورعايتها، بقصد تحقيق الغاية الكبرى وهي إرضاء الله بإتباع المنهج الذي أنزله لنا بواسطة رسله، والذي فيه مفاتيح فهم الكون واستغلاله، لمن أعمل عقله واستخدم حسه وأيقظ قلبه، وأدرك سنن الله في هذا الكون، فهي سنن ضابطة "وقواعد هادية وقوانين ثابتة، ومن ثم فهو خلو من الجزاف والخبط والإعتباط "[1] قال تعالى﴿**سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾[2].

ومن الأهداف الأساسية التي وضعها القرآن الكريم لموضوع التفكر هو معرفة السنن الإلهية الكونية والإنسانية التي تقوم عليها المنظومة الكونية بشقيها الخاص بمجال الآفاق أو ما يخص النفس البشرية، "ذلك أن حوادث الكون خاضعة لسنن وقوانين سنها الله تعالى وفق أقدار قدرها ...ليبحث الإنسان عن سنن الله في الأمم السابقة مما يجعل تفكيره سليما مبنيا على قانون ثابت"[3]، وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تبحث في السنن وتدعو الإنسان للوقوف عندها والتأمل فيها ودراستها لاستبيانها أكثر."فالقرآن ضم قواعد الوحي الإلهي الذي جاء به المرسلون كافة، والكون مجال كلمات الله ومظهر إرادته ومشيئته، والإنسان مستخلف للاهتداء بالوحي في إعمار الكون، وبذلك تكتمل حلقات التصور الإنساني وتظهر سائر مقوماته، وتبرز علاقة الغيب بالطبيعة والإنسان "[4]

وقد بين الله أن وسيلة التعرف على هذه السنن وطريقة اكتشافها هو النظر العميق في عواقب الأمور، والتدبر في الآثار وما بقي من دلائل وآثار الأقوام السابقة، وهذا لا يتأتى إلا بالسير المعتمد على النظر العقلي، قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ** ﴾[5]. وفي هذا إقرار بوجود مثل هذه السنن، وحث على معرفتها والاعتبار بها

[1] الشرقاوي، محمد عبد الله، الإسلام والنظر في الآيات الكونية، مطابع رابطة العالم الاسلام، مكة المكرمة–السعودية،دط،دت ط، ص 127

[2] سورة الفتح، الآية 23.

[3] النحلاوي، التربية بالآيات، مرجع سابق، ص53.

[4] طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين، مرجع سابق، ص 58.

[5] سورة آل عمران، الآية 137.

وتوظيفها في البناء الحضاري. لذلك كثر في القرآن الكريم الدعوة إلى السير في الأرض والنظر في عواقب الأمم السابقة لمعرفة سنن الله في قيام الحضارات وسقوطها ونتائج أعمال الإنسان ، وهي دعوة إلى إدراك حقيقة هذه الحياة وروابطها على مدار الزمان، ووحدتها من حيث المنشأ والمصير و إكتشاف العلائق الحاكمة لها منذ خلق البشرية "كي لا ينعزل جيل من الناس بنفسه وحياته، وقيمه وتصوراته، ويغفل عن الصلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعاً، وعن وحدة السنة التي تحكم هذه الأجيال جميعاً، ووحدة القيم الثابتة في حياة الأجيال جميعاً"[1]

ومعرفة هذه السنن يجعل الإنسان يفهم سر هذه الحياة، ويمسك بزمام الأمور فيها ويفقه قوانينها، ويساعده على فهم ظواهرها وتسخيرها لتلبية حاجاته وتيسير حياته، كما يعرفه على نتاج أعماله إن خالف هذه السنن وعمل على الاستبداد والظلم وإثارة الفساد، فتسري عليه سنة الله بالهلاك والعقاب في الدنيا والآخرة، وإن أحسن وعمل على الإصلاح والتعمير، كانت سنة النصر والتوفيق للتقدم مصيره، وكتب له النجاح في امتحاني الدنيا والآخرة.

وقد أودع الله في الإنسان استعدادات و إمكانيات تمكنه من معرفة هذه السنن والتصرف في الكون على ضوئها، ويمكن أن يصل إليها عن طريق المشاهدة الحسية، والاستقراء العلمي والتاريخي لأسبابها وحقائقها، وربطها بالعقيدة لتقريبه من خالقه، وبيان أهميتها في دنياه وأخراه. لأن النظر في الكون دليل لمعرفة سنن الله في الكون، والتي هي في حد ذاتها دليل على معرفة الله الواحد.

وما يعين الإنسان في اكتشاف هذه السنن هو تميزها: بالإطراد، الثبات، الإستمرارية والشمول. وفي هذا يقول ابن تيمية "ولولا القياس واطراد فعله وسننه لم يصح الاعتبار بها، لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره، كالأمثال المضروبة في القرآن"[2].

والمؤمنون مطالبون بالتنقيب عن هذه السنن واكتشافها، ليتبين لهم النظام الدقيق الذي يحكم هذا الكون، ويستخلصوا الحكم والعبر من الوقائع والأحداث، لأن سنن الله مترابطة ومتماسكة برباط محكم تبرز فيه الحكمة والإبداع، وتتميز بالنظام والثبات، قد تنحرف العقول عند التفكر فيها

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج 5، ج 21، ص2760.

[2] ابن تيمية، جامع الرسائل والمسائل، تح: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض-السعودية، 2001م، ج1، ص55.

بسلوك المنهج الخاطئ، فالسنن الإلهية تكون بمثابة المقوّم لإعوجاج الإنسان في السير في طريقه إلى الدار الآخرة.كما أنها قوى أساسية تساعد الإنسان في عمله. وسنن الله في خلقه كثيرة، ربط الله منها عدة سنن بموضوع التفكر، وجعله أساسا للوصول إلى معرفتها، وبيان حقيقتها، من هذه السنن:

الفرع الأول: السنن الطبيعية في الكون

يعرض الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من القرآن الظواهر الكونية وكيفية عملها، ففي آية يونس 24 يشبِّه الله الحياة الدنيا بالنبات، وذلك في دورة حياته وسنة الله في حياته. وفي سورة الرعد ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل إنعامه على الإنسان فقد خلق له الأرض ممدودة مبسوطة ليسهل عليه السير فيها، واستغلالها والزراعة فيها، وجعل في باطنها المعادن التي يحتاجها الإنسان في حياته، وقربها إليه ليسهل عليه استخراجها، فلو فرضنا أن الأرض كانت كلها جبالا لما كان فيها تسخير للإنسان، فالمد والبسط سنة الله في الأرض، وإن كان هذا لا ينفي كرويتها في الشكل العام، هذه الكروية في حد ذاتها هي سبب في دورانها حول نفسها ما يحدث تعاقب الليل والنهار، وسبب في دورانها حول الشمس ما يحدث اختلاف الفصول، وفي كل هذا منافع للناس.

وثبت قشرة الأرض بالجبال الرواسي وجعلها كالأوتاد لها، وشق خلالها الأنهار، ومن الأرض والأنهار يكون النبات والثمار، وهي سنة جارية في الكون ذكرت وتكررت في القرآن كثيرا للتنبيه عليها، ومعرفة التعامل معها والإستفادة منها في طلب الرزق.

وتنويع النبات وجعله يتكاثر بالتزاوج يلفت نظر الإنسان إلى كيفية الزراعة والإستثمار وتوفير المتطلبات الأساسية لحياة الإنسان، مع ذكر العوامل المساهمة في الإنبات من أن أرض وماء وشمس وفي هذا بيان لسنة الله في إنشاء ونمو عالم النبات. وجعل سبحانه وتعالى النباتات ثابتة في الأرض لأن الإنسان لا يستطيع الإستغناء عنها فهي غذاء أساسي، ولو جعلها متحركة كالحيوان لشق عليه الحصول عليها، لكن جعل غذاءه جزءان أحدهما مضمون ثابت سهل المنال، وجزء متحرك يتمثل في الحيوان وسخر له الوسائل المساعدة للتمكن منه .

كما نبه سبحانه وتعالى إلى سنة تعاقب الليل والنهار، فهي لا يمكن أن تتغير إلا بحلول يوم القيامة، فهي آيات عظيمة تنظم الكون وحياة الإنسان، لا يدركها إلا الذين يتفكرون فيه.

وفي آية النحل بين الله هدايته لعالم الحيوان وسنته فيه، وكيف تسعى هذه الحشرات الصغيرة في الأرض بهداية الله وتحصل على رزقها فتستفيد وتفيد معها البشر ، وهي سنة الله في الأرض فكل مخلوق مقدر له في هذه الأرض أن يأخذ منها ويعيد لها، في دورة لحياة الكائنات سنّها الله تعالى.

فقد جعل الله سبحانه وتعالى النظام الكوني على أساس قوانين دقيقة لا يمكن أن تنفصم أو أن تختلف حتى لو مرت عليها ملايين السنين.

الفرع الثاني: سنة الزوجية

يبين الله سبحانه وتعالى هذه السنة في كثير من الآيات، يقول جل جلاله ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1]. فالتناسل والتوالد والنمو بين الكائنات لا يكون إلا بزوجين متكاملين، وعادة ما يكونان من نفس الجنس، ليحدث التآلف والإنسجام بينهما وتستقر الحياة، وهي سنة تحكم الكون بكل ما فيه من جمادات وكائنات، ففي عالم النبات يقول تعالى ﴿**وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ**﴾[2] يقول الرازي: "المراد بزوجين اثنين، صنفين اثنين والاختلاف إما من حيث الطعم كالحلو والحامض أو الطبيعة كالحار والبارد أو اللون كالأبيض والأسود"[3]، والعلم الحديث اكتشف أن النباتات هي أيضا تتزاوج، ففي كل نبتة أوجد الله سبحانه وتعالى أعضاء التكاثر الذكرية

[1] سورة الذاريات، الآية 49.

[2] سورة الرعد، الآية 03

[3] تفسير الرازي، مصدر سابق، ج19، ص05.

والأنثوية وبفعل قوة الريح أو انتقال الحشرات على النبتة أو على النباتات التي تحمل بذور الطلع يحدث هذا التزاوج.

و في عالم الحيوان يقول تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾[1]. يختار ابن عاشور أن ﴿ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾[2]. يُتوقف فيها عند الثمرات وتستأنف معنى آخر يشير إلى سنة الزوجية في الحيوان حيث يقول: "والظاهر أن جملة جعل فيها زوجين مستأنفة للاهتمام بهذا الجنس من المخلوقات وهو جنس الحيوان المخلوق صنفين ذكراً وأنثى أحدهما زوج مع الآخر"[3]. وهو معلوم وظاهر في حياة هذه الكائنات.

وفي عالم البشر يجعلها الله سبحانه وتعالى من أعظم الآيات، بحيث ربطها بآية الخلق والوجود قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] وفي هذا امتنان من الله على الإنسان بهذه النعمة .فهذه الزوجية تمنح الإنسان سواء الذكر أو الأنثى السكن والمودة والرحمة ، وهي عناصر الإستقرار والإستمرار على الأرض.

كما أن هذه السنة هي أساس عالم الجماد فالذرة أصغر ما في هذا الكون يتكون من زوجين بروتون ونيترون، حتى الكهرباء الغير مرئية تتكون من شحنتين موجبة وأخرى سالبة.

لذا وجب على الإنسان أن يعرف هذه الحقيقة ، ويتعامل في ظلالها مع الأمور والظواهر، ومن بديع حكمة المولى أنه جعل أزواج الأشياء من نفس جنسها، ومتقاربة الخصائص، وركب ذلك في المخلوقات، فترى كل نوع يميل ويسكن إلى بني جنسه ومثيله.

---

[11] سورة الشورى، الآية 11

[2] سورة الرعد، الآية 3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج13، ص83،84.

[4] سورة الروم، الآية 20-21.

الفرع الثالث: سنة الحياة والموت

وهي سنة تأسر النفس البشرية، وتجعلها تحاط بإطار زمني مغلق، يبدأ في لحظة معينة، وينتهي إلى أجل مسمى، تنحصر فيه أعمال الإنسان وأقواله وتصرفاته، وهي دليل على حكمة التدبير وحسن التنظيم والقدرة العظيمة لخالقه، لا ترتبط بالحياة البشرية فقط بل يخضع لها الكون بأسره بكل ما فيه، يسير إلى أجله الذي قدره له خالقه ، وفي هذا يقول تعالى عن سرعة زوال هذه الدنيا : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وهو أبلغ تشبيه في أوجز عبارة لحقيقة الوجود الإنساني على هذه الأرض، فمدة الحياة على هذه الأرض مذ بدء الخليقة لا تتجاوز في حقيقتها مدة نمو النبات وحصاده ، فما بالك بحياة الفرد الواحد عليها. وهو مثل يحفل بالتوجيه والتنبيه إلى عدم الركون إلى هذه الدنيا، ويحذر من الانحدار إلى شهواتها حتى تأتي لحظة النهاية ولا ينفع حينها الندم. وفيه إشارة واضحة إلى انتهاء هذه الحياة وفنائها .فالتفكر في هذه السنة يقودنا إلى الإيمان بحقيقة غيبية، تدلنا عليها سنن أخرى ظاهرة للعيان في هذه الحياة، تحدث على مستويين يقودان إلى مستوى ثالث "فالمستوى الأول يتمثل في إحياء الأرض بعد موتها، أو موتها بعد حياتها، فتكون الأرض مخضرة في الربيع، ثم يأتي الخريف فتكون حصيدا. والمستوى الثاني تحقق في أهل القرى، فكم من قرية كانت عامرة بأهلها، تزدهر فيها الحياة بكل مظاهر الزينة من أنهار وزروع وثمار...ثم أصبحت بعد ذلك خرابا بما كسبت أيديهم...فالمستوى الأول يشير إلى نهاية الحياة الدنيا. والمستوى الثاني يشير إلى نهاية الأمم

[1] سورة يونس، الآية 24.

والمجتمعات. ويكون المستوى الثالث هلاك كل شيء، فعلم أن لا خلود في هذه الحياة. وهذا مدعاة إلى التفكير الجدي بمصير الإنسان، ومصير الحياة "[1].

وفي سورة الزمر يأتي الحديث على سنة الموت بالموازاة مع ظاهرة النوم في قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [2] ، ومن هذه الآية يمكن للمتفكر أن يوازن بين هاتين الظاهرتين من حيث كونهما دليلا على توقف الحياة والإنتقال إلى عالم آخر غير هذه الحياة. فالنوم يشبه الموت في انقطاع الإدراك والإحساس والتصرف، فالله تعالى يبين أنه "بقدرته وحدها يقبض أرواح مخلوقاته حين انتهاء آجالها بأن يقطع تعلقها بالأجسام قطعا كليا، ويسلب هذه الأجسام والأبدان ما به قوام حياتها، بأن تصير أجساما هامدة لا إدراك لها. ولا حركة فيها ...يسلب الحياة عن الأنفس التي انتهى أجلها سلبا ظاهرا وباطنا، ويسلب الحياة عنها سلبا ظاهرا فقط في حال نومها، إذ أنها في حالة النوم تشبه الموتى من حيث عدم التمييز والتصرف "[3].

لذا ربط القرآن موضوع التفكر في النفس والكون بموضوع الأجل في قوله تعالى﴿ **أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ**﴾[4]. فلو تدبر الإنسان في نفسه وحالها إلى زوال ، ولونظر بعين الفكر في مصير كل كائن حي وغيره لوجد أنه لابد من الإنتهاء إلى وقت ليجازى فيه على اعماله الصالحة والطالحة . كما أن التفكر في النظام الكوني يغرس في الإنسان اليقين أن الذي خلق هذه الآفاق ومن

[1] زياد الدغامين، منهج القرآن في صياغة تفكير الإنسان، مرجع سابق، ص 206

[2] سورة الزمر ، الآية 42.

[3] سيد طنطاوي، الوسيط ، مصدر سابق، ج12،ص228.

[4] سورة الروم، الآية 08

عليها من عدم وأبدعها ونوعها وبث فيها الإختلاف آية، لقادر على أن يميتهم ثم يحييهم من جديد، وماذلك عليه بعزيز.

إذن سنة الحياة والموت هي سنة كتبت على كل من في الأرض فمامن شيء حي إلا وله نهاية قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[1]

الفرع الرابع: سنة التسخير

وهي من السنن التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، يعلّم بها البشر طرق التعامل مع الكون والإستفادة فكل هذه العوالم التي هي أكبر من الإنسان حجما هي مذللة لهذا المخلوق الضعيف قصد تسهيل خلافته على الأرض رحمة وفضلا من عند الخالق. وهذا التسخير لا يكون إلا بالتعرف على خواص الأشياء وحقائقها باستعمال وسائل الإدراك والحس، فيتم الاستفادة منها.

وتحكم سنة التسخير النظام الكوني بطريقة منظمة وثابتة لا انفلات فيها، تسمح بالتفاعل الإيجابي للإنسان معها، لكن القرآن "يضبط صيغ التعامل بين الطرفين بقيم ومباديء واعراف تحقق اقصى درجات التكشف والابداع .. وتنشيء اكثر الصيغ الحضارية ملائمة لطموح الانسان واخلاقيته ومكانته في الكون"[2]. لأن التسخير هو قهر للمخلوقات وإرغامها على القوانين الكونية التي ركبها فيها الله. لذا حث القرآن على البحث في دقائق المخلوقات وخصائصها، واستكشاف مكامن الخير والنفع فيها. وذلك بالتعمق الدقيق في تفاصيلها وحقائقها التي لا تتبدى إلا بعد التفكر فيها.

كما حاول القرآن أن يضع الإنسان على هذه الطريق من خلال فتح بصره على بعض طرق الإنتفاع بهذه الكائنات، فهو يضرب لنا مثلا للتفكر في كائن صغير لا يكاد الإنسان يولي له شأنا، لكن فائدته كبيرة بالنسبة له، وهو آية النحل، فقد خصها الله بسورة كاملة في محكم تنزيله، مبينا لنا طريقة عيشها وعملها وفائدها، وفي هذا يقول الإمام السعدي [3]: "في خلق هذه النحلة الصغيرة،

[1] سورة الرحمن، الآية 26 ،27.

[2] أبو سليمان، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، الرياض، 2008م، ص21

[3] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص444.

التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه".

فسنة التسخير قانون إلهي وضعه في يد الإنسان ليسهل به مهمته على الأرض فيجب على الإنسان أن يعرف كيف يستغله ويصل به إلى إرضاء مولاه.

الفرع الخامس: سنة الهداية والضلال

هي سنة جارية على الإنسان منذ أن خلقه الله و قدر عليه الحياة والعمل، فأهل الجنة هم أهل الهداية العاملون المجدّون المخلصون، وأهل النار هم أهل الضلال والغواية والكفر. والهداية سنة بيد الله تعالى يقول جل في علاه﴿ **ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ**﴾[1].

وقد وردت سنة الهداية والضلال في موضوع التفكر في آية الأعراف التي جاءت في معرض الذم للذين كفروا وكذبوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، بالرغم من الحجج الدامغة والدلائل الباهرة التي جاءهم بها وتم تشبيههم بمثل العارف بآيات الله الذي آتاه الله علما واسعا كان سبيل هدايته لو أراد ذلك العارف، لكن نفسه أبت إلا الركون إلى دار الفناء، فكان عمله مخالفا تمام المخالفة لعلمه فسلبه الله ذلك العلم وكتب عليه الضلال في الدنيا والآخرة. يقول الألوسي: "وما ألطف نسبة إتيان الآيات والرفع إليه – تعالى – ونسبة الانسلاخ والإخلاد إلى العبد ، مع أن الكل من الله – تعالى – إذ فيه من تعليم العباد حسن الأدب ما فيه"[2].

وفي هذه الآيات ترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من اللّه لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من إلقاء الآيات وراء ظهره، ففيه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، واتباع الهوى، وإخلاد العبد إلى الشهوات، ما يكون سببا له في الخذلان.

[1] سورة الزمر، الآية 23

[2] الألوسي،تفسير روح المعاني، مصدر سابق، ج9، ص114.

هذه الهداية كتبها الله حتى على الحيوانات في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾[1] .فقد هداها بارئها إلى صنع بيوتها واختيار أماكنها والأكل من كل الثمار ثم صنع العسل المصفى، وما كان لها ذلك وهي التي لا تملك عقلا تفكر به وقوتها لا تقاس أبدا.

الفرع السادس: سنة الإبتلاء

ومن سنن الله على البشر سنة الابتلاء، وهي سنة كتبها الله ليتميز بها الصالح عن الطالح، ويتباين منهج الحق عن مناهج الباطل، فتكون الدنيا هي دار الإبتلاء، بما تحمله في أحشائها من مغريات وشهوات وملذات تغري بها الطامعين، لتكون حجة لمن انحط وغفل عن الغاية الكبرى وتقوم الحجة على من اتبع النهج السوي وأمسك نفسه عن الهوى.

والتفكر في سنة الابتلاء وارد في قصة المثل الذي ضربه الله تعالى للمنفق المرائي الذي ابتلاه الله في جنته التي كانت عامرة وذات زينة وبهجة، وله ذرية ضعيفة يعولها، لكنه اغتر واستكبر، ونسي حق الله، فما كان إلا أن جرت عليه سنة الله بالإبتلاء، لينتبه من نوم الغفلة. ويعود إلى الصراط المستقيم.

كما أنه سنة الله على رسله عند تبليغ دعوتهم، فمن ابتلاء النبي صلى الله عليه وسلم وصمه بالجنون والكذب، وفي هذا تسلية للدعاة على طريق دعوتهم وحث لهم على الصبر والتقوى، فالإبتلاء في الدنيا هو محبة من الله لعباده قصد تنبيههم إلى غفلتهم وتقصيرهم وكثرة أخطائهم، وزيادة حسناتهم، ورفع درجاتهم في الجنة.

[1] سورة النحل، الآية 69.

ومن مجموع هذه السنن نتبين أن في الكون نواميس أخرى، حريّ بالعقل أن يبحث عنها ويفهمها ويوظفها، لتسهيل الحياة وخدمة الرسالة الربانية، وأن يتفكر فيها وفي معانيها قصد ادراك حقيقة وجوده على الأرض.

المطلب الرابع : إدراك مقاصد الوحي

إن من أهداف التفكر العامة والتي جاءت في رحاب آياته بيان مقاصد الحياة لكثير من الناس الذين يجهلونها وذلك عن طريق إنزال الوحي وهداية البشر. ودعوة القرآن لإستكشاف هذه المقاصد بغرض تسهيل فهم الحياة لهم وإدراك سر خلقهم ووجودهم، وبيان مهمتهم والطريق المستقيم الذي يجب أن يسيروا عليه.

وبما أن التفكر من العمليات الراقية في العقل البشري، كان لابد أن تتصل مواضيعه بإدراك حكمة الحياة وكشف مقاصد الشرع، لذا جاءت آياته واضحة في هذا المعنى مؤيدة له، عن طريق عرض مشاهد الكون والإستدلال بها عن عدم عبثية الخلق، ومن ثَمّ هي تنبيه للإنسان إلى أنه الراعي المستخلف لشؤون الكون بهدف القيام بأمور الرسالة الموكلة إليه.

فبعد تحقق الأهداف السابقة لموضوع التفكر من معرفة الإنسان لخالق الكون والإيمان به ثم طاعة أوامره واجتناب نواهيه، مرورا بتزكيه نفسه وتهذيبها ثم إحاطته بالسنن والنواميس الكونية، يبدأ عمله على هذه الأرض من خلال القيام بالمهمة التي من أجلها أرسل إلى الأرض، وهي تحقيق العبودية لله تعالى عن طريق حسن الإستخلاف في الأرض. قال تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]. هذه الأمانة الإستخلافية التي قبلها الإنسان بالرغم من الضعف الكائن فيه، بعد إباء من هو أعظم منه في ميزان الوجود من سموات وأرض وجبال على حملها، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[2]. وللقيام بأعباء هذه الأمانة كرمه الله تعالى بأن جعل حواسه المختلفة نوافذه على عالمه الخارجي، وميزه بالعقل عن سائر المخلوقات، وجعل لعقله سلطانًا على قِوى نفسِه وركّب فيه المشاعر ليطل بها على نفسه الداخلية، وهداه بنور الوحي الرباني وبعث اليه

[1] سورة البقرة، الآية 30.

[2] سورة الأحزاب، الآية 72

الرسل، كل هذه الوسائل لينهض بهذه المسؤولية الثقيلة ويقوم بها على أكمل وجه. فيتحقق معنى العبودية التامة لله تعالى وإن كان جل وعلا غنيا عن هذه العبادة، قال تعالى: ﴿**وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾[1].

فقد خلق الله الملائكة فقط لأداء هذه المهمة –طاعة تامة بلا معصية– بخلاف بني البشر، ما يعني أن حقيقة هذه العبادة هو حاجة الإنسان لها، للفوز في إمتحان الدارين بحمل أمانة الإستخلاف والإصلاح على الأرض، ودخول الجنة في الآخرة، فهذه الحياة وهذه المهمة كلها تصب لصالح الإنسان.

هي رسالة ألَمَّ بها أرباب العقول﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾[2] فسمت أرواحهم بعبير الذكر، وتغذت عقولهم برحيق الفكر، فأدركوا حكمة الخلق ورسالة الوجود، واعترفوا بالحق، وفهموا أن هذه الحياة ما هي إلا دار اختبار لطاقة الإنسان على حمل الأمانة والقيام بتبعاتها، وأن كل ما في الكون شاهد على هذه الحقيقة، ثم يكون اللقاء يوم القيامة ليحاسَبوا على أداء الرسالة ويجازوا إما إلى الجنة أو إلى النار.

ومن إدراك هذه الحقيقة ينطلق المسلم بهذه المعرفة اليقينية، ويقابل عوالم الكون ويتعامل معها مراعيا مبادئ وسنن النظام الكوني لتحقيق مصالحه العليا على الصعيد الانساني والحضاري وفق سياسة التوافق والإنسجام، قال تعالى ﴿ **وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا** ﴾[3].وهي علاقة تكريم تتجسد فيها سيادة الانسان ومحوريته، وتظهر مسؤوليته الواعية تجاه نفسه وتجاه ما يحيط به عن طريق التفاعل الإيجابي معه. هذه المكانة ناتجة عن إمتلاكه مفاتيح معرفة الكون، والوسائل والأدوات التي تجعله يحسن التحكم به.

[1] سورة العنكبوت الآية 6.

[2] سورة آل عمران، الآية 191.

[3] سورة الإسراء، الآية: 70

هذه النظرة للكون والحياة هي جوهر التصور الإسلامي المخالف للنظريات الغربية التي تدفع بالإنسان للدخول في صراع مع الطبيعة للسيطرة على قواها ومن ثم تسخيرها لخدمة أهدافه وتحقيق مصالحه، أما قمة العلاقة في الإسلام فتنشأ عن طريق الرحمة بالمخلوقات والإحساس بدورها ومكانتها في المنظومة الكونية، والإستثمار الإيجابي لها، ما يكسب الإنسان فيها وحدة مع هذا الوجود وتناغما مع تسبيحاته لأنهما خلقا من أجل هدف واحد هو تحقيق العبودية الكاملة للخالق الواحد.

ومن فهم هذه الرسالة استطاع أن يجمع بين مرتكزات الحضارة الإنسانية؛ التي تقوم على الإيمان بالله، العلم النافع، والعمل الصالح، وهي منظومة لا يمكن الفصل بين ركائزها وإلا حدث اختلال في التوازن الحضاري، وانتشر الضلال والفساد وكثر الشر، حينها لابد أن يحدث الركود الحضاري، وتتوقف عجلة الرقي والتطور، ما ينبئ عن سقوط الحضارة، ولنا في حضارات الأمم السابقة عبرة، أين تزعزعت ركيزة الايمان بالله، ما عجّل بسقوط أمم كانت قد عمرت الأرض وآثارها شاهدة عليها إلى يومنا هذا، لكننا نجد في المقابل أن الحضارة الاسلامية لم تسقط ذلك السقوط المريع لباقي الحضارات ، كونها ما تزال تحمل بذور قيامها في جنباتها، وإن فصلنا أكثر نجد أن القاعدة الصلبة التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية هي الإيمان بالله، وهي قاعدة ما زالت صلبة عند المسلمين إلى يومنا هذا، لكن تخاذلهم عن إكتساب العلم النافع ، وتضييع أسباب العمل الصالح هو ما أدى إلى أفول نجمهم وتأخر ركبهم.

ولأن حل الأزمة وزمام الأمر في ايقاظ العقل ودعوته للتفكر، لم يهمل القرآن دور الفكر في هذه التربية، فقد اعتنى بمواءمة فكر الإنسان مع دوره المنوط به، من خلال فتح باب التفكر والتأمل على الكون على مصرعيه، فكانت آياته دعوة لاستثمار طاقة العقل فيما يفيد بني البشر بضوابط محددة. تغاير في أهدافها ووسائلها السياحة العقلية التي يدعو اليها الفكر الغربي اليوم، أو ما يسمى التأمل الإرتقائي الذي لا تجاوز نتائجه حدود النفس البشرية –هذا إذا تحقق ذلك– دون أن ينعكس على الواقع والمجتمع.

وما الوضع المتردي الذي تمر بها الأمة الإسلامية في هذا العصر إلا وجه من وجوه الـــتأزم الفكري وعدم وجود منهجية لتقويم مفاهيم الحضارة وتصحيح النظر إلى دور الإنسان في هذه الحياة، كل هذا ناتج عن عدم فقه التكامل الوحيي الفكري لرسالة الإسلام، ما أدى إلى اختلال الموازنة بين جانب الروح وجانب الفكرـــ لذا تبدو حاجة الإنسان الملحة إلى توفر تربية شمولية منظومية"، تربط بين الإيمان والأخلاق الفاضلة، والعلم الصحيح والعمل الصالح .وإن هذه العناصر الأربعة للتربية ينبغي أن تصبح متلازمة متماسكة إذا شئنا سعادة البشر أفرادًا وجماعات، ونجاة الإنسانية مما يحيط بها من شرور وأخطار"[1] وهي التربية التي غرسها القرآن في نفوس الجيل الأول فأثمرت، قال تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[2]، وستثمر في أي وقت متى وجدت تربة النفوس مهيئة لتنهل من معينه .

وركز القرآن على الإرتباط الوثيق بين العقل والوحي وتكاملهما في البناء الحضاري فأمر العقل بالبحث في أرجاء الكون مسترشدا بهدي الوحي، كاشفا عن سر الخلق والخالق، فالوحي يتبدى في كتاب الله وسنة رسوله وهما باب النجاة، ومفتاح هذا الباب نور الفكر الصحيح، هذه الثنائية تجعل البناء الحضاري بناءً حصينا ومتينا، وهذا التكامل هو الذي كان الدعامة القوية لتحفيز المسلمين للبحث في أسرار هذا النظام الكوني، وتفعيل هذا البحث في إرساء سفينة الإستخلاف. لتبنى حضارة استمرت عدة قرون.

لذا وجب على المتفكر وهو يجول في رحاب الكون أن يستأنس بنور الوحي الذي يمده بحقيقة الأشياء ويكشف الغطاء عنها، فيقوم عقله بسبر أغوارها والتأمل فيها، كما أن الوحي يبصر العقل بأمور الغيب التي لا طاقة له بها، وتوجيهه للسير في هذه الحياة وتوضيح مهمته فيها ومن ثمّ تزويده بطاقة إيمانية ومعرفية يحتاجها في الطريق، فآيات الله المنصوصة في الكتاب هي المدخل الصحيح للعلم بطبيعة الكون

[1] الجمالي، محمد فاضل، نحو تربية مؤمنة، الشركة التونسية للتوزيع – تونس،دط، 1977م،ص5 .
[2] سورة العصر، الآية 01-03.

وسنته ونظامه الخاص وبالتالي اكتناه أسراره وخفاياه ، فآيات الله في الكون وآياته في الكتاب تبدوان في الوحي القرآني متساوقتان بل ومتناسبتان تمام التناسب"[1].

فدعوة القرآن للتفكر لإستبيان مقاصد الوحي جلية في آياته، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] ..بمعنى: "وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم، لتبين للناس...لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك "[3].

كما أن هذا القرآن يحمل من الأوامر والنواهي، والمواعظ والزواجر والحكم والأمثال، ما يملأ قلب الإنسان خشوعا وتذللا لكلام الله ومن ثمّ لله تعالى. تعجز الجبال الرواسي على حمله، وفيه بيان مفصل لكل شؤون البشر وعلاقاتهم بمن حولهم، حوى معاني كتب التشريع والقانون والعلوم والفنون والآداب في أسلوب رقيق دقيق يأخذ بالألباب.

وتربية النفس على إحترام هذا القرآن وإعلاء شأنه في النفس مبدأ عظيم حرص القرآن على زرعه في نفوس المؤمنين، لينعكس نوره على حياتهم ويعلو شأنه فيهم ويحكموه بينهم فيصبح الدستور الأوحد عندهم.

كما أن من مقاصد الوحي بيان وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم فما هو إلا تابع لما يوحى له. فبالتفكر الصادق يتبين أن الرسول لا يملك صفات الإله ولا خصائص الملائكة، فهو بشر يتبع ما يأتيه به أمين الوحي جبريل عليه السلام﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيۤ إِلَيْهِمْ﴾[4]. وليس لديه أي قدرة في تغيير شيء أوآية إلا بإذن الله تعالى.كما أن مهمته انذار الكفار لما ينتظرهم من عقاب شديد نتيجة عدم اتباعهم للحق وعملهم به، وارتباط الإنذار بآيات التفكر ليثير في القلب الخوف والرهبة ومحاسبة النفس على أعمالها والإستعداد ليوم الجزاء.

[1] محمد صالح، محمد مجذوب، أصول المنهج العلمي في القرآن، جامعة الجزيرة، معهد المعرفة، ط1 ،2007م، ص131

[2] سورة النحل، الآية .44

[3] الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج17، ص207.

[4] سورة النحل، الآية 44.

وخلاصة لهذا الفصل نتبين أن معرفة الله وتوحيده هي أشرف المعارف وأعلاها، وهذه المعرفة التوحيدية تتم عبر النظر في مجالات التفكر المتعددة، ليحصل الإيمان بالله خالقا واحدا وربا مبدعا، ينفرد بكل صفات الجمال والجلال، ويركز المتفكر جهده على إصلاح نفسه من خلال إكسابها صفات الروحية العليا ما يجعله يسمو روحيا وسلوكيا، ليتمكن بعدها من معرفة قوانين الكون وفهم سننه ونواميسه بما يسهل عليه مهمة الإستخلاف وتفهم مقاصد الحياة والوحي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

في ختام هذا الدراسة وبعد تتبع آيات التفكر في القرآن الحكيم خلص البحث إلى مجموعة نقاط أجملها في ما يأتي:

- يحتل موضوع التفكر مكانة عالية في القرآن الكريم، لكونه يتربع على قمة هرم العمليات العقلية، فهو يجمع في ميدانه كل العمليات العقلية، كالتدبر، التفقه، الاعتبار، النظر...ويوحد بينها في منهج فريد. وهي كلها ملكات تساهم في تكوين المعلومات والأدلة التي يحتاجها العقل للتفكر، فالتفكر يعتبر خلاصة عمل العقل، ما جعل القرآن يحتفي بذكره ويبرزه كعملية عقلية أساسية لفهم قضايا الكون والحياة والإنسان.
- يعتبر التفكر عملية عقلية تعمل على استثمار المعارف المختلفة لتكون منها دلائل لقضايا أخرى، هدفها التوصل إلى حقائق الأمور بالنظر في وقائعها والاعتبار بنتائجها.
- تعددت سياقات القرآن في موضوع التفكر، مع ملاحظة التركيز المكثف على استعماله في عدد من القضايا، فتنوعت أساليب القرآن البلاغية في الحث عليه كالتقريع والتوبيخ للعقول الخاملة والمقلدة، وسرد قصص السابقين من المتفكرين أو الغافلين ترغيبا في اعمال العقل، كما استعمل القرآن الكريم منهج ضرب الأمثال لما فيها من ابراز للمعاني في أوجز عبارة وأبلغ معنى، كما أن أسلوب المدح ونصب القدوة فيه تحفيز للنفس البشرية لسلوك طريق المتفكرين، أما الأسلوب الذي تميزت به عملية التفكر فهو الجمع بين العقل والوجدان في مزاوجة عقلية قلبية تأخذ بيد الإنسان إلى رحاب الايمان، كما تنوع الحث على التفكر في القرآن من خلال عرض مخلوقات الله ونعمه، كل هذا بما يوافق فطرة الإنسان، ويحرك مشاعره ويستحث عقله لتفعيل التفكر.
- انضبط التفكر في القرآن بآداب أهمها تجنب التفكر في ذات الله، لقصور العقل عن الاحاطة به سبحانه وتعالى ، ولأنه لا يفيد الانسان في القيام بمهمته، فالمهم معرفته تعالى من خلال مخلوقاته وصفاته وأسمائه، ولأن التفكر عملية عقلية فهو لا يتناول الغيبيات، وينظر إلى

الوجود نظرة واقعية بعيدة عن السطحية، ويربط حياة الإنسان الدنيوية بمصيره الأخروي، كما يتمسك بالموضوعية سلاحا يواجه به سطوة العادات والتقاليد والمؤثرات البيئية، ويقمع به أهواء النفس وشهواتها. ويزلزل به كِبر النفس وغرورها فيرفع عنها حجاب الغفلة والتيه ويقودها إلى التفكر السليم من خلال حسن التقدير للأمور ووزنها بميزان العدل والحق عن طريق النظر العميق الشامل والتركيز الدقيق في قضايا الكون والحياة.

- تنوعت مجالات التفكر واختلفت تبعا لتنوع الدلائل وكثرتها، وجعلت من عالم الشهادة أفقها الواسع فشملت الكون بما يحتويه من سموات وأرض وما بينهما، وأحاطت بالنفس وأغوارها، وتخطتها إلى إدراك مقصد الحياة وحقيقة الموت، كما كان الوحي القرآني مجالا رحبا تسيح فيه العقول من خلال النظر في آياته واستبيان هدف الرسالة السماوية ،والتعرف على مقاصد الشرع بتفعيل ملكة الاجتهاد والبحث.
- تحددت مقاصد التفكر في أربعة مقاصد أساسية بها صلاح حياة الإنسان في الدارين وهي تنطلق أساسا من اثبات أصول الايمان والمتمثلة في الإيمان بالله وحده، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والتأكيد على قضية البعث والنشور. وبهذه الحقائق والزاد الإيماني يعمل الإنسان على تزكية نفسه وتهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه، ما يفتح له آفاق الرؤية الكونية الشاملة ويظهر دوره ضمن دائرة المخلوقات فيحتل مركزها ويعمل على اكتشاف نواميسها وسننها بما يسمح له بالقيام بدوره كخليفة الله على الأرض، مسترشدا بنور العقل الصالح وهدي الوحي فيعي مقاصد الحياة والوحي وتكمل بذلك وسائل الإستخلاف الرباني وتتحقق له السعادة الدنيوية والأخروية.

وفي الأخير أسأل الله التوفيق والسداد، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وخدمة لدين الإسلام. وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الشواهد القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾	18	86
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ ...﴾	30	175
﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	34	93
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ ...﴾	63	26
﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ...﴾.	73	132
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ...﴾	121	144
﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ .... ﴾	152	25
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾	158	151
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾	170	100
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ .....﴾	219،220	147،163 ،146 ،40
﴿ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ ... ﴾	242-241	20
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾	255	83
﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ...﴾	258	132
﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ ...﴾	259	34
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾	261	57
﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ ...﴾	266	40،57،151
﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ ...﴾	269	73
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	13	36

﴿ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	49	132
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ...﴾	135	25
﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ..﴾	137	165
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾	191-190	176 ،73،40،106،116
سورة النساء		
﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾	28	84
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾	43	147
﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ ...﴾	78	134
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ ...﴾	82	23
﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ...﴾	103	25
سورة المائدة		
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ...﴾	91	148
﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾	106	132
سورة الأنعام		
﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ...﴾	24	34
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ ...﴾	46	33
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ...﴾	50	40،59،108،139
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ...﴾	60	134
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾	79-75	53-52
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ...﴾	98	30
﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾	99	33
﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ...﴾	103	84

﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ...﴾	151	21
سورة الأعراف		
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ...﴾	143	83
﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...﴾	146	93
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ ...﴾	165	26
﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ...﴾	172	154
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ....﴾	175،176	41،50،98
﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ ...﴾	179	94
﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ ...﴾	184	41، 141
﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا...﴾	188	140
سورة الأنفال		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ...﴾	65	29
سورة التوبة		
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ...﴾	31	103
﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ ...﴾	122	30
سورة يونس		
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ...﴾	02	140
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾	03	
﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾	16	21، 141
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ... ﴾	24	41، 60، 129، 170
﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ.. ﴾	25	63
﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ...﴾	39	107
سورة هود		
﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ ...﴾	59	103

﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾	79	103
﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ... ﴾	91	29
﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ... ﴾	109	100
سورة يوسف		
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	111	36
سورة الرعد		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ...﴾	03	41، 68، 117، 168، 169
﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُ...﴾	16	153
﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ...﴾	31	144
سورة ابراهيم		
﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ...﴾	25	55
سورة الحجر		
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ...﴾	06	48
سورة النحل		
﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ ...﴾	5،6	69
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ...﴾	10،11	41،68،156
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾	18	79
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ ...﴾	43،44	41،142، 179،180
﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم ...﴾	66	36
﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي...﴾	68،69	42،174
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا...﴾	107، 108	95
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ...﴾	36	86

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ...﴾	70	177
سورة الكهف		
﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِۚ ...﴾	54	55-54
سورة طه		
﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ....﴾	110	83
سورة الحج		
﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ ... ﴾	46	37
سورة المؤمنون		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ...﴾	61-57	161
﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم...﴾	68	23
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ...﴾	80	20
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ...﴾	100-99	135
﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا ...﴾	115	96
سورة النمل		
﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ ﴾	22	107
سورة القصص		
﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ...﴾	50	97
سورة العنكبوت		
﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ ...﴾	06	176
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ...﴾	43	56
سورة الروم		
﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ ...﴾	08	171 ،42،48،69،95،101،109،157،
﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ...﴾	19	136
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ...﴾	21	42،169

سورة لقمان		
﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ...﴾	**34**	**134،155**
سورة الأحزاب		
﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾	**72**	**176**
سورة سبأ		
﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ...﴾	46	42،91،
سورة ص		
﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ...﴾	8	26
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	26	99
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾	29	23
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ...﴾	87	26
سورة الزمر		
﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾	18	73
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾	23	173
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا...﴾	42	42، 133، 134،171
سورة فصلت		
﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ... ﴾	15	93
﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ ... ﴾	53	65
سورة غافر		
﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ...﴾	57	154
سورة الشورى		
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	11	82، 169،
سورة الدخان		
﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ﴾	14	48

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ...﴾	28-25	135
سورة الجاثية		
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ...﴾	07	93
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾	13	42
﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾	24	98
سورة محمد		
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ ...﴾	24	23
سورة الفتح		
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ﴾	23	165
سورة ق		
﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا..﴾	06	33
سورة النجم		
﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	28	98
سورة الذاريات		
﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	49	168
سورة الرحمن		
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾	27-26	172
سورة الحديد		
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	20	109، 130
سورة المجادلة		
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ...﴾	11	51
سورة الحشر		
﴿...فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾	02	34،36

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ...﴾	21	161 ،144 ،42،64،142
سورة المنافقون		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ...﴾	03	29
سورة الجمعة		
﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ...﴾	08	135
سورة الملك		
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ...﴾	3- 4	68
سورة نوح		
:﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ...﴾	07	93
سورة المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلٗا﴾	05	144
سورة المدثر		
﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا﴾	11	105
﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴾	19-18	104،138 ،42،93
سورة القيامة		
﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ	4-3	163،
سورة النازعات		
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾	26	36
سورة عبس		
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾	24	33
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ...﴾	8-6	69
سورة العصر		
﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ...﴾	3-1	178

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
"أخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله..."	75
"إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات..."	133
"إنّ الدنيا حلوة خضرة وإنّ اللّه مستخلفكم فيها..."	129
"إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته..."	146
"إني مما أخاف عليكم من بعدي..."	129
"تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله عز وجل..."	82
"زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة"	135
كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا أوى إلى فراشه..."	134
"كلّ شراب أسكر فهو حرام"	148
كلّ مسكر خمر، وكلّ مسكر حرام"	148
"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل..."	129
"لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله..."	82
"لم ير للمتحابين مثل الزواج"	126
"ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كـــتـــــاب الله..."	144
" نحن أحق بالشك من ابراهيم..."	54
" يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ..."	150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

الأصبهاني: 55

ابن القيم: 59، 162

ابن تيمية:17، 145

ابن حبان: 75

ابن حجر: 74

ابن رشد: 152

ابن عاشور: 16، 22، 26،32، 48،
51،61، 116، 149

ابن عباس51، 77، 104

ابن عطية: 20، 77

ابن عمر: 148

ابن فارس: 14،19، 21، 28،31،34، 55،

ابن كثير: 77، 143

ابن مسعود : 51

ابن منظور: 14، 24، 28،35

أبو البقاء الكفوي: 32،34

أبو السعود: 30، 55

أبو حامد الغزالي:15، 156

أبوبكر الجزائري :20

الألوسي: 22، 27، 53،76،78،99، 161

أمية بن أبي الصلت51

البخاري: 57، 133

البدري:70، 161

البقاعي:16، 20،28

الترمذي: 147

التهانوي:32

الجرجاني:97

الجنيد: 160.

الجوهري: 14

ابن أبي حاتم: 51،

الحاكم:104

الخليل الفراهيدي: 31

الرازي:33،35،37،63، 74، 76

الراغب الأصفهاني:15،19،24،28، 32،35، 94

ابن العربي: 153

الزركشي: 45، 55

الزمخشري: 47،76،

الزيلعي: 16

السعدي:36، 56، 143، 160، 172

سيد طنطاوي: 36

سيد قطب: 50،85،

السيدة عائشة: 148

الشعراوي: 22، 29، 37

الطبري:47، 51،141

عماد الدين خليل: 30،

الغزالي : 66، 82،84

الفيومي:ص 14،22

القرضاوي: 91

القرطبي: 25

القرطبي:97

الكندي: 154

لورد كيافي:158

محمد أبو زهرة: 16

محمد عمارة: 101

المراغي: 150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

– التفاسير

1. ابن العربي الاندلسي، محمد، أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت ط.
2. ابن تيمية الحراني، تقي الدين، التفسير الكبير، تح: عبد الرحمان عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت ط.
3. ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1998 م.
4. ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1993،1م.
5. ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.
6. أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان،دط، دت ط..
7. **أبو زهرة، محمد زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.دط،دط ت.**
8. أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001 م.
9. أحمد مصطفى، المراغي، تفسير المراغى،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ،مصر.
10. الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، دط، دت ط.
11. بن المنذر النيسابوري، أبو بكر، كتاب تفسير القرآن، تح: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية–السعودية، ط1، 2002م.
12. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت– لبنان، دط، دت ط.
13. الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة–المملكة العربية السعودية، ط5، 2003م.
14. الجوزية، ابن القيم، التفسير القيم، جمعه محمد أويس الندوي، تح محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت ط.

15. حقي الإستانبولي، إسماعيل، روح البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، دط، دت ط.
16. الخطيب، ، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، دط، دت ط.
17. الرازي، ابن ابي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله والصحابة والتابعين، تح محمد أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض-السعودية، ط1، 1997م
18. الرازي، فخر الدين،(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، دط، دت ط.
19. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة -مصر، دط، 1990 م.
20. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط ، دار الفكر، دمشق-سوريا، دط، دت ط.
21. الزمخشري، أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ، تح: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
22. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، السعودية، ط1، 2000 م.
23. السمرقندي، أبو الليث ، بحر العلوم، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، دت ط.
24. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، مصر،دط، دت ط.
25. الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000 م
26. طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد القاهرة-مصر،دط ،دت ط.
27. القرطبي، شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن ، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية،دط، 2003 م.
28. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة -مصر، ط35، 2005.
29. الخازن، علاء الدين البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 1979م.
30. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1995م.

المصادر والمراجع

1. آبادي، الفيروز ،القاموس المحيط، المؤسسة العربية، بيروت-لبنان، د.ط، دت ط، ج2، ص115.
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1984.
3. ابن القيم الجوزية:
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، 1992م.
- الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، دط، دت ط.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1973م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
4. ابن تيمية الحراني، تقي الدين، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ط3، 2005م.
5. ابن رشد، أبو الوليد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تح: مصطفى عبد الجواد، المكتبة المحمودية، القاهرة-مصر،ط3، 1968م،.
6. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر بمصر، دط، 1979م.
7. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، دار الفكر، دط،دت ط.
8. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير- محمد أحمد حسب الله- هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة-مصر، دط، دت ط.
9. أبو سليمان، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، الرياض، 2008م.
10. الأصبهاني ، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان،ط4، 1405ه.
11. الأصفهاني، الراغب:
- مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق-سوريا، دط، دت ط، ج2.
- المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان،دط، دت ط.
12. البخاري، عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت-لبنان، ط3، 1987.
13. البدري، مالك، التفكر من المشاهدة إلى الشهود-دراسة نفسية إسلامية-، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ومعهد الفكر الإسلامي، فرجينيا ، الولايات لمتحدة الأمريكية، ط4، 1995م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14. بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق-سوريا، ط4، 2005م.
15. ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط2، 1993م.
16. الترمذي، أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان،دط، دت ط.
17. التفتزاني، أبو الوفا، الانسان والكون في الإسلام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع-مصر، دط، 1995م.
18. التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت –لبنان، دط، دت ط.
19. الجرجاني، علي، التعريفات، تح:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان،ط1، 1405ه.
20. الجمالي، محمد فاضل، نحو تربية مؤمنة، الشركة التونسية للتوزيع – تونس،دط، 1977م.
21. جون كلوفر مونسيما، الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ترجمة عبد المجيد سرحان الدمرداش، دار القلم.
22. الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أميل يعقوب و د. محمد طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1991م.
23. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1990م
24. حجازي، محمد عبد الواحد، القرآن ومنهج التفكير، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1993.
25. خليل، عماد الدين، مدخل إلى موقف القرآن من العلم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت –لبنان ، ط1، 1983م.
26. الزبيدي، مرتضى:
– اتحاف السادة المتقين شرح احياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت ط.
– تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، دط، دت ط.
27. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن،دار الفكر، بيروت-لبنان،ط1، 1996م.

28. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ه1391.
29. السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 1993م.
30. السيوطي،جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1996م.
31. الشرقاوي، محمد عبد الله، الإسلام والنظر في الآيات الكونية، مطابع رابطة العالم الاسلام، مكة المكرمة-السعودية،دط،دت ط.
32. العبد الله، عبد العزيز بن خلف، الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، مكتبة دار البيان ، دمشق- سوريا، ط1، 1969م، ص09.
33. العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة- مصر، دط، دت ط.
34. العقاد، عباس محمود، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر- مصر،دط، دت ط.
35. العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1995م.
36. العلواني، طه جابر، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر،ط1، 2006م.
37. عمارة،محمد، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ،دار الشرق الأوسط، القاهرة- مصر،دط،دت ط.
38. الغزالي، أبو حامد:
- إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت،-لبنان، دط، دت ط.
- التفكر في خلق الله (الإنسان،الأرض،السموات)، تح: ماهر المنجد، دا الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-سوريا، ط 1، 1995.
39. الغزالي، محمد، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة –مصر، ط1، 2000م .
40. الفراهيدي، الخليل بن أحمد،كتاب العين، تح: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، دط، دت ط.
41. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت ط.
42. قاسم،محمد زكي الدين محمد، الاسلام والفطرة (تأملات تكشف الترابط الوثيق بين الآيات القرآنية والآيات الكونية)، دار الصفوة، القاهرة – مصر، ط1 ، 1991م.

43. القرضاوي، يوسف، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبه،القاهرة-مصر، ط1،1996م.
44. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة-مصر،دط، دط ت.
45. قنيبي، حامد صادق، الكون والإنسان في التصور الاسلامي ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1980م
46. الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: عدنان درويش- محمد مصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، دط، 1998م.
47. الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تح، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، دط، 1950.
48. محمد صالح، محمد مجذوب، أصول المنهج العلمي في القرآن، جامعة الجزيرة، معهد المعرفة، ط1، 2007 م.
49. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، دط، دت ط.
50. مصطفى، إبراهيم -الزيات،أحمد - عبد القادر، حامد- النجار ،محمد، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د،ط)، دت ط.
51. النجار، عبد المجيد، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1992م.
52. النحلاوي، عبد الرحمان، من أساليب التربية بالقرآن -التربية بالايات-، بحث في جامعة الإمام سعود، الرياض-السعودية.
53. النووي، محيي الدين، شرح النووي على صحيح مسلم، دار حياء التراث، بيروت- لبنان، دط، دت ط.

الدوريات:

1. الآغا، إحسان خليل والزعانين، جمال عبد ربه، أنشطة مقترحة لتوظيف التفكر كمدخل لتدريس العلوم في المرحلة الإبتدائية بمحافظات غزة، الجمعية المصرية للتربية العلمية، المؤتمر السابع، نحو تربية علمية أفضل، يوليو 2003م،
2. بخش، مليك حسن عبد الرزاق، أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف :عبد الفتاح لاشين، 1409-1410هـ، جامعة ام القرى ، السعودية ، ص 141، 142.
3. تمزغين، محمد بن داود، مجالات التفكر وجوانبه في آيات القرآن الكريم، مجلة دراسات،العدد9، جوان2008
4. حوامدة، مصطفى محمود:
   - منهج القرآن الكريم في تربية الانسان:رؤية منظومية، ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية-الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر 2006م، المجلد 3، العدد 3.
   - مهمة القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الانسان، ،مجلة جامعة دمشق - سوريا، المجلد 19، العدد 2 ، 2003م.
5. الحولي، عليان عبد الله، العقل في السنة النبوية- دراسة تحليلية تربوية- إسماعيل سعيد رضوان ، الجامعة الإسلامية – غزة- فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثالث عشر- العدد الثاني.
6. الدغامين، زياد خليل:
   - تفعيل وسائل الادراك في الإنسان ومنهج القرآن في توظيفها، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 31،العدد2، 2004م.
   - منهج القرآن في صياغة تفكير الإنسان، ، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 32،العدد 1، 2005م.
7. صالح عبد الله، عبد الرحمان، العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية1، السعودية، 1995م.
8. عادل ،محمد، التفكُّر عبادة ربانية وضرورة دعوية ، مقال من مجلة البيان على الانترنيت، 1430ه.

9. قلجة، ميساء كمال، البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم-دراسة موضوعية-، إشراف زهدي محمد أبو نعمة، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة-فلسطين، 2009م.
10. الماجد، ناصر بن محمد، سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، في الانترنيت موقع اسلاميات، 1فبراير 2009،الساعة 16:00، www.islamiyyat.com
11. المحالي، محمد خازر، مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون، جامعة عمّان – الأردن، العدد 23، ماي 2005.
12. محمد بن صالح الفاداني، زهرية، تسخير ما في الكون للإنسان في ضوء سورة النحل وآثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل، إشراف أبو ضيف مجاهد حسن، رسالة ماجستير فيالكتاب والسنة، جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية، 1988م.
13. محمد عبد الوهاب، فاطمة، فعالية استخدام بعض استراتيجيات ما وراء المعرفة في تحصيل الفيزياء وتنمية التفكير التأملي والاتجاه نحو استخدامها لدى طلاب الصف الثاني الثانوي الازهري، مجلة التربية العلمية ،القاهرة –مصر،ديسمبر 2005، المجلد الثامن،العدد الرابع .
14. ناصر، مجاهد محمود أحمد، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل و الحجة، إشراف: محسن سميح الخالدي، رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين-، 2003 م ، ص 121.
15. ناصر، مجاهد محمود، أحمد منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل و الحجة، ، إشراف: محسن سميح الخالدي، رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين-، 2003 م
16. النحلاوي، عبد الرحمان، من أساليب التربية بالقرآن -التربية بالايات-، بحث في جامعة الإمام سعود، الرياض-السعودية.
17. هندي، محمد بن زيلعي، مفهوم التفكر في ضوء القرآن، مجلة الدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، العدد2،ماي 2008م.
18. الهيشان، محمود محمد عواد، جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، إشراف د.محمد احمد الملكاوي، أ.د شادية التل، رسالة ماجستير بجامعة اليرموك – الأردن ، 1996.

فهرس الموضوعات

المقدمة	أ
الفصل الأول : مفهوم التفكر	
المبحث الأول: تعريف التفكر في اللغة والاصطلاح	17
المطلب الأول :تعريف التفكر في اللغة	17
المطلب الثاني :تعريف التفكر اصطلاحا	18
المبحث الثاني: الفرق بين التفكر ونظائره اللغوية	22
المطلب الأول: التعقل	22
الفرع الأول: التعقل في اللغة	22
الفرع الثاني: العقل في الاصطلاح	22
الفرع الثالث: التعقل في القرآن	23
المطلب الثاني: التدبر	24
الفرع الأول : التدبر في اللغة	24
الفرع الثاني: التدبر في الاصطلاح	25
الفرع الثالث: التدبر في القرآن الكريم	26
المطلب الثالث: التذكر	27
الفرع الأول : التذكر في اللغة	27
الفرع الثاني: التذكر في الاصطلاح	27
الفرع الثالث: التذكر في القرآن الكريم	28
المطلب الرابع: التفقه	31
الفرع الأول: الفقه لغة	31
الفرع الثاني:الفقه في الاصطلاح	31
الفرع الثالث: الفقه في القرآن	32
المطلب الخامس: النظر	34
الفرع الأول: النظر لغة	34
الفرع الثاني: النظر اصطلاحا	34
الفرع الثالث: النظر في القرآن	35

المطلب السادس: الإعتبار	37
الفرع الأول : الاعتبار في اللغة	37
الفرع الثاني: الاعتبار اصطلاحا	38
الفرع الثالث: الاعتبار في القرآن	39
الفصل الثاني: السياقات الواردة في موضوع التفكر	
تمهيد: التفكر قي السياق القرآني	43
المبحث الأول: أسلوب القرآن في عرض موضوع التفكر	48
المطلب الأول: الاستفهام الإنكاري	48
المطلب الثاني:سرد القصص	52
المطلب الثالث:ضرب الأمثال	57
المطلب الرابع: الجمع بين العقل والعاطفة	68
المطلب الخامس: مدح أولي الألباب	75
المطلب السادس: عرض آلاء الله ونعمه	81
المبحث الثاني :ضوابط التفكر	84
المطلب الأول: تجنب التفكر في ذات الله	84
المطلب الثاني: الواقعية	88
المطلب الثالث: نبذ التعصب واتباع الهوى	92
الفرع الأول: العوائق الداخلية	94
البند الأول: الكبر	94
البند الثاني:الغفلة	96
البند الثالث: اتباع الهوى	99
الفرع الثاني: العوائق الخارجية	102
البند الأول: التقليد الأعمى	102
البند الثاني: التعصب	104
المطلب الرابع :حسن التقدير	106
الفرع الأول: شمولية النظر	108
الفرع الثاني: التركيز	112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: مجالات التفكر ومقاصده	
المبحث الأول: مجالات التفكر	117
المطلب الأول: التفكر في الكون	117
الفرع الأول: التفكر في الآفاق	117
الفرع الثاني: التفكر في النفس	124
الفرع الثالث: التفكر في الدنيا والآخرة	130
المطلب الثاني: التفكر في الوحي	138
الفرع الأول: التفكر في النبوة والرسالة	138
الفرع الثاني: التفكر في آيات القرآن	144
الفرع الثالث: التفكر في مقصد التشريع	148
المبحث الثاني :مقاصد التفكر	154
المطلب الأول : إثبات وحدانية الخالق وجلال صفاته	154
المطلب الثاني : تزكية النفس وتهذيبها	161
المطلب الثالث : معرفة السنن الإلهية في الكون	166
الفرع الأول: السنن الطبيعية في الكون	168
الفرع الثاني: سنة الزوجية	170
الفرع الثالث: سنة الحياة والموت	171
الفرع الرابع: سنة التسخير	173
الفرع الخامس: سنة الهداية والضلال	174
الفرع السادس: سنة الإبتلاء	176
المطلب الرابع : إدراك مقاصد الوحي	176
الخاتمة	184
الفهارس	
فهرس الشواهد القرآنية	187
فهرس الأحاديث النبوية	195
فهرس الأعلام	196
فهرس المصادر والمراجع	198
فهرس الموضوعات	206

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة إبراز مكانة التفكر من خلال القرآن الكريم، والبحث في المنهج الذي رسمه القرآن لهذه العملية. وهي دراسة هدفها استجلاء موقف القرآن من العمليات العقلية بصفة عامة ومن التفكر بصفة خاصة، هذا من خلال التطرق لأهم مجالاته وضوابطه، وبيان مقاصد القرآن من هذه العملية. وبناء على ذلك تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أمّا المقدمة؛ فإنها تضمنت بيانا لأهمية البحث، أسباب اختياره، أهدافه، إشكاليته، فرضياته، الدراسات السابقة وموقعه منها، منهجه،مصادره، والصعوبات التي اعترضت عملية إنجازه.

أمّا عن فصول البحث؛ فالفصل الأول كان مخصصا لتقديم مفهوم دقيق ومضبوط لمصطلح"التفكر"من خلال عنصرين أساسيين؛ الأول كان مخصصا لتعريف في اللغة والاصطلاح، والعنصر الثاني كان في إبراز الفرق بينه وبين مرادفاته في اللغة وإبراز العلاقة الإجمالية بينهم. والذي ظهر من خلال احتلال عملية التفكر على المكانة العالية في القرآن الكريم، كو□ا استثمار لمعارف باقي العمليات للوصول إلى حقائق الأمور والأخذ بنتائجها والاعتبار □ا.

ليأتي الفصل الثاني متناولا الحديث عن أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكر، وتحديد الضوابط التي تحصن هذه العملية، كل ذلك باستقراء الآيات الكريمة والغوص في السياقات القرآنية، فالمبحث الأول خصصته للحديث عن أساليب القرآن من استخدام البلاغة، وتفعيل القصة وضرب الأمثال إضافة إلى تحفيز العقل من خلال العرض المكثف لآلاء الله ونعمه في أسلوب يجمع بين العقل والعاطفة، ويعلي من شأن المتفكرين ويأمر بالاقتداء □م.

أما المبحث الثاني فكان خلاصة الضوابط التي ينبغي للعقل البشري والنفس الإنسانية الوقوف عندها، أثناء مرورها بآيات الله الكونية والقرآنية، لأن طاقة هذا العقل لا تستطيع أن تتجاوز الحدود التي خلق □ا، وأهم هذه الضوابط هو عدم الولوج إلى عالم الغيب وخاصة الذات

الإلهية لقصور مدارك الإنسان عن الإحاطة بها، ومن ثم إلتزام الواقعية في التفكير، بما يوافق عالم الشهادة ومواكبة مستجدات العصر، ثم إزاحة كل العوائق التي تقف حجر عثرة في طريق التفكير السليم، والالتزام بالموضوعية وشمول النظر والتركيز الدقيق في القضايا المتفكر فيها، فينبثق من ذلك حسن التقدير لها يساهم في بلورة رؤية منهجية شاملة وعميقة لقضايا الوجود.

والفصل الثالث تناولت فيه مجالات القرآن التي دعا القرآن للتفكر فيها،وتحديد مقاصد التفكر التي عقدها القرآن لهذا الموضوع، وجاء في مبحثين المبحث الأول وضحت فيه مجالات التفكر والذي قسمته إلى مجال الكون بما يحويه من آيات في الآفاق، وآيات في النفس، وآيات تحض على إدراك حقيقة الدنيا و العمل للآخرة، وإلى مجال الوحي من خلال التفكر في النبوة والرسالة، وآيات الذكر الحكيم، لإدراك مقاصد التشريع.

ثم تأتي الخاتمة، والتي ضمت بين ثناها أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد، وأن يتقبل من هذا العمل خالصا لوجهه خدمة للإسلام. وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام.